







# عَقِيدَةُ الْمُسْلِمِينَ

الطبعة الرابعة

ملتزم الطبع والنشر  
دار الكتاب العربي بمصر.  
محمد حلمي النياوي

سنة ١٣٧٠ هـ	{	الطبعة الأولى
١٩٥١ م	}	
سنة ١٣٧١ هـ	{	الطبعة الثانية
١٩٥٢ م	}	
سنة ١٣٧٣ هـ	{	الطبعة الثالثة
١٩٥٤ م	}	
سنة ١٣٧٥ هـ	{	الطبعة الرابعة
١٩٥٦ م	}	

# بسم الله الرحمن الرحيم

## كلمة الناشر

من حق العقيدة على الكتاب وعلى الناس أن تناولوا الأقلام الجادة ، وأن نكثر فيها البحوث القيمة ، وأن نأق من العناية ما يناسب جلال موضوعها .

وفي عصرنا هذا تصدر مطبوعات فوق الحصر لشغل الأعين والأذهان بالمسائل النافهة من هوى الحياة وتموها ، وترف اخضارة ومجونها .

وهناك — لا ريب — كتب ضخمة تعالج حقائق العلم ومشكلات الوجود ، لكنها — للأسف — قلما تنعرض بالاهتمام الواجب للإيمان بالله واليوم الآخر . وما يستتبعه هذا الإيمان من تصحيح نظرنا للدنيا وتفهم رسالتنا فيها . . . !

وإن كان الكلام عن الله وما ينبغي له من وقار ، وعن ثقائه لشئنا وما ينطبه من استعداد ، وعن رسله الأكرمين وما يجب لهم من اتباع . . . لو كان ذلك من السوافل التي يسوغ لمرء أن ينكسل عنها ويَزهد فيها ، كما كان علينا من بأس في غض النظر عن « العقيدة » وبحوشها ! !

أما والأمر مقاومة خطرة البيعة ، قد يربح الإنسان فيها حضره ومستقبله ، وقد يخسرهما جميعاً . . . فلا بد من التفكير العميق في هذه المسألة ، وبذل الجهد في الوصول إلى قرار تستريح به النفس .

فلننظر إذاً إلى الموضوع نظرة الإنسان العاقل إلى كل مشروع فيه هلاكه  
أو نجاته . فهو يلتفت إليه بكل ما يملك من قوة وعزم !

\*\*\*

وقد نشره الأستاذ محمد الفزالي كتباً شتى في النقد والإصلاح العام ،  
حتى حسبته القراء قد تخصص في مهاجمة الفساد السياسى والاقتصادى الذى ران  
بوزاره على الشرق الإسلامى . وملأ ربوعه المنكودة بالركود والاضمحلال .  
على أن هذا الاتجاه الجديد فى تقرير علوم العقيدة كما بينها القرآن الكريم  
وصورتها السنّة المطهرة . هو فى الحقيقة عمل حاسم فى ميدان الإصلاح النفسى  
والاجتماعى والسياسى . .

فما استطاع الضال أن يسود بلادنا إلا فى غيبة الإيمان الصحيح ! وما  
سنطيع الفكاه من آصاره إلا بإعادة الإيمان الصحيح إلى القلوب الفارغة ،  
وإن الإنسان يمح الوثنية الأوفى تطارد عقيدة التوحيد فى أكثر من ميدان .  
وفى ميدان سياسة وحده انتصبت أصنام كثيرة ، فاه من حولها السدنة  
مُكبرون . نسمون القرايين من حقوق الشعوب ومصالح الأفراد والجماعات .  
حتى نسميه مكرف بنصب عرقى ماطفة وجَل .

ود ذكر سم غيره خُصعت قلوب ورجفت أعضاء !!

وفى سقيم ذلك مع دين يجعل من على الأرض عبيداً أذلين للواحد  
الآخر . ويعتد خُكماء خدع المصلحة العامة .

بذ مِرْعَنَ مِنْهُ أَحَد . وأحاط نفسه بهالة مقدسة مزق قناعه وكشفت

والاستكانة للضميم تحت عنوان الرضا بالقضاء خطأ فاحش ، لاسييل  
إلى تصحيحه إلا ببيان الصلة الحقة بين أفعال العبياد وسنن الخالق في كونه ؛  
كما رسمتها الشريعة نفسها ، لا كما تتلقفها أهواء الجهال . .

إن الأمة ظلمت إلى الإيـمان ، والحضارة الحديثة لا تقدم لهذه الأمة إلا  
السراب الخادع أو الملح الأجـاج .

أما نحن فنُزَوِي العِطَاش من منابع الوحي النقي ؛ وذاك حسبنا .

وفي هذا الكتاب نُقولُ وقواعد وآراء ، نرجو أن يكون في حَشْدِها  
عنى النحو الذى صَنع المؤلف ما يفتح الأفئدة . ويثير فيها مشاعر الإيـمان بالله ،  
والاحترام الخالص لديه .

محمد ملى المتياوى





# بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

هذه بحوث في العقيدة دفعني إلى كتابتها فلة الرسائل التي تُعنى بهذا اللون من علوم الدين وتعرضه في أسلوب نفق مع حاجة المسلمين المعاصرين ! وقد رأيت أن أسوق الأصول العلمية لعقيدة المسلم ، في نسق يخالف ما ألف الناس قراءته من هذه الأصول في مظانها من ثقافتنا الدنيئة .

لا لأنني سأتى بجديد في هذا الميدان . بل نزولاً على منطق التجارب ، وانتفاعاً بما اكتنف جوانب التاريخ الإسلامي من أحداث ، ووخياً للسيرة في هدى النصوص المجردة من الكتاب والسنة .

فالذي نقرأ شيئاً عن عقيدة المسلم في العلم الموسوم « علم الكلام » أو « علم الوحيد » ، لا يُعوزُه أن يسجل ملاحظات هامة عن المسائل التي خاض فيها العلماء ، والمخادلات التي دارت بينهم ، والنتائج التي تمخضت عنها مناظراتهم ، وعن أثر ذلك كله في إيمان العامة والخاصة جميعاً ! !

والذي أخذه على منهج البحث في « علم الكلام » — في حدود مادرسنا من كتبه — أنه :

(١) نظريّة بحث . نُظِّمَتْ مُقَدِّمَاتُهَا وبُيِّنَ حُلُصُ النَتَائِجِ كما تصنع ذلك الآلات الحاسبة في عصره هذا ، أو نوادرنا التي تضبط نُقُصَ الأَجْسَامِ ثُمَّ تسجل الرقم وتقف به للعابرين ! ! .

كذلك سارت الاستدلالات في هذا العلم الخطير . فحكمت عن الله سبحانه وتعالى وعن صفاته الكريمة ، وانتهت إلى حقائق جيدة ، يستريح إليها العقل الخفيف .

نبّه أن الإسلام في تكوينه لمقيدة يخاطب القلب والعقل ، ويستثير الله فيه والفكر ، ويوقظ الانفعالات النفسية مع إيقاظه للقوى الذهنية . وقد كنت أرقب -- عن كسب -- ما تخلعه دروس التوحيد من كنهه المتقيرة . ثم كنت أجد فارقاً مذكراً -- للمبسمين -- بينها وبين شروح البصائر الجبرية مثلاً .

كلامه رويح للعقل مبنوت الصلة بالأمور . فكان الطالب يذكر طائفة من الأدلة على الوجود الدائم « لواجب الوجود » . ولا يستشعر في قرارة نفسه عقيدة الخلق المتعبد . أو يخرج في مذهب عريق من الرغبة أو الرهبة نحو من سوره . وهذه محوره ونفواه .

أفكاره -- من عميقة : وقد فرع العامة إلى علوم التصوف يستكملون منها ما عثر عليه يدرجه في عم الكلام ، ولكن التصوف ميدان كثير المزالق ، وتطغى فيه أكثر من سدادهم .

ولا تنسى هذه الحصة عاصفة الحب الإلهي . وربط قلوب الناس به ربه . مع سموت وأرض ، إلا أن مخاطر السفل به تجعلنا وحس .

وهو حبيب في نفسه . فكيف عن عقيدة نسب أن أرطب جفاف التكبير . من من من من من . وهذا كلف تلك إلا أن أجل نصوصه .

فلا يستكثرن القارىء لإيراد الشواهد منها ، فإن لذلك حكمة مقصودة ،  
تُعَرَّفُ بعد مطالعتها في سياقها .

(٢) وللظروف التى نشأ فيها « علم الكلام » أثر سىء فى سرد حقائقه  
وصوغ دقائمه ، فإن جحيم السياسة ، وتطاحن الأحزاب المختلفة أرسل شواظاً  
من الأحقاد والمهاترات على ما دار بين الفريقين القديمة من جدل ، حول طائفة  
من الأحكام الإسلامية ، لا تزال إلى اليوم نشق بها ، برغم القرون الطويلة  
التي مرّت عليها . . .

وفى ضجيج الخصومة السافرة يعسر البحث عن الحقيقة ! . ولو أمكن  
الوصول إليها ، فإنه يصعب الاقتناع بها ! .

ومن الغفلة أن نحسب تكوين العقيدة يتم فى مجلس مناظرة ، تُتَصَدَّدُ  
فيها النصوص ، وينشد فيها الغلب ، ويُعَبَّرُ فيها بالألفاظ ، ويُستَفَلَّ منطق  
« أرسطو » فى المخاطلة وإيقاع الخصم أمام العامة ! .

وصفا الله عن أجدادنا ، فقد أولعوا بذلك ، وأعانهم عليه أن الدولة  
الإسلامية كانت سيادة العالم .

فلا بُدَّ على رجالها أن يشتغلوا بالترف العفلى ، وأن يحولوا فراغهم من  
الجهاد فى سبيل الله إلى جهاد فى هذا الميدان الخطير ، فاشتغلوا بأنفسهم عن  
أعدائهم ، ثم ذهب الرجال وبقى الجدران . . . بقى إلى اليوم يهتد وحدة الأمة  
ويهز كيانه ! .

ومع أن الدعوة الإسلامية جئت على قدميها أمام الصليبية الغازية ،  
واقترب الخطر على الإسلام من صميم عقده وصميم دياره ، فبن الربح النينة

لهذا الجدل ما تزال تهب من بعض الجماعات التي تحترف — للأسف الشديد — خدمة الإسلام ! .

ولا أحسب أمة تحتاج إلى وحدة الأفكار والمشار مثل هذه الأمة الإسلامية .

وبذا شب خلاف على شيء ما ، فإن تحويل هذا الخلاف من الأدعة المفكرة إلى صفوف الأمة ، يعدّ جريمة في حق الله ورسوله وجماعة المسلمين ...  
قول الأستاذ الجليل الشيخ « أحمد عزت باتا » — معلقاً على الخلافات الدتية في عم الكلام — : « كانت هذه المناقشات في الأصل مما لا ينبغي أن تكون حروباً ضرت بضحية والعلمية والفنية . ولكننا أقمنا اسم الله عز وجل في مدفتها التي لا معنى لها .

محور كل فرق منا إسناد الكفر والإلحاد إلى الفرق الآخر ، فقلبنا خلاف لنا في خصومة دنية لا تهـأ .

وحتى في هذه المعركة — في أصله — عن التعبير بأن العبد خالق مع الله ، من غير أنه فعل فعله ، وعن تصور الاستقلال التام في الإله سر .

وحتى في هذه كانت أوصوب — صالحة لتكون موضع ... من عرف مدفعية عقيدته بعد وفده ، بل استجهاله ... وكان مستنداً على هذه حـ .

من ... من عرف عقيدته حتى إسناد الظلم إلى الله ...

وقال معارضوم : إنكم تنكرون عموم القدرة والإرادة الإلهية ، وهذا كفر . . .

نشأ أولاً هذا الخلاف ، ثم توسّع على مرور الزمن ، حتى تولدت منه مبادئ غريبة غير معقولة . . . » .

والولع بالخلاف سرى حتى ضمّ إلى العقائد أموراً مضحكة .  
فهناك خلاف بين المعتزلة وأهل السنة على حقيقة السحر ، وعلى تكوّن السحب ( ١ ) ، فأى خلطٍ هذا ؟ .

وبين المسلمين اليوم نزاع يفصم وحدتهم حول ما دار بين عليّ بن أبي طالب وغيره من الصحابة في مسائل الخلافة .

فهل على وجه الأرض أمة تجتزّ ماضيها السحيق لتلوك منه خلاقات هاسية كهذه الأمة ؟ .

ولماذا تقم هذه الأمور إغماً في شئون العقيدة ؟ .

ولماذا لا يبقّى في إطلاق الذكريات التاريخية التي تدرس كلّ تاريخ لتؤخذ منها العبرة حسب ؟ .

وما صلة الإيمان بالله واليوم الآخر بمحكنا ، أن هذا أصاب . وهذا أخطأ ، والله يقول : « نِلَاكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَنَسَكُمُ مَا كَسَبَتْ » وَلَا تَنْتَوْنِ عَنْهُمْ كَانُوا يُبْعَثُونَ<sup>(١)</sup> .

وبنى لأقرأ في محمد المدينة اليوم نزاعاً بين أبيع السلف وانخاف — كما

(١) سورة الفرقة آية ١٣٤ ، ١٤١

أسموا أنفسهم — وأسمع ألقاظ الكفر تتبادل كما تتبادل الكرة أرجل اللاعبين فاهز رأسى محباً ! .

إن أعراض المرض لا تزال تصرو الأمة المشهوكة ، وما تزال بحاجة إلى عناية الزائدين المخلصين من الأطباء الملهرين .

\*\*\*

وقد استقرت رواسب هذا الخلاف الطائش في أذهان العامة ، ثم سيطرت على سلوكهم بعد ما أخذوا أسوأ ما فيها ، ورفضوا أفضل ما فيها . فإذا اختلف القدامى : هل العمل ضرورة للإيمان أو كمال فيه ؟ ترجح لدى العامة أنه كمال فقط .

فيستفيد المجتمع من هذا الخلاف ترك العمل ! .  
وإذا اختلف القدامى : هل للإنسان قدرة وإرادة يفعل بهما ويترك ؟  
أو هو مقهور ، مكتوف اليدين ؟ ترجح لدى العامة أن المرء لا عزم له ولا حول ولا عون !

فيستفيد المجتمع من هذا الخلاف سقوط المهمة وحوار الزينة ! .  
وإذا تجادل القدامى : هل للمسلم حق الالتجاء إلى الله دون وساطة الصالحين من الأحياء أو المقبورين ؟  
ترجح لدى العامة أن المسلم لا يستغنى عن معونة الأولياء ، وأنه إذا ذهب من دونه فثوبل له !

فيستفيد المجتمع من هذا انخلاف شيوع الشرك وضعف الصلاة برب الأرض واسمه ! .

وهكذا صفت المجتمع الإسلامي بمجموعة خسائس لا شك في أنها بعيدة عن كبره من محمد بن محمد بن وهوان .

وقد بذلت جهدى — وقد تصدّيت لتصوير عقيدة المسلم — أن أتجنب أشواك هذا الخلاف ، فإذا استطعت طيّه في السياق المطرد طويته وتجاهلته ، وإذا اضطرت إلى خوضه عاجلته على كُرّه ، وذكرت ما استبان لى أنه صواب وقد أستجمل الطرف المقابل ولا أكفره ، لأن الجمل القاضح — كما ظهر لى — أساس كثير من المشكلات العلمية للبهمة .

وربما لمَحَتْ في أخلاق بعض الجادلين عوجاً ، وفي أسلوبهم عفاً ، فأوثر مغفرة هذا على مقابلة السيئة بمثلا ، لأننا أمة فقيرة جداً إلى التجمع والانتلاف .

فَتَذَقَّ ثَمَنَ هذا من أعصابنا . والمرجع إلى الله .

( ٣ ) وإذا كان علم التوحيد على النحو الذى وصفنا ، فإن كتبه التى تشيع بيننا الآن فشلت فى أداء رسالتها شكلا وموضوعا .

فن ناحية الشكل لا معنى ألبتة لعرض علم ما ، فى توزيع مضطرب بين متنٍ وشرح وحاشية وتقرير ، وفى ائنة ركيكة اللفظ . سقيمة الأداء . نُهة تصوّر سقوط البلاغة العربية على عهد الاحلال التركى . . .

وتطور الأدب فى عصرنا هذا لا ينكر ! . وقد بلغ من تمكن المؤلفين والمتأدبين فى اللغة أن تناولوا الموضوعات الدافئة فخرجوها فى أبسة زاهية . ووجهوا ألوف القراء — سحر بيانهم — إلى ما يريدون ! .

فهلبقى الكلام فى المقدّد وحده حِكْراً على هذا النمط الزرّرى من الخواصى والمتنون . . . :

على أننا إذا تمهضنا عن الشكل . وتعرضنا للجوهر بالنقد والتمحيص .



لا تلبث أن ندرك أن هذا الجاب الإلهي من الثقافة الإسلامية طَفَتْ عليه  
الفلسفات الغربية التي نقلها السريان عن اليونان وغيرهم .

فإذا صوم العقيدة نحول عن مجراها العنيد ، وإذا اكذب التوحيد تزدهم  
باصطلاحات الفلاسفة وطرائق مكائهم .

وبدو أن الأسلاف الباحثين في هذه الناحية من الإسلام قد فسهم  
الإعجاب بما مله إنيهم التراجمة من تترات العمل اليومي .  
ولذلك خاطوها خاط شديدا بنعائم الدين . . .

وأسبب هذا الحكم على قيمة هذا العمل وحكمته ، وإن كما سوه بدلائله  
على مدى الحرية التي مسحها الإسلام أباعه ، وعلى أن الدائرة التي يعمل فيها  
المقل الإسلامي تسع العالم أجمع ، فليست مغلقة على عصرية جنسية أو فكرة  
محسنة . . . .

غير أن عصر العقيدة كادت به وسط هذا الزكاه من القول والأفقه  
ومشاهدات ، فوجب تحميمها في سق معدرب !!

ثم عرسها في الأمتدة من ثم ويزدهر إلا بأسوب الإسلام نفسه .  
ومن المحب أن مر في أمهات الكتب الكلامية وتعطوى الصفحات  
صورة لا تكذب على آفة توحيدات . إلا أقصدات يسيرة ، بدو  
كبرهم بـ ... في الأرض اسسحة . . .

نـ . مزج عدي محنت المسمى المخرد هذه الكتب . ولا عليهم !  
كأن ذاب لا يفهم عن عرض عسرة الحاصه حقائق نصل عن قرب  
نجدد : أقوى : أوتة : أقوى : حق : وهو بهدي السليل .

(١)  
الحقيقة الأولى

## الله

هذا الاسم الكريم عَمَّ على الذات المقدسة التي تؤمن بها ونعمل لها ،  
ونعرف أن منها حيننا وإليها مصيرنا .

والله — تبارك وتعالى — أهل الحمد والمجد ، وأهل التقوى والغفرة ،  
لا نحصى عليه ثناء ، ولا نبليح حقه توقيراً وإجلالاً .

وأن البشر منذ كتب لهم تاريخ ، وإلى أن تهمد لهم على ظهر الأرض  
حركة — سوا الله وكفروا به ، ما خدش ذلك شيئاً من جلاله ، ولا نقص  
ذرة من سعائه ، ولا كف شعاعاً من ضيائه ، ولا غص بريقاً من كبريائه ،  
فهو — سبحانه — أغنى بِحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ ، وأعظم بِذَاتِهِ وَصَفَاتِهِ ، وأوسع  
في مسكوتة وجبروته من أن ينال منه وهمٌ وام ، أو جهلٌ جاهل ! .

وتنك في عصر عكف على هواه وذهل عن أخراه . وتنكر لربه فإن  
صير ذمتك على أم رأسه ، وإن بضر الله شيئاً .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ،  
سَكِيبَ سَعَةٍ لَهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَتَاهُ بِخَبْرِهِ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابٍ أَلِيمٍ <sup>(١)</sup> .

## وجوده

وجوده تعالى من 'بدهت' التي يدركها الإنسان بفطرته ، ويهتدي إليها  
بسمعه . . . من مسكن 'بدهت' . ولا من حقائق التفكير المويضة .

ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقترب المسافة جداً قد يمتلئ  
الرؤية ، ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد ! .

« أَفِي اللَّهِ شَكٌّ قَطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ <sup>(١)</sup> » .

وقد جاءت الرسل جميع فكرة الناس عن الألوهية .

فإنهم وإن عرفوا الله بطلعتهم إلا أنهم أخطأوا في الإشراف به ،  
والفهم عنه .

« هَذَا بَرَأَعُ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ <sup>(٢)</sup> » .

« فاعلم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ ذَنْبِيكَ <sup>(٣)</sup> »

والبيئة الفاسدة خطر شديد على المطرقة . فهي تمسحها وتشرذمها ، وتُخاف  
فيها من العلل ما يجعلها تعذب العذب وتسيغ الفجع .

وذا سر انصراف فرق من الناس عن الإيمان والصلاح ، وقبولهم  
للسكفر والشرع ! مع . نفاة ذلك منطق العقل وضرورات الفكر وأصل الخلقة .

« إِنِّي خَلَقْتُ عَبْدِي حَفً ، كُلُّهُمْ مِنْهُمْ مُشَاهِدٌ فَاجِدْنِي عَنْ دَنِيهِمْ  
وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَبَّتْ لَهُمْ . . . » .

وقد افترقت حمصرة القرب — التي نسود العدم اليوم — بنزوع حد  
إلى المرأة في وجود الله ، والضرر إلى الأديان جملة فطرة مقرر . أو فوه  
كسكنت اجتماعية لأبصارها والعاطفين عيها .

ولا شك أن الحجة التي يعانها العلم الآن زمة روحية . منسوخ كفه  
بمثل العيا التي به به ميز — من حق وإلحاد و — مع وإلحاد . —

فلا نجاة له مما يرنكس فيه إلا بالعودة إلى هذه المثل ، يهندي إليها  
بفطرته ، كما يهندي سبيله الجين في ولادته ، والفرخ من بيضه ا .  
ومتى هدى العالم إلى الفطرة ، هدى إلى الإسلام ، فإن الإسلام هو  
دين الفطرة .

ولا بأس من سوف حاشية من الدلائل التي نمنق للذهن العاقل مناخذ  
ببصريها و لمفت ذ وراها .

( ١ ) إن الإنسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق أولاده ، ولم يخلق الأرض التي  
يدير فوقها ، ولا السماء التي يعيش تحتها .

والبشر الذين ادّعوا الألوهية ، لم تكفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك .  
من انقطعوع به أن وظيفة الخلق والإبرار من عدم ، لم ينتحلها انفسه  
إن ولا حيوان ولا جماد .

ومن منقطعوع به كذلك ، أن نشأ لا يحدث من لقاء نفسه . فلم يبق  
١ : ١ .

١٠٠٠ قرآن الكريم هذا المذيل .

١٠٠٠ جدير بن غرسو : " هُمُ أَحَادِفُونَ ؟ أَمْ خَالِقُوا السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ ؟ " ( ١ )

و من منقطعوع به في منقطعوع الإبداع في المجتمع السذج الذي  
١٠٠٠ في .

١٠٠٠ سطران في الإبداع كيف خُلقَت ؟ وإلى السماء كيف  
رُميت . رُمي جدير كيف صُبَّتْ : وإلى الأرض كيف سُلِطَتْ ( ٢ ) .

ويسمى هذا الدليل دليل الإبداع .

(ب) لو دخل المرء داراً ، فوجد بها غرفة مهيأة للطعام ، وأخرى للنعام ، وأخرى للنظافة ، وأخرى للضيافة ... الخ ، لجزم بأن هذا الترتيب لم يتم وحده . وأن هذا الإعداد النافع لابد قد نشأ عن تقدير وحكمة ، وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر في الكون وآفاقه ، والمادة وخصائصها . يعرف أنها محكومة بقوانين مصبوعة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب . وأفادت منها الناس أجل الفوائد .

وما وصل إليه علم الإنسان من أسرار العالم ، حاسم في إبعاد كل شبهة توهّم أنه وجد كيف اعق .

كلا . إن النظام الدقيق المختفي في طواريق الذرة معطّر فيها ابن أملاك السماء . الرحبة من أمجاد :

« تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ الْاَظْمَلُ وَسَوَّاهُ خِفَّةً يَمَنُ أَرَادَ أَنْ يَنصُرَ أَوْ يُدْرِكَ نَصْرًا » (١) . « إِنَّ يَوْمَ تَجُوزُ عَلَى نَجْدٍ مِّنْ جَبَلٍ مِّنْ جَبَلٍ سَخَّرَ لَكُم مِّنْ دُونِهِ أَمْثَلُ يَوْمَ تَكُونُ الْأَرْضُ لَكُم مَّسَاجِدَ وَنَصَابِرَ هَوَاجٍ تَلْقَوْنَ فِيهَا قَوْمًا لَّهُمْ كِلَابٌ فَاسْتَأْذِنُوا فِي الْبُيُوتِ مُتَوَلِّينَ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاوَاتُ وَما فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ » (٢)

وفي القرآن الكريم آيات شتى . تقرر هذا الدليل . ويسمى دليل العندبة .

(ج) هل فكرت في هذه السيرت المنضمة — تسمى هذه النكوكب التي تخترق أعماق جو — وتنتهي بنزه مدر واحد لا يحرف عنه شيء

ولا يساراً ، وتلقه سرعة واحدة لا تبطئ فيها ولا تعجل . ثم ترتقبها في موعدها المحسوب فلا تختلف عنه أبداً !! .

إن الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا تثبت أن تهوى بعد تحايق .  
أما هذه الكرات الغليظة الحجم ، الحى منها والميت ، المضى منها والمعتبر  
فهي معدة لا تسقط ، سائرة لا تقف . . . ! كل في دارته لا يصدوها .

وقد يصطده المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل .  
أما هذه الكواكب التى تزعم الفضاء فإنها لا تزيد ولا تصطدم :  
« وَلِلشَّمْسِ تَجَرَىٰ لِمَسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ مَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ  
فَرَزْنَةً مَّجْرِيَةً حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ  
تُدْرِكَ الْقَمَرَ . وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ <sup>(١)</sup> » .  
من الذى هيمن نظامها وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى أمسك  
بجرامها الخفية . ودفعها تجري بهذه القوة الفاتحة ؟

نبا لا ترتكز في عوالمها إلا على دعائم القدرة ! ولا تغير إلا بأجنحة  
أعزها لها اتقار الأعلى :

« إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ رَأَيْنَا  
نَسْكَكُمَا مِنْ حَرٍّ مِنْ غَدِهِ بِإِذْنِهِ كَانَ خَلِيقًا عَفُورًا <sup>(٢)</sup> » .

ثم كنه جذية فدلتها العمية كدلالة حرف « س » على المجهول .  
« . . . من مومين تعرش دسم الله ، ونكن القم لا يسمعون !  
وسى . . . المنيين دنيى احركة .

( ١ ) لا شت أن لوجود كل واحد منا بداية معروفة .

فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئاً يذكر : « هَلْ أَمَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ  
مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً <sup>(١)</sup> » .

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك ، لها بداية معروفة .  
وعلماء الجيولوجيا بقدرهم لها أعماراً محدودة . مهما طالت ، فقد كانت  
تباها صغراً . . .

وكان هناك ظن بأن المادة لا تنفى ، اعتمد عليه فريق من الناس فى القول  
بقدم العالم وما يتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل .

على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن . ولو لم يتم تفجيرها . ما قبلنا هذا  
الظن على أنه حقيقة ثابتة . فإن المفتاح الذى يفتح على العالم أبواب الفناء ،  
ليس من الضروري أن يضعه الله فى أيدي الصماء .

وعدم اهتمام الناس إلى ما يدمر مادة الكون ، لا يعنى أن مادة الكون  
غير قابلة للدمار والفناء .

ولم لا يكون ذلك حصانة أفاضها القدر الأعلى . حتى ينعم العالم  
من الانتحار ؟ .

إنه جازمون بأن وجوده محدث . لأن تفكيره وإحساسه يهدين تلك .  
وغير معقول أن ينطوّر العدم إلى وجود تطوّر ذنبه .

إنه إذا وقعت حادثة ! نذكر فاعلم . . . قيل : إن القاص مجهول .  
وإن يقل أحد . قط : إنه ليس هو القاص . فكيف يراد من العقلاء أن يقنعوا  
الصلة بين العدم وربّه ؟ إنّه لم نكن شيئاً فكـ .

فمن كوت : « قَالِ اللَّهُ ثَمَّةَ ذَرُّهُمُ فِي خَوْضِهِمْ سَمْبُون <sup>(٢)</sup> » .

ويسمى هذا . ذنب الحدث .



## المقدمة الألوهية عند الفلاسفة والعلماء

معرفة الله سبحانه وتعالى مركززة في كل طبع . واسمها الكريم معروف في كل لغة . واحلاف الأجسام والأاسة لم يصرف الأفتدة والأفكار عن هذه الحقيقة الواحدة .

يبدأ أن هذه المعرفة المتصلة برب العالمين ، أحد امدها الكامل وسمائها ارتدت ، ولم يرأ من الأوهام وبعد عن الأهواء ، إلا أعد ما تلقاها الناس مصفاة من تبع الوحى . وسموا آياتها على من أفواه الأسماء .

وكن ذلك لم يمتع الكثيرين ممن لم يدخوا في نطاق ارسالات الأولى ، ولم ينعمهم — على وجه صحيح — هدايات القرآن الكريم ، أن فكروا في الله من علماء أسمه . وأن يطبقوا مقولهم عن المبحث .

والله الإلهة حائلة بالكثير من هذه الأفكار ، كما أن علماء الكون في عصر لاحد — يكلموا عن الله في حدود ما هدام إله المبحث الجرد في قوى الضيف وسرره وقواهم .

والمسلمة تسمى تسمى الله ، الصانع . والعقل الأول ، وواجب الوجود .

و . . . . . و . . . . . من . . . . . في اصطلاحهم .

كما . . . . . في . . . . . فيها الحق بالباطل كما يرى .

و . . . . . في . . . . . في . . . . .

و . . . . . واجب . وأخذ في التفصيل السعامة به .

و . . . . . و . . . . . و . . . . . عن عرض

المستقيمة على النهج ، تنادى بأصحابها — حتماً — إلى الله ، وتنفهم خاشعين أمام الشعور الفاسر ، عظمنه وجلاله .

وإن من الفسادة والبلادة أن يظن السفهاء من الناس أن الإيمان وليد استعمال الذهن . أو أن استبحار العلوم واتساع المعارف الإنسانية يمدش قاعدة الإيمان ، وتوهي الصلة بالإله الدائن .

قال « هرشل » — من فلاسفة القرن الثامن عشر — : ( إياه كلما اتسع نطاق العلوم تحققت وكثرت الأدلة على وجود حكمة خاتمة هادئة مطلقة ، وعلماء الأرضيات والهيئة والطبقيات والرياضة يبيتون تمساعهم واكتشافاتهم كل ما لزم لإسداء عدد العلوم ، إلا أن الحكمة خاتمة ) .

والطريق من دون من آراء سفراض عن مبداه أولاهون :

« هذا العلم يظهر لنا على هذا النحو : نرى فيه من مع دفقة ، بل كل جزء من أجزاءه منجبه نوعاياه . ولما كانت العاية منجبه إلى عاية على منها . وهكذا يوصول إلى ما به به معرده وحدة ! .

من ينسب هذه العلوم إلى جزء : عموما . معده واجاز من كلمة واجبه : من ممكن أن يحدد ذات على معده .

هو ممكن أن يوصول : من معده معده . صحيح : من هو : أوضاع ( ويكت و ريسكر من حداث من معده .

ويذكر : من ينسب العلم إلى تيموي عية . ممكن أن يكون في درجه لا يمكن أن يحدده مع . من ينسب العلم إلى وجوده معده على معده : من ينسب العلم إلى وجوده معده . وهو معده .

لأن الطبيعة أثر بجلى فيه الاتحاد الدال على وحدانية الصانع . الذى نفذ حكمه كنفود الفكر فى الحال . بدون أى خطأ .

وهو حاضر غاب — أى عالم قادر — ومع هذا ، فن المستحيل إدراكه نحواس ... فهو كالشمس التى تمس جميع الأبصار ، لكنها لا تبين لأحد أن ينظر إليها . « ١ » من تاريخ التصوف الأسناذ « محمد على عيني بك » .  
وقد شرح « لابلاس » دليل الحركة الكونية ، وأبان قوة هذا الدليل فى حسم الشبهات التى يبررها الجاحدون فقال :

« أما القدرة الفاعلة فقد عيّن جسامه الأجرام الموجودة فى المجموعة الشمسية وكثافتها ، وثبتت أقطار مداراتها ، ونظمت حركاتها بقوانين بسيطة ، وكنها حكيمة ، وعيّن مدة دوران السيارات حول الشمس ، والتوابع حول السيارات بدق حساب ، بحيث أن هذا النظام المنمر إلى ما شاء الله لا يبروه خال ... »

هذا النظام منسج على حساب يقصر عقل البشر عن إدراكه والذى بمن اسمرار واستقرار المجموعة إياها ، ما لا يعد ولا يحصى من المخاطر المحتملة ، لا يمكن أن نعمل على انصدقات فى نظر « لابلاس » إلا باحتمال واحد فى ... ..

ومدركه (١) ما من رويونوت ؟ إنه عدد من كلمتين ولكن لا يمكن أن يصير عصى لا يذنب خمس مائة ألف عام . يعد الأرقام إيلاً ونهاراً على ... فى كل دقيقة ١٥٠ عدد .

... ..

وقال سبنسر :

« إننا مضطرون إلى الاعتراف بأن الحوادث مظاهر قدرة مطلقة متعالية عن الإدراك . وأن الأديان كانت أول من قبل هذه الحقيقة العلوية واتقنها . ولكنها نشرت أول الأمر ممزوجة بالأباطيل » وسبنسر هذا غير متدين . وكتب « كميل فلا مريون » في كتاب « الله في الطبيعة » : « إذا انتقلنا من ساحة المحسوسات إلى الروحيات . فإن الله يتجلى لنا كروح دائم موجود في حقيقة كل شيء .

ليس هو سلطاناً يحكم من فوق السموات ، بل نظام مستقر مهيمن على كافة الموجودات ! .

ليس مقيماً في جنة مكنتة بالصلحاء والملائكة !! بل إن القضاء الإلهي ممو به .

فهو موجود مستقر في كل نقطة من الفضاء وكل لحظة من الزمان ، أو بتعبير أصح : هو قيوم لا نهائي منزّه عن الزمان والمكان والنسلسل والنعقب . ليس كلامي هنا من جهة عقائد ما وراء الطبيعة المسكونة في صحتها . بل من النتائج القاطنة التي استبعت من القواعد الثابتة لهم . كسرية الحركة وقدم القوانين .

إن النظام العام الحكيم في الطبيعة . وآثار الحكمة المشهورة في كل شيء . اندشرة كنور الفجر وضياء الشفق في الغيب . لخدمة . لاسم الوحدة التي تنبجى في قانون التطور الدائم ، تدل على أن القدرة الإلهية مطلقّة هي الخوف المستتر المسكون . هي الغد الحقيق . هي مصدر . لأقصى لكافة . فهو ين الطبيعة وأشكاله ومفاهيمه » .

والقائل بفلسوف ينكر اليهودية والنصرانية ، ولا يعرف الإسلام . ولكنه يعرف الله الواحد من إدامه النظر في العلوم والأكوان ، وأسماله كثيرون .  
وفكرة هذا العالم عن الألوهية تظهر فيها فلسفة وحده الوجود .  
وهي فلسفة نذت عن الصواب ، وإن تعلق بها بعض القدامى من فلاسفة الهند ، وسرت عذواها إلى الصوف الإسلامي ، فشردت به عن الحق ، وعن تعاليم الإسلام .

وأفكار أولئك الباحثين . نواها ضبعت بتعاليم الوحي ، ومشت في هدى الشريعة ، لاستقامت مع ما ذكر القرآن الكريم عن الله عز وجل من صفات . وما سب إلى ذاه العفنى من نعوت الجلال والجلال . . . !  
وحسب أوئذ - وإن يعرفوا الحق كاملا - أن لآخ منه برق ففروا وهكروا .

ونن صدقوا ما عرفوا . فهم أهل للآية ان الصحيح الكامل لو أبحث هم آية ويسرت من رسالاه . أى نو" بحث لهم معرفه الإسلام الصحيح ، من حلال ككاتب واسمه .

ومع رحمة الوحيد بدلائل مؤيدة لعقده الألوهية ، واصصب الشواهد سكندرية في كقول ترمذى بنى رب هذا . من العالم لا يحل من سكرين حرمون حتى وكنت .

وقد صحت أقوال هؤلاء . فهم ترابها إلا لسكر لحد وانعناد السميع .  
نور وحيد عميد لهم . دمن في العصر ناصى : « من الممكن .  
أحرار سموية و سرمد وحركتها إلى أصول سيطة من .  
سكندرية . من بنى على قوة خاتمة منحصنة » .

و يقول : « إن الإنسان محصول المادة وايسـت له خاصة فكرية على النحو الذى يـصور الروحانيون » .

و يقول ماضياً — فى إنكار الروح ومصوراً العقل الإنسانى بصورة مادية — : « إن الكبد والكائتين غرز مادة مـرتبة دون أن نعلم نحن بذلك . أم الحركة الدماغية فلن نكون خارج إرادتها وإدراكنا ، والدماغ يفرز قوة بدل المادة ( ! ) . . . »

ويقول « بروسية » — مؤيداً هذا التفسير المادى للروح والعقل — : « إن الذكاء والحساسية عمل من أعمال الأجهزة العصبية . كما أن تحويل الذكـوات إلى دم مدفع فى المـوقع . عمل الأجهزة المضخمة والشمسية . . ! » وكنت جريدة ضيه مغدة ذكرت فيها أن « المـكرر تركيب يشبه حمص فورميك ! والتفكير تابع للفوسفور ! .

والفصيلان والعداوة والسجدة ماهى لا يـرات كبره الأعضاء الإنسانية » . هذه هى الصورة التى تقدمها لمـحدثون الإنسانية ومصوريها ! وهذه هى أدنـهم على . سكاره وراء المادة . وعلى رخص الإيمـان بـتعالى الكـبير . وقد سمعنا من نخور . ريدل وقى . ريدل فى سنة صحیح فى هـد التـمـو القـبـح ؟ .

ومنى كان سنكيت ومرض وانوم أدلة محترمة . .  
به من مقنوعه عنـلا أن نـدم لا نحول فى وجود ولا بحق وجود .  
فبد فى : نـم مـغفرى حـرته فى سـب . وير . أحـد . محـدة فى  
وجوده فى خـلق . فى : نـم نخور . نـم ذب . نـم سـه .  
وإذا كانت حركة لزورى فـمـرـة — مـد — مغـب هـرة من جنود

لتنظيمها وإلا استمرت القوضى في أرجائها ، فهل يستغرب القول بقدره منظمة  
مُشْرِقة على الألوف الوثيقة من الكواكب السيارة في الفضاء ؟

وهل يعتبر القول بأن انصافات الحضة هي التي تتولى هذا التنظيم . .  
هل ينبري لا لغواً وبحوثاً ؟

ثم هذه السخافات الزاعمة بأن الفصائل والبرذائل اهتزازات كهربائية  
بالأعضاء ، ولأجهزة اجتماعية ؟ . لأنه لا روح — كما يقولون !

نجيب « كميل فلامرون » — متهاكاً فيقول — : « ما معنى إفراغ  
القوة : قوة لا يفرغ لمدهغ كيومترات أو فراسخ ؟ »

ويقول المنبر « أحمد عزت باشا » : « من حيث أنه لا روح ولا نفس  
للمفنة ، فمن متى يشعر به ، نفرزه الحركة الدماغية ؟ ومن الذي لا يشعر بها ؟  
وما معنى كلمة « نحن » التي يستعملها ذلك الشكهم ؟ ( بوختر السابق ) .

مدون ذلك القيسوف تفرغ مرغم — من قبيل إنطاق الحق له —  
( . ) ( . ) في بكه .

ثم يقولون : .. قوة لا يفصل عن المادة — كما يقررون — فأين  
هذه القوة في سائر هذه : .

حق . . . . . حتى يضيع بين حوث متعذرين والمتنطمين :  
... . . . . . فكيف السيرة .

... . . . . . لأن هناك من يلاحق الحركة

## لاريب في وجود الله

نيويورك — ر — اسفنت مجلة « كوليرز » المعروفة . عددًا كبيراً من علماء الذرة ، والفلك ، وعلم الأحياء « البيولوجيا » والرياضة .  
 « فأكّدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ، ويرعاه بنيانيته ورحمته وعلمه الذي لا حد له .  
 ويقول الدكتور « راين » : إنه ثبت من أبحاثه في التعامل : أن في الجسم البشري روحاً أو جسماً آخر غير منظور .  
 وقال عالم آخر : إنه لا يشك في أن الكائن الأعظم — وهو ما تسميه الأديان السماوية « الله » — هو الذي يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة في هذا الوجود » .



شرت « المصري » هذا الاعتراف الذي ذاعه « روتر » على العالم كله .  
 وقد قرأته كخبري ، وشعرت بمطمة من السرور تمنعني . لأن أولى العلم وأرباب البحث نسوا — ولا أقول عرفوا — آثار الحقيقة الصيا ، وبدأ  
 في نهج الله يتركز على أساس من تجربة لدية وللحس النفس .  
 أنعرف ما هو الإخذ ؛ أن يشفه لئله نفسه . ويركب رأسه . ويضع  
 عينيه عن كل ما حوله ؛ ثم يعبر الأحكام جزافاً . لانخفض شعق . ولا  
 يربطها فكر سليم .

وعند ما جاء القرآن الكريم ليأخذ بيدي الناس إلى الحق بين  
 يكلفهم عسر .

لم يزد أن ضاب به ففتح صدرهم على حرف لسمه وفجج لأرض  
 وخواص لأشياء .



« قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... »<sup>(١)</sup> .  
 « أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ  
 مِنْ شَيْءٍ... »<sup>(٢)</sup> .

« أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ  
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِأَحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى... »<sup>(٣)</sup> .

فإذا رسل المرء نظراته الفاحصة يستقصي بها أنباء الوجود ويستكثفه  
 أسرار الحياة . فيرجع — بعد جولة قريبة — بهذه الحقيقة للشرقة اللامعة .

الحقيقة التي أجهن الآلة الكريمة « اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى  
 كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . لَهُ مَقَائِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ  
 اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَالِسُونَ . قُلْ : أَفَتَعَذِّبُ اللَّهُ أَمْرًا أَوْ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ »<sup>(٤)</sup> ؟ .

إن الإخاد تبهاً مموخاً في بلادنا ، يعرف قشوراً من العلم ، وبتعلق  
 روعه لا يرين له عدو ولا أنيب .

تراه نكهم عن الآهوية والدين والوحي فيلوى لسانه عبارات مشحونة  
 دغرو ولاذع . . .

رسد در ملاما . كرت بقول الله : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ  
 مِنْزِيلِهِ . وَهُوَ عَنَى وَلَا يَكْتَسِبُ . نَفَى عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »<sup>(٥)</sup> .

في هو لا . خب من بضون العم ضرق الإخاد ، نسوق إليهم نتائج  
 محمدي ونسب . بها سدتهم عن أصل الحياة .

## لماذا كفروا ؟

قال الإمام العزالي في ( الإحياء ) : « اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى ، وكان هذا قنضى أن يكون معرفه أول المعارف وأسبقها إلى اليقين . وأسهاها على العقول ، وترى الأمر مانضد من ذلك ! فلا بد من بيان السبب فيه . »

« وإنت قلنا . إنه أظهر الموجودات وأجلها معنى لا فهمه . لا بمثل ، وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط — مثلا — كان كونه حيث عندنا من أظهر الموجودات ! . »

لغياته وعلمه وقدرته وإرادته للخباطة أجي عدن ، من ستر صفته الذهرة والبطة .

إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخفته وصحته ومرضه . كل ذلك لا معرفه . وصفته الظاهرة لا عرف مضب . ومضبها أشك فيه كمقداد . طوله . احب لون شمر . وغير ذلك من صفته .

أما حيوته وقدرته وبردته وعمه وكوه حبوا . فله جبي عند . وبين كند لا نرى عينه حباته وقدرته ويراده .

فإن هذه الصفات لا تحس شئ . من الخواص الخمس ولا يتكن من عرف حيا . وقدرته وإرادته إلا بغيره وحركته .

ولو نظرنا في كل في احد هذه عرف صفته .

فما عليه إلا ذيل واحد هو عمه . به . وهو مع ذلك موحود جبي وصح .

• وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له — بالضرورة — كل ما شاهدته وندرته بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر ، ونبات وشجر وحيوان ، وسما وأرض وكوكب . وبر ونحر ، ونار وهواء ، وجوهر وعرض .

بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا ، ونقاب أحوالنا وتغير قلوبنا . وجميع أطوارنا ، في حركاتنا وسكناتنا .

وأظهر الأتشاء في علمنا أنفسنا . ثم محوساتنا بالحواس الخمس ، ثم مدركتنا بالعقل والبصيرة .

وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد . وجميع ما في العالم شواهد مأمته ، وأدلة شاهدة ، بوجود خالقها ومدبرها ، ومصرفها ومحركها ، ودالة على علمه وقدرته وإلمه وحكمته والموجودات المدركة لاحصر لها .

إذن كذب حجة الكاذب<sup>(١)</sup> فذرة عددا ، وليس يشهد لها إلا شاهد واحد . وهو ما أحسننا به من حركة يده .

فكيف لا يظهر عندنا ما لا تصور في الوجود شيء داخل نفوسنا وخارجها إلا وهو شاهد عليه ؟ وعلى غنقه وجلاله ؟

إذ كل ذرة فينا تنادي بلسان حاد : أه نس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها ، وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها .

يشهد بذلك أولا تركيب أعضائنا واثلاف عظامنا ولحومنا ، وأعصابنا

ومنايات شعورنا . وتشكل أطرافنا وسائر أجزائنا الظاهرة والباطنة .  
 فإنا نعلم أنها لم تأتلف بأنفسها ، كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها .  
 ولكن لما لم يبق في الوجود شيء مدرك ومحسوس . ومعقول وحاضر  
 وغائب إلا وهو شاهد ومعروف له غير ظهوره سبحانه ، فانبهرت العقول  
 ودهشت عن إدراكه .

ذلك وما تقصر عن فهمه عقول له سببان :  
 أحدهم : حذوه في نفسه وغموضه ، وذلك لا يخفى مثاله .  
 وثانيهما : ما بنى على وضوحه . . . ! !

« إن الخفاش بصير بالليل ولا بصير بالنهار : لا تخفاء النهار واستتاره ؛  
 لكن شدة ظهوره . فإن بصير بعض ضعيف ، بهر نور الشمس إذا  
 أشرقت ، فكون قوة ظهوره مع ضعف حسه سببا لامتساع إحصائه . فلا يرى  
 شيئا إلا إذا امتزج الضوء بظلام وضعف ظهوره .

فكذلك عقول ضعيفة . وجهل الحفرة الإلهية في نهاية الإنساق  
 والأسدرة . وفي غاية الاسفراء والسموم . حتى لا تسد عن ظهور ذرة من  
 مسكوت السموم والأرض .

فصار ظهوره سبب خفائه . فسحق من حجب بإنساق نوره . وخفى  
 عن البصائر والأبصار ظهوره .

« ولا نتعجب من اخفاء ذلك سبب الظهور . فإن الأشياء تسبب  
 تضادها . وما عم وجوده حتى أنه لا صد له . عسر إدراكه .

فواختلقت لأتبه من حصص دور حصص ذرات المنفرة على قرب .  
 وبث اشتركت في الدلالة على سق واحد شكل واحد .

ومثله نور الشمس المشرق على الأرض ، فإننا نعلم أنه عَرَضٌ من الأعراض ، يحدث في الأرض ، ويزول عند غيبة الشمس .

فمما كانت الشمس دائمة الإشراف لا غروب لها ، لكنتُ نظن أنه لاهيئة في الأجسام إلا ألوانها : وهي السواد والبياض وغيرهما .

فإننا لا نشهد في الأسود إلا السواد ، وفي الأبيض إلا البياض .

فما الضوء فلا ندركه وحده ولكن ما غابت الشمس وأظلمت المواضع أدركت تفرقة بين الحائين .

فمما كانت الأجسام كانت قد استضاءت بضوء ، واتصفت بصفة فارقة عند الغروب .

ففرق وجود النور منه : وما كان يصنع عنه لولا عدمه إلا انصر شديد . وذلك مشاهد الأجسام منسبها غير محسوس في الحائز والنور .

هد مع أن النور أظهر المحسوسات . إذ به ندرك سائر المحسوسات . فما هو ظاهر في نفسه وهو غير غيره .

انظر كيف تصور سببهم أمره سبب ظهوره لولا طريقان ضده .

فإنه تعالى هو أظهر الأمور ، وبه ظهرت الأشياء كلها ، ولو كان له عدم

أو غيبة أو تغير . لانهدمت السموات والأرض . ونال الملك والملكوت . ولأدراك بذلك تعرفه بين الحائين .

فولو كان مع الأشياء موجوداً به . وعضها وجوداً غيره : لأدركت

التفرقة بين الشبكتين في الدلالة .

ولكن دلالة عامة في الأشياء على سق واحد ، ووجوده دائم

في الأحوال يسحيل خلافه .

فلا جرم أورتتْ شِدَّةُ الظهور خفاءً ، فهذا هو السبب في قصور الأنعام ،  
اتهى ما جاء في الإحياء .

## هو الأول

وجود الله سبحانه وتعالى ممد في القدم ، بحيث لا ينصور قبله وجود قط ،  
وما دام كل وجود قد نشأ عنه . فالله تعالى أسبق منه ، ونحن لا نعرف عن  
الأول شيئاً ، إذ عهدنا بالوجود قد حدث بعد ميلادنا .



عن أبي بن كعب رضى الله عنه : أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه  
وسلم : اسُبْ انا ربك ، فنزل : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ  
وَلَمْ يُولَدْ »<sup>(١)</sup> لأنه ليس شيء يولد إلا وسيموت ، ونس شيء يموت  
إلا سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث .

« وَآيَةٌ بِسَكُنِ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ »<sup>(٢)</sup> . قال : لم يكن له شبه ولا عدل  
رس كتمه شيء . . . .

من أوتيتك من شركين فخرنا إلى الآهية حقوقهم قدسرة . وهو وجوده  
المضيق على وجودا المحدود ، فهو هو أن له أولاً .

ونس الأمر كما انه هو . من وجودا تسمى أولاً ، لأن نفس الذات  
وتدركه عن قمن . ونحزمه باسنة غيره .  
أما الوجود لأفنى قدسره لا أول له .

وقد تمر بالخطر هواجس تتساءل عن أسرار هذا الأزل النامض على  
فقلونا ، وذلك من استشراف العقل إلى اكتناه ما يعجزه ، ولا يقدح ذلك  
في صحة الإيمان .

فمن أنى هريرة رضى الله عنه : « أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم - ثوبه : « أنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ! قال :  
أوجدتموه ! قالوا : هو . هو : ذلك صريح الإيمان » .

وفي رواية أخرى : « اخمد الله الذي رد كبدته - الشصن -  
و بسوسه .

وعن ابن مسعود : « قالوا يا رسول الله : إن أحدنا ليجد في نفسه  
مَ لأن يُعترف حق يصير حمة أو يخرج من السماء إلى الأرض أحب إليه من  
أن نسكه . . هو : ذلك محض الإيمان » .

و تارة لا بد من رحمة كها جد مدعه ، لا يدري مداه .  
وتارة : شعاع الإيمان يدرك أعراض يسيرة في بينة المحدودة ، أعراض  
تسبب حصره ، أو تمسها القريب ، أو غدها الموشك .

وهو شاعرون من هذه لأعراض مدركة جملة من المعارف النافعة ...  
ثم ما من مدد شعاعه فليست عليه حراك ولا إدراك ...  
وبذلك تدرج حدود قدرته العقلية في هذه الشهادة . فلا جرم أنه  
كأن في هذه هيب تعجز . وعن فهمه قاصر .

و كذا سببه قد يستطیع التجوال فيها ، فإذا بدا له أن يقدف بنفسه  
في ... به فقهه .

وعقلنا في قوته المحدودة كبصرنا الذي لا يقرأ إلا على أشبار ، فإذا ابتعد  
انلحط عنه مسافة لم يميز منه حرفا .

كذلك لا يستطيع العقل أن يدرك إلا في دائرة وجود الضيقة : « وَمَا  
أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »<sup>(١)</sup> .

ومن ثم فنحن نؤمن بقدم الذات الإلهية وامتناد هذا القدم في أغوار  
الأزل الذي لا يعرف كنهه .

... ذلك وطبيعة الوجود احدث تقضى البداية والنهاية . أما من وجوده  
من ذاته فحقه أسى من أن يسبقه أو يعرضاً عليه عدمه .

## ... والآخر

والله سبحانه باق أبداً ، إنه ليس جسم فيموت . ولا مادة فتحتل  
وتذوى ، إنه الدائم الثابت الذي يصير إليه كل شيء .

« كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ إِنَّ الْحَكِيمَ عَلِيمٌ »<sup>(٢)</sup> .  
« وَوَكَّنْ عَلَىٰ نَحْيٍ لَّنِي لَا يَمُوتُ وَسَيَحْيِي عَمَلُهُ وَكَفَىٰ بِرِذْوَنِ  
عِبَادِهِ خَبِيرًا »<sup>(٣)</sup> .

وذو الوجود الخالد الله في على الفد . قد سمع بالأخضر من عباده الخلود في  
حسب أعينهم .

هذه القصص ممنوح لا يعني أن شرراً أصبح حقه وصف باقي والآخر .



فلأمر كذا : إن وجود الله عز وجل واجب له من ذاته لا ينفك عنه أبداً .  
 "ما ما عداه فهو صِفَرٌ" إن لم تدركه اعمدة الوجود المفاض عليه من الخلق  
 حجب عنه .

## حاجة العالم إلى الله

فد يشرف ممدوح وابنّون على تشيد عمدة ضحمة ، ثم يقضون  
 . . . . . ثم يتركون عنها ، وبقى العمرة بعدهم أمدا بعيدا . قائمة الجدران  
 سنوية الأركان .

بن هذه المرة ، تخلق من علمه . والفلة فيها ؛ يزيدوا أن ضموا حجراً  
حجراً ، ثم تهى عنهم إلى هذا الحد .

فما من هذا أن يكون فسيحاً ، وتشيد سقفه المحفوظ ، وتمهد أرضه  
وتبينه ، معبرين ، فهو عمل آخر أساسه الإبداع من العمل المطلق .

وكم... في وجوده اخرج الى ربه ، فهو في بقائه يحتاج إليه لحظة

ولا توجد درة في لأرض ولا في سماء تستمد وجوده من ذاتها . حتى  
يعبور منه وهو نفسه . بل على العكس ، هذا الوجود المفاض عليها ينلاشى  
ويضمحل ذاتاً . مفيضه أن يحرم منه ، ثمما يتقلص الظل إذا ذهب ما يقيه .  
من يكون نهار إلا مع وجود الشمس ، ولن يكون عالم إلا مع وجود الله .

«وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى<sup>(١)</sup>» «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْخَبِيرُ . إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ<sup>(٢)</sup>» .  
فالقول وما يتردد فيها من أفكار ، والقلوب وما يتجدد فيها من مشاعر ، والأجسام وما يندفق فيها من دماء ، وما ينحرك فيها من أجهزة وعضلات ، في كل بلد ، بل في كل فارة . منذ بدء الخلق وإلى قيام الساعة ، ما نعرف وما لا نعرف . إنما يقوم بقبام الله عليه ، ولو شاء تركه لأصبحنا صفراً ، وما وجدنا وقتاً فسكر فيه بؤت فينا ، لأننا سنكون فينا فعلا .

إن الأرض التي تسير عابها قديمك لا تمسك نفسها تخنك . فهي لا تشعر بك ، ثم هي لا تصنع شيئاً من الحبوب والفواكه التي تظن .

فأنتها الخلق . الإتيقن وهي جملة هامة لا تحس ولا تدرك ؟

إن الإمداد الإلهي وحده ، هو الذي قام وقوم ، ترى . فبما لا تتوهم معه غفلة ولا تقريظ ولا فتور . وإلا نهكت واخذ كل شيء !!

الفارق بين وجوده ووجود الله . أن الله نبرك وتعالى وجوده واجب . من ذاته .

أما نحن فليس لنا من ذواتنا . نحن قطع . إن منحنا معه وجوده فبند ما بقيت مقدرة . ، وإلا اخفد فم يتسكت نبي .

ومن هذا نعرف أن له صفات كثيرة . توصلح معه كلمة . نذكر منها ما يلي :

## ليس كمثل شيء

مخالفة الذات الإلهية لغيرها من المحدثات ظاهرة . والبدهة تقضى بأن  
مرتبة المخلوق بينها وبين الخالق أمد بعيد . وأن الخالق كذلك لا يشبه شيئاً  
من خلقه ، لا فى ذاته ، ولا فى صفاته .

وقد وصف الله عز وجل نفسه بصفات كثيرة ، من الصعب إدراك  
حقيقتها على النحو الذى يرد به أموراً المعنوية ، بل هذا مستحيل ! .  
من بنى ما فى نفسه عرف كنهه العظيم ! .

إن لم يعرف عن إدراك حقيقة الوجود المبدئى الذى يعيش فيه .  
فكيف يعرف ما وراءه من غيوب ؟

إذا قيل : إن الله يسمع ، فليس ذاك بذن كآذاننا . أو يرى ، فليس  
ذات عين كعندنا ، وإذا قيل : إنه بنى السماء ، فليس على النجوم والألوف من  
الحوادث ، و هو فوقها . فليس الوصف الجرحه كعضائنا .

ومنى وفن . . . أن صفات المحدثين وأحوالهم لا يجوز أن تنسب  
إلى الله ، فهو سبحانه وتعالى — غيّر مخوفاته .

وتشبه ذاته : حتى لا يصور بأذهن المكسبة والمفهوم القاصرة .  
وهو ورد فى وحى كبريه كلمت عن توجه وانيدى وذاعين  
والاسم . على عرش و عزوبى . . . وفرب من مبد . . . الخ حون كثير  
من مسمين سبكه دلالتهم وانكشف حقيقتها . فلم يرجعوا إلا بالحيرة ،  
حتى وردهم :

لَا يَدْرِي سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ عِيفًا      وَآخِرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالًا !

وَلَمْ نَسْتَعِذْ مِنْ بَحْمِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا      سِوَى أَنْ جَعَلْنَا فِيهِ قَبِيلًا وَقَالُوا !  
وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَا شُرَفَانِهَا      رِجَالٌ فَبَادُوا الْجِبَالَ جِبَالًا !  
وَلَا غَرَوْ فَإِنَّ الْبَحْثَ عَثَ فِيهَا لَا يَمْلِكُ الْمَوْتُ وَسَائِلَ الْخَوْضِ فِيهِ .

إن الكيافي قد يعرف خواص سائل أو غاز يقلبه تحت يده ويجري عليه ما شاء من تجارب . فكيف يجوز للعباد أن يتدخلوا بالبحث النظري في شأن الألوهية لينكروا أو يثبتوا ؟ وشأن الألوهية بالنسبة إليهم عزيز المنال والحق يقول — في كلامه عن ذاته وصفاته — : « هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ . وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا » (١) .

وعلى ذلك فكل ما قطعنا بنبوته في كتاب الله وسنة رسوله من وصف لله به نفسه وأسندته إلى ذاته قَبِيلًا على العين والرأس ، لا تصف له . ولا لا قصد له تعجب ولا تسيم .



وتن كتب نسب هذا النسب في تيسر الذات وسببه صفات ، فمحـ  
لأنجب أن نتخذ منه ذريعة لنكفير من قصدوا في تزويه لله عن ضريق  
له . وصرف الأمر النوردة إلى الجرح لا إلى الحقيقة .  
فإن الذين يؤمنون بعبودية ذات خستة من تولى أمر الألوهية إلى من عليه

اليهود والنصارى ، من تخسيم ذرى ، وأحوال مضحكة .  
 « الموراة تمكلى أن صراعاً نشب بين الرب ويعقوب ، لم فلت منه الرب  
 لا مدعوة . و بعد ما فده لعقوب تقبه المعروف « إسرائيل » !! وكلام  
 لإخيه عن الله بغير إنك أنه رب أسرة من ولد ووالدة !!  
 خروح مؤونين — عند — إلى الحار ، قد ككون هناك ما يمتدّر

## ما نعلم وما لا نعلم<sup>(١)</sup>

وقف مرة الأستاذ « آينشتاين » العالم الكبير عند درج صغير في أسفل مكبنه وقال : « إن سبة ما أعلم إلى ما لا أعلم ، كنسبة هذا الدرج إلى مكبى »  
 وأصف قال : إنه أقل من هذه النسبة . فـ : لا أعلم أى شىء هو ؛  
 إنا نعيش فى عالم مملوء بالحقائق والقوى ، ولا نعلم أى شىء ؛  
 وهذا فى الدنيا التى نعيش فيها ، ولمسها ونزاول شتوتنا فيها ، فكيف  
 بالعوالم الأخرى البعيدة عما ؟

نقول : إن العالم مكون من ذرات ، ونقول : إن الذرة مكونة من  
 إلكترونات ، أو من نواة وشحنة كهربائية سلبية وموجدة .  
 وسنغير رأينا فى تكوين الذرة تعدل مرة فى كل ربع سنوات .  
 وبسبب فعمل من الذرة قبل ذرة ، ونحن لا نعلم عن حقيقتها شئ .  
 نقول : إن الأجسام تسقط ، دون الجاذبية ، وتصبح يسهل الكهر .  
 سحر الكهر . فى ينعد الحُرارة والبرودة والحركة . يرتعد الأمواج  
 واسقطها .

ونكن ما الكهر : لا نعلم عن حقيقتها شئ . وبنه هم كيف  
 تسخدم .

نأخذ نفسها ، حرف حقيقتها . وإراكات نكن مس . وكل  
 ما حولنا لا نعلم حقيقته وبنه . حرف أعراضه .  
 وهبارة أخرى حرف ، كفى « ولا حرف » « والذات » .  
 (١) : « أساذ أحمد » .

ما الحب ، ما الجمال ، ما القبح ، ما الحرية ، ما كل شيء معنوى ؟  
كل هذه لا نعرف عن حقيقتها شيئاً .  
وكل ما ينسطيعه العقل ، أن يعرف صفاتها . ما الدين ، ما الخوف ،  
ما الأمل ، ما السجاعة ، ما الفضيلة ، ما الرذيلة ؟ لا شيء غير الصفات .  
قد علم أن اثنين وانين أربعة ، ثم علم أجزاءها ومضاعفاتها .  
ثم سائر الأشياء فتعرف أعرضها ، ولا يعرفها .  
وكذلك محدثه من من شئعه أن يعرف شيئاً عن الحقائق .  
كل شيء مره . لا شيء — لو كان ذلك — أن يوجه سلوكه في حده  
حسب صانع الأشياء وحذيقه .  
وبذلك نصف انحداب مذهب « البراجماتزم » إذ أنكروا قدرة العقل  
على معرفة الحقائق ، وقصروه على معرفة الوسائل للغايات .  
وذلك من سمع . فهو ، و قد يكون : منهم وصعوا قوانينهم كقوانين  
حدودهم من سمع . لا يزعمونها مرسخات فالحقائق ، ولكن  
مرسوخة لأوصافهم . وحتى هي مرسخات صفاتها الظاهرة . لا صفاتها الباطنة .  
ث فنون : فلا . نعمي . وفلا لا كرهني .  
و لكن . ه حده . حب ونكره ! لا عرف .  
و لكن معرفه . من من من معرفة العلم . أو عبادة أخرى منهن .  
من معرفه حقيقه . لأن من عمل ، والعمل فيه . ونحن على العمل أقدر منا على  
معرفة حقائقه .

وسبب سبب الحجة ، لأنها فن ، وصعقت معرفة الحقائق ، لأنها علم .  
ث نستطيع أن نعرفها إذ صنعت التماس على نمط صحيح لا يصطدم

ولا يخرج مجلاته، وتستطيع — بقدر الإمكان — أن تتقى الأحداث، وتستطيع أن تتقرب التباح في عمل إذا سرت فيه سيراً حسناً، لأن هذه كلها فن لا علم. وحتى أنت — في هذه — عرضة للخطأ، فقد يحدث ما لبس في الحسبان، ويخرج القطار عن القضيب، ويصطدم بمجاموسة مرة — عرضاً — في الطريق، وتصطدم سيارتك بما لم تغدر مطلقاً أنها تصطدم به، فكيف الحقائق المجهولة؟ إن كان ذلك كذلك، فكيف ذُمل أن نعرف العقل والنفس وحقيقة الشعور وما إلى ذلك؟

كل ما نتحدث به عن هذه الأشياء ألفاظ جوفاء، وتشدق سخي، لا حقيقة وراءه.

ولو أصف مؤلفو العاجم، ومحاورو التعريفات أكفؤوا عن ذلك. لأنهم لا يصون إلى حقيقته، وإنما يدورون حول أنفسهم.

ولو دقت النظر في تعريفاتهم، فوجدتها تعريفاً لمثل: لا تعرفوا بالحقيقة. وأكثر الناس يمشون بعقيدتهم لا بعلمهم. وبخرافاتهم وأوهامهم لا عقيدتهم. فكيف وعقلهم لا يدرك حقيقة ما حوله؟

من كان هد حَقاً. فكيف يحول العقل الإنسان في البحث عن الله؟ به يكون كقوم لم يعرفوا أرضهم، فبحثوا عن مخرج. أو لم يعرفوا ما أمامهم. فحاولوا أن يعرفوا ما فوقهم.

ويعجبني ما نسب إلى الإمام علي كرم الله وجهه، في الله تعالى: «إله لا ندركه» سنوهد. ولا تحويه انشاهد، ولا تراه النواظر. ولا تعجبه السوتر لا يذرى عظمته هت. به نفيت، فعضمه تجسيدا. ولا يذرى كبر امتدت به. بهيات فكبرته تجسيدا.



کہ مجھنی قوں ابن ابی الحدید :

فَوَلِّهِ لَا مُوسَى وَلَا عِيسَى الْمَسِيحُ وَلَا مُحَمَّدٌ  
عَمِيُوا وَلَا حَبِيبٌ وَهُوَ إِلَى كُلِّ الْقُدْسِ يَضَعُ  
يَا . وَلَا تُفْسِدُ الْبَسِيطَةُ لَا ، وَلَا الْعُقْلُ الْمُجَرَّدُ  
بَيْنَ كَلِمَةٍ ذَاتِ غَيْرِ أَتُكِّ وَاحِدِي الدَّاتِ سَرْمَدُ  
مِنْ خَيْرِ حُكْمٍ عَنْ حَرَمِ نَ الْأَفْلَاحِ سَجْدُ  
مِنْ تَرْضَوِ وَمِنْ فَلَاحُ قَنَّتْ ، مُبَدِّ  
مِنْ تَرْضَوِ حِينَ مَرَّ دَ مَبْنِيَتْ نَ وَشَيْدُ  
عَنْ نَسَمِ إِلَّا اُتَمَّرَا شُ رَأَى الشَّهَابِ وَقَدْ تَوَقَّذُ  
مَنْ وَخَرَقَ مَسَدَ وَتَوَ اَهْنَدَى رُشْدَا لَا اُئْمَدُ



وَقَالَ لَهُمْ خُذُوا هَذِهِ السَّيْفَ فَإِنَّ فِيهَا نَبَأًا

مَنْ نَعَزَ الْكُفْرَ نِ غَدَا الْفِكْرَ قَايِلَا  
تَحَبَّتْ ذَوِي مَسِيرٍ وَبَنَتِ الْعُقُولَا  
مَنْ مَكَرِي فِيهِ سُبْرًا قَرَّ مِيَلَا  
مَنْ فِي غَمٍّ لَا يَهْدِي السَّبِيلَا



بسم الله الرحمن الرحيم ( الحمد لله ) نحمدك حق للنطاق الذي

بسم الله الرحمن الرحيم

١٠٠ - ت ح ر - خمسة قى . ح . لمة لباحثين تجاوز هذا النطاق ،

فعدوا أقدامهم، وخاضوا في بحوث لا طائل تحتها .. وبلغ بهم التيه في ميدان النظر أن تكلموا في ذات الله، هل صفاتها عنها؟ أو غيرها؟ أو لا عين ولا غير؟

ومضى بهم الجدل المحض إلى غير قرار!

وأى قرار في أمر لا يمكن أن تصل إليه الأفكار؟

من هذا البحث لو كان في ذات الإنسان مكان عسيراً، فكيف يسمح

به في ذات الله — جلا وعلا — ؟

إن علماء المسلمين الذين كتبوا في العقائد لم يقصدوا إلا الخير.

ونستأظن أن واحداً من الأولين والآخرين عمد إلى تشويه الدين

أو مسخ أثره في الأقدرة.

وفد تدعى اجلد ببعضهم إلى التقاذف بينهم مرة.

وفد بنت في هذا العصر قوم يريدون إفحام العامة فيما لا يهيقون من

بحوث، فقبلوا الأفكار في وقت نخسج فيه إلى تجميع الشمل وتركيز القوة

ضد اخضرة المادة التي تريد أن تعوى أعلاء التوحيد وتستهشرون في الإسلام!

بما دله هذ من يهتق مبدأ التوحيد ويسمى .. .. من .. ..

أن نرميه بالإفك وسحقه من الأمة كما يفعل الجحش.

وحسبنا أن نذكر الحق مجرد .. وأن نعرف الناس جميع .. أن الله عز

وجل ليس كمثلهم نبي .. ثم نظهر كيف من الخلاف في الخضوع والاعتراف ..

## الغنى المطلق

أمة سبحة ونعم وسع غنى .. وست سعة غنى .. في .. ..

هذه أمة سيواته وأرضه وما حوى من معدن غنى وعصر غنى ..



(٢)

الوحدة المطلقة

إِنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِد

نفس لهذا العبد إلا إله واحد ، يخضع له بالتمهر والجبروت كل ما سواه :  
 « إِن كُنْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ  
 وَعَدَّهُمْ عَنَّا . وَكَفَى آيَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ قَرْدًا » (١) .

وہذا مستقرہ تو ہمہ نس شرکا للہ فی اُویہہ ، لہ نجد اُحداً من  
ہذا۔ سرکہ۔ برعہ بین ترشحہ حائہ ، یکور فی ہذا الوجود شد طائلا .

هذه حجارة فتقطعها من سطح الأرض ، فهل يصح - في  
حالة عاف - أن حجرة من الأرض - بل الأرض كلها - تصلح  
تسكن فيها ؟

وعندوا صف من اخيوان وقدسوا اسمه — كما بفعل الهندوك إلى اليوم  
فمن هذا شجر — وهم رد لجه وشحمه — يصح نصب الألوهية ! فما الذي  
يوجب مدعى خفيق الأكسين ؟

ن. فَوَيْتَن سِفْهَوُاْ اُنْفُسَهُ عَدَمَ هَوَوَاْ بِهَا اِلَى هَذَا الدَّرَكِ !  
 وَف. دَعَى مَعْر لِسَ الْأَوْعِيَةِ اُنْفُسَهُ ، كَفَرَعُونَ حَاكِمَ مَعْر ، وَكَهَذَا  
 نَبِي حَجَّ . رَرِهِيَمَ فِي رَبُّهُ اَنْ اَنَاءَهُ اللهُ الْمَلِكَ اِذْ قَالَ اِبْرَاهِيْمُ رَبِّي  
 نَبِي حَجَّ وَنَبِيَتْ فَتَ : « اُحْبِبِي وَأُمِيَّتْ » (٢)

فمن هذا المنظر، أن السعة الحقة التي يستمتع بها والتي تجعله يقتل من  
رؤى... ويتبنى... ذلك تسويع المصوح لمنصب الألوهية.

وهذا الفن يبقى في رأس صاحبه حتى يقطعه جمهور الثوار ، ويرمون به في الأقدار .

وبعض الدّعاة من اليهود والنصارى ضلوا في فهم أنبيائهم ورفضوها إلى مصاف الآلهة ، مع أن هؤلاء المرسلين أبسوا إلا عبيداً موهوبين ، وقد كذبوا بهذا على أنفسهم وعلى الواقع .

فن الحاققة أن نظن في بشر — مهما علا شأنه — أنه خلق كوكباً من الكواكب ..

ولماذا يذهب بعيداً ؟ إن أحدهم ! يخلق ذباباً أو مادونها ، فكيف يُعَدُّ إلهاً من يعجز عن أى خلق ؟ .

لإن جرنومة من آلاف الجرائيم التي نسكن في بطن ذبابة ، لو سبت أحدهم صحتة ما قدر على ردها !! فن أين هذا ينسب إلى الألوهية ؟

## عيسى ابن مريم

ه تصادف خرافة من ارتواج في العالم مثل الخرافة التي تعد عيسى إلهاً هذا العالم — وسرك فيه مع الله — !! .

وهذه الخرافة نسج وتمنيق حسب اختلاف الأهواء والآراء .  
قدرة تعبر هذا الله خضعاً لإنراف شركة مساهمة من الله ثم من عسى وأمه وروح القدس .

وزرة نصيقي لمعبر هؤلاء الشركاء شعباً حتى ختبقه واحدة . ثم مظهر متعددة لإله واحد ، عى نحو مخرج عقل عن تصور ..  
وذلك كله سرود عن نصوب وضلال كبير :

« لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ .. » <sup>(١)</sup> .  
 « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ... » <sup>(٢)</sup> .

وعيسى شريفاً كل ويشرب وبقذف من جسمه بالفضلات الحيوانية ، فكيف تنبى عنه صفته الإنسانية ، أو يزعم له ما هو فوقها ؟  
 « مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ، كَذَّبَ الْمُكْفَرِينَ الْهَجَاءُ » <sup>(٣)</sup> .

ثم هو عسى يمنو وجهه نربه الأعلى ويذن في ساحته ، ويسمع — في صمت وإقرار — هذا التقرير الخطير « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ... » <sup>(٤)</sup> ؟ ؟

وعيسى عسى يعرف أنه نومه عند فقيران لله . ونوم احساب يقران بذنن ويسكر غمواً تعنين فيهب .

« أَتَى قَوْمٌ يَنْتَسِي نُحُودِي وَأُمِّي إِيْمَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ؟ قَالَ : مُنْخَضَاتٌ مَا تَكُونُ لِي نَفْوَةٌ مَا نَيْسَ لِي بِحَقِّهِ » <sup>(٥)</sup> « مَا قُلْتُ نَهْمٌ وَلَا مَا مَرَفِي بِهِ : إِنِّي اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... !! » <sup>(٦)</sup> .

وواقع مدى معوه صوت البسيطة : أنه من استحليل جعل عيسى إلهاً يعحق ويرزق ، ويخفى ويبيت ، ويدبر شئون البلاد والعباد ، وأمر السماء

(٣) لثامته : ٥٥ .

(٢) ثامته : ٧٣ .

(١) ثامته : ٧٧ .

(٥) ، (٦) ثامته : ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) ثامته : ١٧ .

والأرض . . إلخ . لأنه في حياته عبد ضعيف ، وبعد مماته رفات موارى في حفرة من التراب .

ومؤلهو عيسى يشعرون بذلك جيداً .

ومن ثمّ فهم بالمنسوق له القوة — التي تجعل منه إلهاً — من طبيعة أخرى غير طبيعته العاجزة كإسان وذلك بالتحابل على إيجاد نسبة بينه وبين الله — سبحانه وتعالى — هي نسبة البنوة — كأنه وليّ عهد ! ! . وزين لهم هذا التخيّل أن عيسى ولد من أم فقط .

والحق أن النسبة بين الله وبين خلقه كافة هي نسبة الموجد المتفضل بالإيجاد ، المخترع فيه أتم اختيار . على عاء لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا شوراً . وإن كل صامت وناطق في هذا العالم بدين لله بكيئوته وهو طوعاً أو كرهاً . يسبح بحمده ويذلّ لربوبه ! !

والله سبحانه وتعالى قد يجعل بعض مخلوقاته أرضاً وبعضها سمداً ، بعضها تراً ، وبعضها ذهباً ، بعضها نباتاً ، وبعضها حيواناً ، بعضها إنساً وبعضها جنّاً . فما على شيء من خلقه . فهو محض فضله ، وما حدد له وضعه فهو محض حكمته .

وقد ينح بعض البشر والانسكة مواهب تميزهم عن أقرانهم ثم يُخَدِّرون رسالاً بعده .

وبما من ريث بحقه . فإن ذاك لا يس من نسبة مفرقة بين الله وموجد الخلق .

بذل جعل مهديس من تحجر بت دعائه مخنفة في لعين ومحب



الآخر شرقت تلوح في المضاء ، غلت الأحجار العالية أنها قد تحولت مهندساً  
و تشه مهندس ؟

أى سخف هذا الذى يجعل بعض الخلق شركاء فى الألوهة ، لأنه منح  
فصل احترام ؛

وكيف معذور فى بديع السموات والأرض أن يكون والدك لتلك الأجساد  
التي ذرته ؟ وما عيسى فى جانب المنكوت الضمير ؛

وَقَالُوا : نَحْنُ نَرَى اللَّهَ فِي سَمَاءٍ مُتَبَعَةٍ أَلَمْ يَكُنْ عِبَادًا مُكْرَمِينَ ،  
يَسْمَعُونَ قَوْلَهُمْ وَيَسْمَعُونَ قَوْلَهُمْ (١) .

وسن الادبه عزما يهرف به الجهلة من ولادة وبنوة واتصال  
واس ( ! ) .

لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْنَعُوا كَمَا يَخْنُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ  
هُوَ تَعَالَى عَنِ الْجَاهِلِينَ (٢) .

وه كذب ولاده عسى من أم فقط ، ترسحه الألوهية — اصفة البنوة —  
كان قد فوسه . . . لكان الملائكة مقررون أولى بذلك .  
. . . من . . . لأعنى . . . واس من الخائضون .

## مغالطة

دوت فى مكرت الدكتور « شلى شميل » كلمة «واطن مسيحي»  
« . . . » . . . وجته أن يوفق بين الإسلام والمصرية فى حقيقة  
« . . . » . . .

وقد بنى هذا الكاتب فكرته على أن كلا الديانين نضمن حقائق مبهمة .  
 فإذا كان الغموض يكشف أوصاف المسيح وعلاقته رب العنبن في  
 النصرانية ، فكف في الإسلام من عبوب غمضة ! فهذه تلك . . . ولا داعي  
 لاعتبار التلبث . مصلة تنافي التوحيد الواجب لله . . .

قال الكاتب : « جعل أكثر كتبات المسلمين عقيدة النصراني في الإله  
 الواحد الذي ليس بمادة ، كما جعل أكثر كتّاب المصاري عقيدة المسلمين ،  
 ولكن لظهور الصعوبة في فاسفة العقيدة النصرانية بقول المصاري : إن  
 في الدين شأن هو فوق العقل . ويعدون ذلك من معاصره في تدنيه .  
 بعض المسلم أنهم يريدون تقوّمه فوق العقل أنه غير معقول ، ونيس هذا  
 هو مراد .

إن مراد أن العقل لا يكاد يدركه .

وكان مثل هذا القول شائعاً ومعروفاً عند المسلمين أيضاً  
 ولكن مع كسبه في هذه الأيام الجدلة فاموا بدون أن يدين  
 الإسلام وحده دين العقل ، وفسروه أن العقل يدرك كل شيء فيه .  
 وأما يدري كيف يدرك العقل أموراً أعظم من فهمه . من فهمه من  
 والعقل التي في الجنة ، ومتى علم الأرواح المحررة وعلم الملائكة  
 ولا يعرف كيف يستطيع أن يتكلم لغة لا يفهمها من ربه . ومضى  
 « وقد . . . ودي . . . فمضى ، إلى . . . رث . . . دحج . . . حدثت . . . ت . . . ود  
 المقدس ضوى »

في عقل . . . حصة . . . . . في . . . . . في . . . . . في . . . . .

وأى عقل يدرك حقيقة تنفخ الله في فرج مريم ، كما جاء في القرآن المجيد  
بنص هذه الآية :

« وَمَرْيَمَ إِتْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا » .

المصرافى يقول : الإله واحد كما قول المسلم .

ثم يقول "مصرافى" : إن عيسى كلمة الله وروح الله وهكذا يقول المسلم أيضاً .

و "مصرافى" يقول : إن مريم عذراء حلت بعيسى الذى هو روح الله وكلمة  
الله بن عيسى بن مريم . وهكذا يقول "مصرافى" .

والله اعلم بسرائر بني آدم ، بنواى انهم أولاً بين هذه التعابير وأن  
بمفهوم جيد قد أخذوا التصارى على التعبير بالأب والابن والروح القدس ،  
وقبل أن يدعوا عن هذه الفلسفة التى تبين أن هذه الكلمات الثلاث تدل على  
حقيقة واحدة ظهرت فى ثلاث مظاهر . وما بار موسى عن القارىء بيبعد .

هذه "الكلام" مطوى على حقيقة واحدة ، وقد أومحنا فى الفصل السابق أن  
هذه "الروايات" لا تعصب على العقل إدراكه ومن ما يعزى العقل باستحائه .

ففى معنى الغيب والسمية حقيقة شتى وكن وجودها وبجمل كنهها ،  
وحده . . . لا نبحث وجوده . . .

بلى معنى الغيب والسمية كنهات أمور نبحثها بأمثليها ، ولا يمكن  
من مكاتب "السمية" مستحبات المعصومة .

و "مصرافى" يقول : "وحده" كقول "حتم" المعصية من نفس مسألة غامضة ،

.....

## عرض واقفي وجدل نظري

باستقراء التاريخ وأحداثه ، لا نجد دعوى نُؤبَهُ لها من أحد يزعم أنه  
إِلَهٌ مع الله

والذين فهم ذلك عنهم ، إما متهمون أبرياء ، كـ بعض الرسل والملائكة ،  
وإما مخلوقات لا تعس ولا تعقل ، كالأحجار والأبقار ، وإما حكام سفلة ،  
كفراعنة مصر وأتباعهم . . .

وقد قام العلماء ببحوث جدية اثبتوا أنه ليس هناك مع الله إله آخر ،  
وإن كان الواقع العملي ينطق بذلك — فنحن في عالمنا المادي لا نجد هذا  
الآخر المزعوم ، وفيما وراء المادة لا يحول هذا الآخر أن ينصل بنا .  
ونرسون طائفة أكثروا — واحدا مد الآخر — أنهم جاءوا من عند  
الله رب العالمين :

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ » (١) .

فـ الذي أخبرنا هذا الإله الآخر عن ذلك التحدى يسكو موقعه  
من ضده ؟ .

حينئذ ننت كنه الله ، ونن كنه . . . أخرى موعود . . . لا ح لـ  
عقول مريضة . . . لا . . .



## إخلاص التوحيد

بعد الاستقراء التاريخي والاستعراض العقلي من نُحُوا وصف الألوهية زوراً ، نجزم بأنه لا إله إلا الله ، ونوقن بأنه لا شيء في العالم يرق عن مستوى العبودية الدليلة لهذا الإله الواحد القهار . !

غير أن الشر — وإن أحسوا بصوت الفطرة يصرخ في أعماق نفوسهم معلناً هذه الحقيقة الواحدة — يأتون إلا أن يلبسوا اخق بالباطل ، وأن يشوبوا هذا التوحيد الواضح بما يفسد صفاءه ، بل بما يمتث جذوره . !

فهم يتفرون — برغم أنوفهم — أن الله هو الخالق الرارق . ونسبيون مشركون ، يعبى لا أعظم يزعمون أن عيسى بنى أفقاً من السماء . أو أرسى ركناً من الأرض . أو رزق أمة من الناس ، أو أبت حقلاً من الخبواب أو حكمة من الفاكهة . . . . كلاً ، كلاً ، فأنه وحده رب هذا كله . ومع هذا الاعتراف فهم لا يوحدون الله في العبادة ولا يتوجهون إليه طاعة ولا يتزافون إليه بهذه التهمة التي نبعث من فطرتهم ، بل يذهبون إلى غيره بكل هذا . . . !

ومن هذا الغير : وَهْ أَنْصَرَفَ إِلَيْهِ وَجْهٌ خَلَقَ ؟ .

تقد احذل مشركون لمبرير نبروهم . أنهم ، ينهوا هيد . وبن أولئك الذين نهمو . لهم من دون مة . نية م مفتح . إليه لأكر جوا . لهم نوصيه إليه . . .

وهذا ما سنضيق أن سب إلى حبر أو سر حدة أو رقة . ولأن نجد فرد مة لهم . وسكب تور بدته و . وسفـ خيرته . . . !

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ » (١) .

\*\*\*

وهذا الصنيع العجاش نفوذ ومجون .

فيس لله بنت ولا بنون . ونس بين الله وبين عباده كلهم وسطاء ولا شفيع . ولا سمسة .

وكل شر — في لأولين ولآخرين — أن نفده سؤله إنه مبصرة .  
وإذا ذهب منه الحق كذا — ينصل بربه معتذراً مستغفراً ، لا يحمل  
توبته أحد من الناس .

والله شرع لعباده الذين من بدء الخليفة ، وضح لهم على لسان رسله  
هذه الحقيقة .

وإذا نزلت — وسرك — سبحانه وتعالى عن هذا الإفك — ما  
سار عبده « قُلْ إِنْ كُنْ يَرَاهُ يُرْسِلْهُ وَلَوْ أَنَّهُ أَوَّلُ النَّاسِ يُدْعَىٰ » (٢) .

كن هـ محض الكذب ونجس ، فكيف تورط فيه .

وإذا نزلت — وسرك — خذوا على الله هذه القرية — قرية الشركاء  
ووسد . — فإن هذا من حربه من ضعة إلى ضالة حتى نسوا الله نفسه  
— في تحو — سمسة — وذكروا ما دونه من أصنام أو من  
... من ...

« وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ <sup>(١)</sup> » .

ومن هنا ظفر هؤلاء الشركاء بنصيب الأسد في كل شيء ، في العبادة  
والإخلاص ، والسؤال والنذر ، والحب والحناسة ، ولم يبق لله من ذلك  
شيء يذكر .

« وَجَعَلْنَا لِمَنْ ذَرَأَ مِنَ الْخَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ ،  
بِرَّعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا . فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ ، فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ،  
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ <sup>(٢)</sup> » .

وفي الحديث القدسي : « إِنِّي وَالْإِنْسَ وَالْجِنُّ فِي تَبَا عَجِيبٍ . أُخْلَقُ  
وَأُؤَمِّدُ غَيْرِي ، وَأَرْزُقُ وَيُشْكِرُ غَيْرِي » .

وتقد سرت هذه اللوثة في العقائد حتى كادت تفسد على الناس  
حياتهم ومعيرهم .

وحسب الدين ضاللا . أن تمى عن إنشقاق التوحيد في الله - الوجود .

وإليك نسى ذ ترى نونية الخرفة أجيلا تزحم منك كب الأرض .

و مسيحية اشركة أقطار اسودها الأوهه .

« وَهَ نَؤْمِنُ كُذْرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ <sup>(٣)</sup> » .

وتسبوع هذا الشر في الله هو خفوة مؤدة حتى في ججود مد  
الآلهية . وعده الإيمان بهت لعظيم .



## مقارنات بين الشركاء والعبيد

أراد الله عز وجل أن يعرف سفهاء المشركين بأقدار الآلهة التي عبدوها من دون الله . فردد هذه المعبودات المظلومة بين صنفين :

إما أن تكون من جهادات ، فالمبيد أوسع قدرة من هذه الآلهة ، لأن لهم جوارح يستخدمونها فيم بشؤون .  
 إما هذه الأصنام المعبودة فماذا ؟ .

هَمْزٌ رَجُلٌ يَنْشُونَ رَبَّهَا ؛ أَمْ هَمْزٌ يُدِيرُ يَبْعَثُونَ رَبَّهَا ؛ أَمْ هَمْزٌ أَعْيَنَ  
 يُبْعِثُونَ رَبَّهَا ؛ أَمْ هَمْزٌ آذَانٌ يَسْمَعُونَ رَبَّهَا ؟ <sup>(١)</sup> « ليس لها من ذلك شيء .  
 وإما أن تكون هذه الآلهة المزعومة تلك ما ذكر من أدوات ومشاعر ،  
 فقد يتنحى ذلك من فضل ؟

سيكون الآلهة والعبيد سواء في القوى الذاتية والمنزلة الكونية .  
 ففى ألوهية نك :

إِن تَتَّبِعَنِ تَذْعُرُنِي مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أُمَثَلَكُمْ ، فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا  
 سَكْمًا . إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ » <sup>(٢)</sup> .

وانت ضبيعة لإسن أن يقف حاسراً فاصراً أمام ألوهية هي دونه  
 وهو فوفه : فإذ دعاه كنت بين أمرين . إما ألا اسمع وإما ألا تجيب .  
 إِن يَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَتَوَسَّعُوا مَا اسْتَجَابُوا إِلَيْكُمْ وَيَوْمَ

الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْ كُفْمٌ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ»<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن من النقائص أن تتعلق النفس البشرية بهذه الأوهام والأباطيل.



لقد كثرت في القرآن الكريم ضرب الأمثال ، وسوق الأدلة واستنارة الانتباه ، واستنهاض الكرامة الأدبية ، حتى تقوم من هذه الوهدة التي تدل فيها لمن هو دونها أو لمن هو مثلها .

وأفاض القرآن في استقصائه المعاني التي تصون الوجه من دنس الشرك ، وفي مخاطبة العاطفة الإنسانية بسوب رائع في رفته ، واضح في غايته .

« أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ ؟ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ؟ »<sup>(٢)</sup>.

« ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ ، وَرَجُلًا سَلَمَةً رَجُلًا ، هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ؟ اخُذْ لِلَّهِ . بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ؟ »<sup>(٣)</sup>.

واضح أن التوحيد روح الإسلام وجوهر عقيدته ومحور عباده المتنوعة ، ومبدأ التوحيد يسرى في تعاليمه كافة سرى في النبات أو الأعصاب في البدن .

وقد وصح القرآن الكريم حقيقته وبسط فكرته ، ونقش ما قد يعرض له أو يعارضه ، حتى يعتبر التوحيد الإسلامي أصرح وأكمل ما أسسه دين في

قلوب بنيه ، ودمغ البشر جميعاً بطابع العبودية لله وحده ، وانتزاع كل شارة لأى عبد يحاول الصعود فوق مستوى هذه العبودية ؛ وتحوير كل شعور يتجه بهنره إلى تقييد كائن ما — هنا أو هناك — كل ذلك من عناوين الإسلام الأولى ونبس من إرشاداته النافذة أبداً .

« إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ، وَمَا لِمُفْضِلِينَ مِنْ أَهْلِهِ » (١) .

وَمَنْ — وحده — هو الغدر الدفع ، انخفاض الرفع ؛ الذى يخلد أو يحرق ، ومعنى أو يمنع .

وليس لأحد بعده تعقيب على حكمه ؛ وليس من شأن ملك فى السماء أو نبي فى الأرض التدخل فى مشيئة الله .

فهى التى تحكم أبداً ، وإليها يحتكم أولاً وآخرأ .

وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْدَاؤُهُمْ لَا يَخْضِعُونَ رِغْبَاتِهِمْ عَلَى الْإِرَادَةِ الْعَلِيَا .

« وَلَمَّا نَفَوْا مِنْ إِيحَالِ التَّوْحِيدِ أَنْ نَكُلَ مَا فَوْقَ قُدْرَتِنَا وَإِرَادَتِنَا إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَأَنْ نَرْتَبِعَ خَوْفَهُ وَرَجَاءَهُ بِهِ » .

« نَبَسَ شَيْءٌ كَيْفَ عَمَدَةٍ » (٢) .

فَإِنْ قَرَأْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ ؟ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ؟ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ . عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ » (٣) .

للمؤمن قبة واحدة يولها وجهه . ويهبها فؤاده ، ويثبها نجواه وشكواه ،  
ويعرف على أشعتها طريقه في ظلمات الحياة .

للمؤمن صلة عليا بالله ، يحدد — على أساسها — علاقاته بالناس .  
وله عواطف تجيش بالأمن والقلق ، والسخط والرضا ، والحب والبغض ،  
والوحشة والأس .

ومهما اضطربت في نفسه هذه المشاعر المعتادة ، فإن ضوابط اليقين تحكمها ،  
وعرفانه بربه هو الذي ينقضها أو يبرمها .

وقد كان إمام الأنبياء يفرس هذه المعاني في قلوب المؤمنين حين كان  
يدعو في تهجده :

« اللَّهُمَّ لَكَ أَسَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ . وَعَلَيْكَ وَكَلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَسَلْتُ ،  
وَبِكَ خَصَمْتُ . وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَغَفِرْ لِي مَا فَرَسْتُ وَمَا خَرْتُ ،  
وَمَا أَمَرْتُ وَمَا أَعْلَلْتُ ، وَمَا أُنْتِ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي ، أَنْتَ الْمَقْدَمُ وَأَنْتَ  
الْمُؤَخَّرُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ . »

هذه مراعاة الحائرة الدخلة هي آية التوحيد الكس .

إذا مشت عَصْرَتِهَا في القُوب هَزَّتْهَا بِأَخِيَاةِ وَأَنَّهُ ، وَذَا فَرِغْتَ لَأَنفَسُ  
مِنْهَا فُوتُ ، وَالتَّوْتُ ، وَخَبِضْتُ فِي عَمٍّ مَ بَعْدَ عَمٍّ ...

ونحن — في الدب — نمر بنجرب شقي تكشف عن معدنه وخصائصه  
كما تكشف النجارب في معمل الكيمياء عن ميزات الغارات ونسوت  
الخنفة ...

وما يعرف الإيدين والكفر . وما نكسف لإحداص ونفد . وما نميز

الخيث والطيب إلا في هدى هذه التجارب التي تُكفّل القدر بإجرائها :  
 « وَبَنُوا سُلُوكًا بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ » (١) .



وإذا رأيت امرء يعبد غير الله أكثر مما يحب الله ، ويخاف العبد أكثر مما يخاف الرب ، وبتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس ، ويصدر عنه نفاق ، وصم أكثر مما يطلب ثواب الآخرة .

فإذا نزلت به كدّة كن مكبره في فلان قبل تمكبره في الله ! وإذا  
 سمع من غيرك حمد ماله سبق من شكره لله ... !  
 فاعلم أن هذا الشخص قد أشرك ..

ولئن كان بعض العلماء يقول : إن الشرك في العمل غير الشرك في الاعتقاد . وأن هذا شرك أصغر وذلك شرك أكبر .

فحقيقة ، أن النسبة أصعب مما يتصورون ويمتصرون للعامة .

فالشرك عين حجة قذرة ، إذا انفجرت في قلب وبدأت تسيل قطرات رشحته ، يوشك أن تتحول سيلاً كاسحاً ، ويومئذ لا يبقى في القلب إيمان حق وينحوي ما يسموه شركاً أصغر إلى عين الشرك التي يمدد الإسلام قبح الشكرك :

لَا تُؤْمِرُ بِالشِّرْكِ مِمَّا يَبْغِضُ إِلَهُ الْعَظِيمِ

وإسلامه يوم حرب اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، لم يحاربها معيها . وه سكن . وبينها عداوة شخصية : إما حاربها لأنها احتلت من عيوب المسلمين مكة السيد انصرف من عبيده الأذلين .

فكل ما يصرف القلوب مثلها عن الله فهو صنم . وكل من تكون في قلبه منزلة لشيء ما غير الله ، مثل منزلة هذه الأصنام في قلوب المشركين القداحي فهو — ولا كرامة — مثلهم ، يحسب منهم وينحسر معهم ولا يحب . فالخمر تحرم لعينها . وإنما حرم المسكر من كل شراب .

والإيمان بالله لا تتفاوت حقيقته ، وإن اختلفت نواقضه على توالى الأيام .

## توحيد العامة وما يعلوه من غبار

ينبغي لهذه الأمة أن تكون مثلاً عالياً في إسلام الوجه لله وإفراجه .  
بنية والعمل .

بيد أن نلاحظ — آسفين — أن هناك مائة شائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين ، لها دلالاتها الخطيرة على فساد التفكير ، وضلال الاتجاه واضطراب المقصد .

ولا يحب أن يارب في الكسوف عن هذه العلة . فإن شئ خد في دعائهم التوحيد معناه الخبث الذي يدرك موضع القيدة تمكيرية في هذا الدين الخفيف . إذ التوحيد في الإسلام حقيقة وعنوان . وساحة وأركان . وبعث وهدف ، ومبدأ ونهاية .

واسد — كدث — ممن يحب تصيّدتهم بفساد . ورميهم بفساد جزاء . واسباحة حقوقهم ضدّ وعوا .

ونكثت أمة نصرقت توجب عيب غفيرة فحس . والمصيح شخص . ومنبرحة بغير الكذب والسنة . كما وجد عن أي عرف .



بل المعروف من بديهيات الإسلام الأولى ، أن الطلب ووسيلته جميعاً ،  
يجب أن يكونا من الله « إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ » <sup>(١)</sup> .

(إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ) .

أليس من المضحك أن نستجد بقاء يطلبون لأنفسهم النجدة . وأن تتوسل  
بمن يئيب كل وسيلة ليستفيد خيراً أو يستدفع شراً ؟

« أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ » (٢).



إن المسلمين ما حال عليهم الأمد نسوا الحق .

والمرء قد يضر إذا ذهل عن شئ منه . أو فاته استصحاب شيء .  
أما أن يذهل عن كيانه وإيمته فهذا العظمة .

وأحسب أن القرآن الكريم كان يقصد في التنديد بهذا اللون من إفساد التوحيد عندما قال :

« وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ خَشْرِهِمْ ۖ وَمَا يَجْبَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ : «سُبْحٰنَ اُصْلٰتِهِ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ، اَمْ لَهُمْ صُلُوًا السَّيْلِ ، فَذُو سَعْدَاتٍ مَا كَانَ لِيَبْعِيَنَّكَ اَنْ يَخْجَلَ مِنْ دُونِكَ مِنْ اَوْلِيَاءَ وَاسْكِنْ مَنَظِبَهُمْ وَآءَهُمْ حَتَّىٰ تَسُوَّ النَّاسُ وَكَانَ قَوْمُهُ نَارًا ... » (۳)



أجل لقد نسوا الذكر ، وما قام عليه الذكر من توحيد شامل .  
 ونيس يغنى في الدفاع عن أولئك الجبهة من العوام أنهم يعرفون الله ،  
 ويعرفون أنه وحده بحبيب كل سؤال ، وباعث كل فضل ! وأن من دونه  
 لا يمكن من ذلك شيئاً .

فإن هذه المعرفة لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحبها أفراد الله بالدعاء والتوجه  
 والإخلاص ، فإن مشتركين أقدم . كانوا يعرفون الله كذلك .

فَمَنْ تَرَى نَسَكَ مِنْ شَمِّهِ وَلاَ رَضِيَ مِمَّنْ يَمْنَحُ السَّمْعَ وَالْأَصْفَارَ  
 وَمَنْ يَخْرِجُ حَيًّا مِنْ نَبْتٍ وَيَخْرِجُ نَيْتًا مِنْ أَخِيٍّ وَمَنْ يَدَبِّرُ الْأُمُورَ  
 فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ « (١) » .

ومع أنهم يقولون « الله » بصراحة وجلالة فلم يحسبوا بهذا القول مؤمنين .  
 لأن الإيمان — إذا عرفت الله حقاً — ألا تعرف غيره فيما هو  
 من تنويه .

ولذلك يستفرد القرآن في محاسبة هؤلاء « ... قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ .  
 فَسَيَقُولُ لِمَ تَقُولُونَ هَذَا مَعَكُمْ حَقٌّ إِلَّا الصَّالِحِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ .  
 كَذَبَتْ كُفَرَاءُ إِنَّهُمْ عَلَىٰ نَعْتٍ يَصِفُونَ أُنْهَىٰ فَاسْتَوُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » (٢) .

... مع ذلك ... يعرفون ربحاً في قلوبهم رفات بعض الناس .  
 ... مع ذلك ... يعرفون ربحاً ووجبت ولادعية إلى من يظنونهم أجاباً لله ،  
 ... يعرفون في حق الإسلام مآتم سنيمة .

ومهما قلبنا عملهم هذا من جميع وجوهه فلن نجد فيه ما يطمئن إليه ضمير المؤمن أبداً .

ومحبة الصالحين وانصاف الفاسدين من شعائر الإسلام حق .  
ومظاهر الحب والبغض معروفة . . هي معروفة للأخيار أو منفردة ،  
واسنخدر الموتى أو عامة .

وأين من عواطف الحب والبغض هذا الذي يضعه المسلمون اليوم ؟ .  
إن الواحد منهم قد يصدق أفسق الناس وقد يقطع والديه — وهم أحياء —  
ثم تراه مُسَرَّراً مُجَدَّاً في الذهاب إلى قبر من قبور الصالحين : لا يُدْعُو له  
ويُصَلِّب من الله أن يرحم — كمن هذا القبر : بل ينسئ صاحب القبر من  
حاجات الدين والآخرة ما هو مصطر إليه . ذلك حال مدين .  
وبناء المعبد على قبور الصالحين تقيد قديم ، وفي ذكر قرآن ما يدل  
على شيوعه في الأمم السابقة .



وفي نسخة أخرى كتب نسخ فوه : **ترجى :**  
« قَدْ دُفِنُوا بَنُو عَيْبَةَ نَبِيٍّ رَافِقُهُ عَمَّ يَرْبِيهِ ، وَفِي مَرِيٍّ عَسَوُغِيٍّ  
مَرِيٍّ مَسْخَرَتَ عَيْبَةَ مَسْجِدٍ » (١) .  
ويُسَمَّرُ تَحْدِثُ جَرَعِي مَوْرِكِي تَحْدِثُ . . . كُنْ مَحْصُورٌ بِنِ  
أَمْرِهِ دَهْ كُنْ دَلَالَةً مَنْرَةً .

غير أن البشر سَفِهُوا أنفسهم ، فالأجبار التي نحتوها للعظماء عبدوها ،  
أو — على حد تعبيرهم — اتخذوها إلى الله زلفى .

وتسبد التي أقاموها على قبور الصالحين قدسوها وسلكوها مسلك  
الأحصنة في الشرك .

فما جاء الإسلام أغان على هذين المظهرين من مظاهر الوثنية حرباً شعواء ،  
وتشدّد تشديد ضاهراً في محق هذه الماخرة النافقة .

وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل على بن أبى طالب  
وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قبر وأن يهدم كل صمد .

لحل الأصريحة العاية والأحصنة المنصوبة سواء في الضلالة .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم — في البيان عن سفاهة القدامى وفي  
الحديث من منتهى — : « مَنْ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، اتَّخَذُوا قُبُورَ  
«بَنِيهِمْ» مَسَاجِدَ ، لَا لَاتَّخَذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، إِنِّي أَنهَاكُمْ عَنْ هَذَا » .  
وكان يرفع نخمرة عن وجهه في مرض الموت وتكرر هذا المعنى .

وَرَبِّهِ فَوَحَّشَ شَرًّا مِمَّا يَقَعُ مِنْهُ فَدَعَا اللَّهَ :

« يَا مَنْ فَبَرِّى مِنْ هَذِهِ وَلَنْدَ يَعْبُدُ » .

وبعد هذه المذمة التي نصبت في الإسلام دون الوقوع في هذا المحذور ،  
قد تمسك المسلمون على ما سجدوا فوق قبور الصالحين . وتنافسوا في تشييد  
المساجد . حتى أصبحت تسمى على أسماء لا مسميات لها ، بل قد بنيت على  
فروع حسب وجت حيوانات .

ومع ذلك فعلى مزارات مشهورة معصورة . تقصد لتفريج الكرب ،  
وشفاء المرضى ، وتهوين الصّاب !! .



وأحب ألا أثير فتنة عياء بهدم هذه الأضرحة .  
فإن النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن هذه الكعبة وإعادة بنائها على  
قواعد إبراهيم ، لأن العرب كانوا حديثي عهد بشرك .  
وجاهد العامة الآن ينبغي أن تساق سوقاً رفيقاً إلى حقائق الإسلام  
حتى تنصرف — في هدوء — عن التوجه إلى هذه الأضرحة وشدة أرحان  
إلى ما بها من جنث

وإخلاص انظر وأسروبه في الدعوة . عليها معون كبير في تمحيص  
العقيدة عما عاقبها من شوائب وعس .

وقد تكون لدى البعض شبه في معنى التوسل .  
فلنفهم أولئك التماسرين أن التوسل في دين الله ، إنما هو بالإيمان الحق  
والعمل الصالح . وقد جاء في السنة .

« اللهم إني أسئلك بأنك أنت الله الذي لا يلهو : لأحمد الحميد  
الذي لا يلد ولا يولد ولا يكن له كفوا أحد » .  
فهذا توسل بالإيمان بدأت منه .

وجه — كنهات — توسل . من نصيح في حديث صلاة مدين  
وأهم التوسل .

وجه توسل بمعنى دعاء . من لأخيه ظهر غيب .



وفي قوله لنبئهم: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ (١)» .

أليس في الآية ما ينص على التوسل ؟

وجاءتنا رسالة من أزهرى : يقول فيها : إن أحد العلماء الرسميين يقول إن التوسل بمصحاب القمور واجب ، فإن لصاحب القبر تأثيراً أقوى من تأثير الحى ، ولا حرج فى ذلك ما دام المتوسل يعتقد أن الله هو الفاعل .

ويقول : إن الآيات التي استشهدنا بها على نفي هذه المزاعم نزلت في  
 مشركين خاصة ، وأن الرسول أمر الأعمى أن يتوسل به إلى الله فردَّ عليه  
 صرَّه .. الخ .



هذه هي جمة منه التي نعتق بها علاقة من الناس وبما عيها مساك  
حاشة ، عكزت رونق الوحيد الخالص . وردت كثير من مسمين إلى  
جهدية طمة مبكة .

وَنَحْنُ أَهَابُ السَّامَةِ الَّتِي تَمُرُّ نَاكِدًا خَفِيفًا فِي هَذَا الْخَبِيثِ وَسُفْرًا  
فِيهِ حَرَفٌ .

میر جمد مہر فیض مع وضوح حق و سبب : "ہیج : یہ حق و یان  
یعمل الناس شیئہ حمدا .

وایٹ ابین حمیرہ سابق سردار بن قمر ت .

وَقَدْ تَلَّى الْعَاصِي نَسْءَ مَحْرُومِي شَهْ مَسِيرَةٍ وَنَسْءَ ثَوِي . نَسْءَ  
يَسْتَعِزُّ أَحَدَ مُفْرَيْنِ قَلْبِ مَدْحَةٍ رِبِّ مَعِينِ . فَكَيْفَ لَا تُفِي .  
فِي لَمَنَازِلِهِ فَوْقِ .

إن إبليس دعا ربه مباشرة وأجيب .

« قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ <sup>(١)</sup> » .

وانشركون دَعُوا اللَّهَ مباشرة وأجيبوا .

« دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَمَا نُنَجِّهِمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ <sup>(٢)</sup> » .

فهي عصاة مسلمين يحرمون من حق أخذه أبليس وجنوده ؟

إن شئ مسلم يقع في خطأ فعليه أن يحذر بالدعاء إلى الله على عجل ، من غير توسيع نهي ، ولا ولي ، ولا إنسان ، ولا شيطان .

« وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا بِذُنُوبِهِمْ . وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ <sup>(٣)</sup> » .

نعم إن رجل إذا كان بحالة لا يقبل منه دعاء معها ، فلن يقبل فيه دعاء غيره له . ولو كان سيد الأنبياء .

ألا ترى كيف رَفِضَ استغفار الرسول نبي الله بن أبي ؟

فَمَنْ نَسِمَ مُعْتَدٍ فِيهِ — بل عليه — أَنْ يَدْعُو اللَّهَ وَلَا يَنْظُرَ فِي هَذَا عَرَبٍ مِنْ عِبَادَةِ بَنِي مَخْلُوقٍ أَبَدًا . . . ؟

وصحيح أن رجاء الدعاء تقتضي الإخلاص والتقوى .

وكن معصية ذميمة نحن فيه ؟

أنظن أن الرجل إذا قد الحرارة والصدق والتقى يذهب إلى ميت أوحى  
ليجد لديه العوض عما قدده ؟  
هذا زعم باطل ، وليس في دين الله ما يؤيده ؛ بل إن دين الله ضده .



والقول بأن العمل لا ينظر إليه ، وإنما تعتبر النية المنصاحبة له ، غير صحيح  
فالعمل المقبول — ديناً — يجب أن تتوفر فيه — أولاً — النية الصالحة ،  
وثانياً الصورة المشروعة .

وقد ان العمل لأحد هذين الركنين يبطله .  
فالعمل المتفق ظاهره مع الشرع إذا كان صاحبه مرئياً أو منافقاً محبطاً أجره .  
وانتقصد الصالح إذا لم يجر في طريقه الذي رسمه الدين فلا قيمة له  
ولا يلتفت إليه .

والتشريعات الوضعية لا تكترث بحسن النية عند ارتكاب محظور ،  
وترى أن الجاهل بالقانون لا يمنع من تطبيق القانون . وذلك سداً للاحتيال  
وحماية للحقيقة .

فهل يكون دين الله أنزل حرمة من هذه الشريعات ؟  
وبذا نستحي من وصف القموريين بنشرته . مع أن رسول وصف  
المرائين به ؛ فقال : « انركم شراكة » ..

إن واجب العبد المسلم أن يرمق هذه التوسلات النائية باستنكار . ببذل  
جهده في تعميم ذوبها ضرباً حق ، لأن بفرغ وسعه في تمحيص ولاعتذار ؛  
ونست ممن يحب تكفير الناس . وهي لأسباب . ولكن حرمه أن ندع الجاهل  
فمنك بالحق . ونحن شهود .



آية جريئة يرتكبها الطيب إذا هو طمأن المصدور ومنع عنه الدواء ،  
وأنه أنه سليم معاف ؟ إن ذلك لا يجوز .

\*\*\*

أما القول بأن الصحابة كانوا يتوسلون إلى الله بأشخاص الأحياء  
أو الأموات فنكر قبيح .

وم يروى من شعر منسوب إلى الإمام الشافعي فنحول لا أصل له .  
وقد ذكر ، — نحن — أن دعاء الإنسان لنفسه ولغيره مطلوب .  
وقد ج . ذنب في القرآن على نسان البين والصالحين .  
من دعاء إبراهيم :

« رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ »<sup>(١)</sup> .  
ومن أدعية نوح :

« رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ  
وَالْمُؤْمِنَاتِ »<sup>(٢)</sup> .

« وَالتَّائِبِينَ جَاهِلُوا مِنْ عَذَابِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ  
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ »<sup>(٣)</sup> .

وقد مر ، النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو بمضنا للبعض بظهر الغيب .  
ومن هذا قبيل وفي حدود تلك الدائرة من استعطاف العبيد لله  
وتوسيلهم باسترحمته واستغاثته ، طابَّ عمر من العباس أن بدعوا الله للمسلمين  
هذه العباس وكان نسعون حوله يؤمنون .

يَبْنَ الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس فقال : إن العباس لما استسقى به عمر قال :

اللَّهُمَّ لَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ وَلَا يُكْشَفُ إِلَّا بِتَوْبَةٍ وَقَدْ تَوَجَّهَ  
بِ الْقَوْمِ إِلَيْكَ إِمَّا كَانِي مِنْ نَبِيِّكَ ، وَهَذِهِ أَيْدِينَا إِلَيْكَ بِالدُّنُوبِ ،  
وَنَوَاصِينَا إِلَيْكَ بِالتَّوْبَةِ ، فَاسْتَعِنَا الْغِيثَ .

وليس ذلك مقصوراً على أن يدعو من توسم فيهم الصلاح من ظن بهم  
التقصير فهذا خطأ ، بل الأمر أعم .

وقد طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمر أن يدعو له .

وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام جمهور الأمة أن تدعوه .

أو نست نصلى عليه كما أمر الله ، وكما أمر رسول الله ؟

فصلة ذلك بالتوسل على هذا النحو المجنون الذي سقط فيه العامة ،

وجاراه عليه الكسالى والمترزقة والقاصرون من أذعيه العلم :



ونست أدرى ما علاقة التوسل بالآية الكريمة : « وَمَنْ يُجِدْ رَافِقًا

فَرَادَ رَبِّكَ أَنْ يَبْتَغِيَ غَنًى شَدِيدًا وَيَسْخَرِجَ كُنُوزَهُمْ » .

من الآية تفيد أن صلاح الآدمي يتبد نفعه في تدرية . كمن فسد

بنقل خطره .

— —

« وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا أَنَّ اللَّهَ ... » (١).

فالعشرون بعد موتهم قد يظهر في أعقابهم أثر من بركة استقامتهم .  
وقول : « قد » لأن للورثة قوانين سنّها رب الوجود الأعلى ولا تعرف بصيغتها .

وقد كان إبراهيم من سل رجل كافر ، وكان لنوح ابن عنيد الضلال .  
ومنه قول — في ذرية نوح وإبراهيم — : « وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ » (٢) .

ومن المنسبين إلى الأسرة النبوية في هذا العصر من أساءوا إلى الإسلام والعروبة أمتح الإساءة .

فإن كان السائل قصد أن هؤلاء هم أصنام العصر الحديث الذين يتوسل بهم الخوسر ، فقد كفر بهم وأساء بالله وحده .

ب. حين لا يدفع عن نفسه وهو حي ، فكيف يدفع عن غيره وهو ميت ؟  
وقوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ ... » (٣) .

س. تشرية ولا يبيح إلى جواز التوسل  
ولآء . حقن النخى للفقير باستغفار الرسول وذلك — بداهة —  
في حياة لا بعد موت

وبصورة تتحدث في هذا الموضع إن صدقوا فيها فهي أحوال توقف  
شبهه وسين شبهه

ومصادر الشريعة معروفة .

ولم يعرف من مصادر التشريع أن فلانا الصالح رأى في منامه كذا وكذا أو أن فلانا المجنوب خُيِّلَ إليه في أثناء زيارته للروضة النبوية كيت وكيت ولقد كان ابن عمر — نِمَا قَاضٍ فِي قَلْبِهِ مِنْ حُبِّ الرَّسُولِ يَتَصَرَّفُ تَصَرُّفَاتٍ خَاصَّةً ، فَكَانَ فِي سَفَرِهِ يَنْزِلُ حَيْثُ نَزَلَ الرَّسُولُ ، وَيَقْعُدُ حَيْثُ قَعَسَ حَاجَتُهُ وَلَوْ أَنَّ تَكُنَّ لَهُ حَاجَةٌ .

واعتبر العلماء هذا كله عاطفة لابن عمر وحده لا يلزمُ بها أحد ، ولا توصفُ بها شرع .

فإذا كان مص الدس يحكى أموراً عن محبته للرسول في قبره ، وأنه سلم فسمع ارد ثم حفى تفصيل اليد !!! هو بين حائنين .

إما أن يكون كاذباً فلا قيمة لكلامه .

وإما أن يكون مخلوقاً بمحب لعل ولا قيمة لكلامه كذلك . . .

ونحن لا بدع كذاباً وسنة من هذه الحكايات .

ثم قلت لربنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أقوى من أحي هو رجل محبوب !

ورعاه بانفسه الشريعة مداه لا اعتد أن المص هو له كلام فرع .

وقد أتت أن الشريكين القدماء كثر يعرفون أن الفعل هو له . وأن

وسمهم كان من دس . . . . . لا يقرؤوا في التوراة (١) . وأن

مهمه وه القيمة هو على سوية حقوق . حق :

« اللَّهُ إِنْ كُنَّا لِنَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، إِذْ سُوِّبَكُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ <sup>(١)</sup> » .  
وهناك عشرات الآيات تؤكد هذا المعنى .

سيقول بعض الناس : إن القدماء كانوا يعبدون .  
أما عواء اليوم فهم يدعون ويسألون فقط ، وشتان بين عبادة الجاهليين  
ونسب المحدثين بأولياء الله .

وقول : هذه مغالطة ، فالسؤال والدعاء — بنص القرآن والسنة —  
عبادة محضة :

« وَقَدْ رَأَيْتُمْ أَذْعُونِي أَسْتَجِبْ أَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ  
عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ <sup>(٢)</sup> » .  
وفي الحديث : « الدُّعَاءُ مَخُ الْعِبَادَةِ » .

فلماذا تتوجه إلى البشر بما هو من خصائص الألوهية ؟ ؟  
وهذا وقع الجهل في تلك الخطايا بنبأوتهم فلماذا لا سارع إلى إقناهم  
مهم . بل تزور القنوى لهم : ، وقد تذكر في هذا المجال قصة الأعمى الذي  
وصل إلى الله بسية يرد إليه نصره .

ومع أن نفس مع القار — لو صحت القصة — فهذا الأعمى دعا الله ،  
ووثقت حتى يدعون غيره .

لأن قصة مسهب نست من قسم الحديث الصحيح .  
ولاحضاج . لأمر النصيفة في العقائد والأحكام لا بقل من صاحبه .  
ومش هذه رواية قد تروج عند الوعظ بمصائل الأعمال .

\*\*\*

وآيات القرآن ينظر فيها إلى عموم اللفظ لا إلى خصوص السبب .  
وقد حرم الله الشرك على العرب فهو على غيرهم حرام .  
فالقول بأن الآيات نزلت في أهل الجاهلية وهدم جمالة لا نأبه لقائلها  
ولا نقيم لها اعتبارا .

رزقنا الله صدق التوحيد ، وأحيانا وأماننا عليه .  
جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الشُّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ الذَّرِّ  
عَلَى الصَّغَا فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ . وَأَدْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَوْرِ ، وَأَنْ  
تُبْغِضَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَدْلِ . وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ ؟ »  
ثم تلا : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ  
لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » <sup>(١)</sup> .

يعنى أن إخلاص التوحيد يقتضى محبة المدل وكرهية الظلم .  
فإذا أحب الإنسان جانراً وكره عادلاً فقد أشرك !!  
فإذا كان حسن الإسلام مرهف إلى هذا الحد في تمحيص القلوب وقدر  
اتجاهاتها انحصاراً ، فكيف يسوغ أن دنى إلى رجل يحتر بالدعاء لخير الله  
ويخاف ويرجو غير الله . ثم نقول له : لا بأس عيث .  
إن موقف العالم السليم في هذه القضية ليس موقف انغمى الذى بدافع عن  
الحرمه فيقف ساعة أو أكثر يزيغ التهمة ويؤوّل القنون !! بل موقف التاند  
عن معه الإسلام .

فإذا كان لا يعاقب الله لأنه جهل — كما يقولون — فَيُحْمَلُ دِينُ  
الله : ولا تتركه سبباً لمشيئتين .



(۲)

الکمال الاعلیٰ



## القدرة

العالم وما فيه من سكون وحركة ، أثر لقدرة الله سبحانه وتعالى . وليست  
لشيء ما ، قدرة ذاتية يستمدّها من طبيعته المجردة .

فإذا رُبّت البذور تشق التربة وينمو رويداً رويداً لسنوى على سوقها  
فذلك قدرة الله .

وإذا رأيت الأمواج تلطم الشطآن . رائحة غادية لاتهدأ حتى تثور ،  
فذلك قدرة الله .

وإذا رأيت القاطرات أو الطائرات تنهب الفضاء وتطوى الأبعاد وتحمل  
الأمثال فذلك قدرة الله .

وإذا رأيت البشر ينج بعضهم في بعض ، وينفعلون بالحب والبغض  
والفرح والحزن ، وضيقون عملين ، أو يهدأون نائمين ، فذلك قدرة الله .

وسواء شعرت أو لم تشعر ، فنبضات قلبك في حناياك ، وسريان دمك  
في عروقك ، وكون أخس في أعصابك ، وتجدد الحياة في خلاياك ، وانسكاب  
الإفرازات من غدتك ذلك كله قدرة الله . !

لا تحسبن تسد في الكون قادراً بنفسه .

فكم أن القدرة تدعنه أولاً من عدم ، فقد أودعت فيه من أسرارها ،  
ونشت فيه من آثارها . ما تدل عليها .

ومع جاحدين من عماء الطبيعة يردون مايقع تحت أبصارهم من هذه  
دلائل السهيدى بمحور محض ، أو قوى كامنة في المواد والعناصر المختلفة .

وهذا تخريف شائن ، ونسفيه للقل ، ومغالطة للواقع .

إن النور المتولد عن انتشار الكهرباء في الأسلاك ، والحركة الناشئة عن امتداد الأبخرة في المواسير ، والحديد المرتفع في الجو ، نتيجة تغيير المراحل الدائرة لمقادير الضغط — في الطائرة — كل أولئك لا يرفع قدر عنصر من العناصر المخلوقة فيه مرتبة الوجود المستقل ، فضلاً عن الإيجاد الرائع !  
لماذا يطلب منا أن نظن في مواد التربة أنها — بقدرتها — خلقت النبات ؟ ولو كان ذلك حقاً فما الذي يمنع التربة أن تكون إلهاً ؟ .

ولو كانت العناصر جميعاً بهذه المثابة مع حركاتها وسكونها ، فأى خبط يقع فيه نتيجة هذا العرض الأحق ؟ .

أليس أقصر طريق يصل به إلى الحق أن ننظر إلى العالم كله ، من أرضه سمائه ، على أنه صنع القدرة العليا . وأن كل ما ننجد فيه إله يقع تحت إشراف القدرة وهيمنتها ؟ .

من المؤسف أن نكون السمة الغالبة على كافة العلوم الطبيعية أنها تقوم على البحث الخرد في مادة الوجود ، وتعرف حقيقة الملائات والتصورات والروابط بين شتى العناصر .

وقلماً تلفت إلى شيء بعد ذلك . إذا وقت في نتائج معينة في موضوع بحثها .

ونتهى أغلب هذه العلوم بمن يدرسوها في علم جيد بالحقائق . وجهل ، طبقاً ببحثها ، لأنه لا ترد إليه عبارة ما في غصون لمحات لكثرة التسعة .  
وهذه — لا ريب — خيانة عمية . فإن دراسة هذا "الكون العظيم

تفد إلى صميم الفكر الحر بأشعة من الهدى والإيمان ، وتجعل الإنسان ينطلق  
— من الفؤاد — بمواطف الرهبة والرغبة — إلى هذا الخالق العظيم .

وهذه البحوث المنجدة لشعرنا ، القدرة الرائعة فيما نداوله من نواحي  
الضبيعة ، غير أن نغويها تحت سمعنا مهمة ، وسندرج المتعلم لإجراء  
ملاحظت وندرج ثم تسعه نموين نتيج .

ما لا نذكر من ورده حجب استغفة إلى عظمة الله جل جلاله و أمر  
لا يكثر له كثير من عهـ الكون والحياة .

وهكذا تفعل عوئها مبثورة ، لأنها نقصها الحلقة المفقودة بين  
الخلق والخلق .

من ذلك كله أن الله قدير على كل شيء ، وأنه قوى متين ، وأنه  
لا يؤوده خلق ولا أمر .

وَمَا كَانَ اللَّهُ بِمُجِزِهِ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ  
كَانَ عَظِيمَ قَدِيرٍ (١١) .

والقدرة في محض توسع لا يعيها شيء ألبنة ، وآثارها التي شهدتها تدل  
على حذقه لا ينف عن حدود .

ومن معنى ذلك مهمة أن تخرج القدرة على منطقها .

يقول — مثلا — : لا تسطيع قلب الحقائق !

وقد كان مكتوب ركي مدرث « سحيق » ، ونخله كان « مسطولا »

يوم كتب في ( البلاغ ) : إن الله لا يستطيع إخراجي من ملكه ، وإن الله لا يستطيع الجمع بين التقيضين ..  
والجنون فنون ! .

## الإرادة

والله — سبحانه وتعالى — فيما خلق وفيما يخلق ، وفيما دبر ويدبر به شئون العباد — كان يصوغ الكائنات في الأوضاع التي يريد بها . ويضفي عليها الأوصاف التي يشاؤها . ويبرزها في الأوقات التي يختارها ، لا ينكره أحد على شيء من ذلك كله .

وما ترى في الأرض والسماء من شئ في الوجود . وتميز في السموات هو مظهر الإرادة الحرة في كافة تعقباتها .

فما أوجد الله في هذا العصر كان من حقه الكامل أن يوجد في الآيات الخفية .

وما جعله من كوكب منته كن يستضيئ جبهه جدلا دوداً .

وفيريع اصمت ولا حجه والأحوال في أنحاء الكون العريض يس  
لا تسته العيب منه عز وجل .

وفورداً بحق الله سي حبس فيه على نحو آخر في قوانينه وقوانينه  
حياته ونفسه كما ممل .

وه ت ترى هذلق مشقة دون أي علق في إخراج الأصداف الخفيفة  
ن لأص د حـ

فحقول المنحورة تحذف محصولاتها كما وكيفية .

والبنور المنجاسة تنموت فروعها حلاوة وحموضة ولونا ووزنا في النبات .  
ولزما وبلا وذكاء و ملادة ، في الإنسان والحيوان .

« وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُنْتَجِرَاتٌ وَعَجَّتْ مِنْ أَغْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ  
صِيتُونَ وَعَيْذٌ صِيتُونَ يُشْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَفْضُلٌ نَفْضَةً عَلَى تَمَرٍ فِي الْأَكْثَرِ .  
بِئْسَ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ <sup>(١)</sup> » .

وفدبة سدر لآئمة على عظمة الإرادة — في هذا المعنى — بالنحل  
كل من يروى انسجبر فيحوته سهداً ، وكل منه اللود فيحوته حريراً ،  
وكل منه فخر أخرى فحوته قدرا .

وإذا اتهمت الإرادة إلى شيء فسحيل أن يتخلف أثرها .

« إِنْ رَأَيْتَ قَعْتَ بِنَا يُرِيدُ <sup>(٢)</sup> » . « إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ  
تَهُ كُنْ فَيَكُونُ <sup>(٣)</sup> » .

وإرادة الله أفدة في السماء والأرض . لا راد لها ولا معقب عليها .

« وَرَكَ يَخَافُ مَا يَسْأَلُهُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ <sup>(٤)</sup> » .

وقد تخلق الإرادة على قصد الشيء بسوب سلب .

فإنه قد خرجت من ست يستطيع صاحبه منعك من الخروج منه ،  
وسكه تركت . فهو سكونه يريد خروجك .

ويروى هذا معنى يسير منفي — ما ترك سيف الدولة مناصباً — ثم قال :

— مبرر عمه ، ومقبى النعمة على صاحبه — :

بذ ترحت عن فوه وفد قدرو ألا تفارقهم فالراحلون همو

ومثل هذا ترك امرئ يمشى في طريق الضلالة ويهيم على وجهه ، لأنه حرم أسباب اللطف ، والله قادر على سوقها إليه لو شاء ! .

ولعل ذلك تفسير قوله تعالى :

« وَلَا يَجْزِيكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُوا اللَّهَ شَيْئًا ، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .<sup>(١)</sup>  
« وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمْ تُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ ؛ إِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ » .<sup>(٢)</sup>

## الحكمة

وشمول الإرادة وعموم القدرة ، وكون الله سبحانه يفعل ما يريد متى يريد وكيف يريد ، ليس معناه أن أمور الخلق والرق ، وشئون القبض والبسط ، وحفظ الرفعة والصعة ، والإعزاز والإذلال ، والنصر والهزيمة — أن هذه جميعاً تصدر على طريقة الارتحال السريع ، أو الخواطر الساعية ، أو تم اتفاقاً وتقع مصدقات عارضة ! كلا . كلا .

فإن السكون كله خاضع لشبكة دقيقة السجج من الأسباب والنسب ، والسنن الشدة بخدمة . والقوانين مترابطة التكملة ، لا تضرب ولا تختاف ، وتجمع الشرع على مقتضاه .

فأنت تم صبحه بالإرادة والقدرة .

وسكن مضمر الإرادة والقدرة — فيما حرفة — من غرس وسقي ، وتهد ، ورمز ، ومك .

وحيث كتمل سرا سواً بالإرادة والقدرة .  
وسكن اكتمه في أضوار وأحوال ، لأند من توافرها ، ويسمحيل أن  
يوجد عيده

وهو من ثم في تلك من يسا ويرج تلك من يسا  
لا معنى في عيسى ويحمد — تقيم دونه ويهدم أخرى  
مدين دونه ، في تلك من يسا هـ واحد مقلدات صويله تسعرق سين  
وعصود ، حتى تقع — حده — زده .

وتنحى من منصفه والأفكار الدصرة يحسون أن وصف الله  
عز وجل أنه من ما يسا ، معاه أن أحكامه في عباده لا صايط لها  
ولا رابط بينها .

ويصعب تقيسون سعة السلطان الإلهي على ما عهدوه من تصرفات  
دوى سعة فيها

وحيث من يحصون حده عسوا ، وحسبون عت الحمى  
تدعى به من عن الخاهون عوا كير

لأصب ، سدت هي نتائج مائة بين أباى البشر ، لعلوا  
— حده — في مدين هـ . من حير وشر

دمود سعة وقتة معدة سريع الله في كونه ، أو بين عباده من  
هو من كونه . هـ هو من سرعية .

لنداب من معنى — أنه من ما يسا . أنه نيب العاصي أو يهدب  
هـ . في — حور عليه عله ، ومع منه العن !!

وهذا جهل شنيع . وسبب ذلك إلى الله تكذيب لما قال في كتابه العزيز .

ثم إن هذه المدالة مردّها إلى ما ينبغي لله من كالات ، بداهة .  
وإن مردّها إلى أنه لو ظلم تعرض لعقاب أو سؤال ، فلذلك مستحيل .  
ومن أين يحدث ذلك ، وهو يتفرد في الوجود بالألوهية ، بين عبيد  
عانت له وجوههم ، وذنت له رقابهم ؟

إن بعض الصمة من اسمين يفتنون في انطلاق الشيئة أن السنن الكونية  
صفر ، وأن المدالة العليا قد تتخلف ، ونشأ عن هذا استهتار غبي بالأعمال  
والمستثنويات ؛ سننجه عند الكلاء على القضاء والقدر .

## الحياة

مراتب الوجود مختلف رضة وضعة .

فالمجد أنز ربة من النبات . والحيوان أعلى درجة من النبات .  
والوجود الإنساني رقى من أنواع الوجود الأخرى .

والصاف منه سبحانه وهو حياة : معده أن وجوده يقع القبة في عظمته  
وآتبه . فهو موجود . ويعرف أنه موجود . وهو يهب لوجود غيره من  
درت وخنير ، ريس ثم فهو حي

إن بعض المداسة بين مقول أن مع معور في وجوده غيره .  
ويسمى بحق عية من أو مبدأ وجود . بعضون صورة مبهمه عن هد  
وجود . نشي

حتى نحسب أن معور . كانت عن . لهم يسبه نندعلات  
سكم . ن في لا يرج . ولا حده . وهذا محال . . .



فدلائل الحياة الكاملة تنبثق من الذات العليا انبثاقاً يتضاءل أمامه كل ما يعرف من صنوف الحياة ودرجاتها المختلفة .  
أطلق خيالك العنان ، وتصور كل ما تنتجه الأيدي « الحياة » من  
أحمر ، وما تنشئه العقول « الحياة » من أفكار ، وما تهتز به الأفتدة « الحياة »  
من مشاعر .

واجس هذا خيل يضم أشعث ذلك من مشارق الأرض ومغاريبها ،  
وسنجمع ما حدث و لأعصر الخنية وما يحدث اليوم وما سوف يحدث  
عد . إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . .

من مظاهر هذه الحياة المنعمة بالقوة والإنتاج ، لا تعد شيئاً مذكوراً بالنسبة  
إلى الحياة الإلهية الواسعة . بل هي أثر ضئيل من أعمال الحى الذى لا يموت ،  
الحى الذى ينفخ من روحه فى المواتم فيهتز ، وفى الجداد فيتحرك :

« إِنَّ اللَّهَ فَاتِقُ أَحَبِّ وَالتَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ  
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَ اللَّهُ فَاتِقُ تَوَافِكُونَ<sup>(١)</sup> » . « اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ  
الْحَيُّ الْقَيُّومُ<sup>(٢)</sup> » .

## العالم

الله تعالى عليم بكل شيء ، لا يسبق معرفته جهل ، ولا يعدو عليها نسيان  
ولا يمكن أن تخالف الواقع .

وعمه محيط بالأمس واليوم والغد ، بالظاهر والباطن ، بالدنيا والآخرة .

قد يعرف الإنسان شيئاً عن حاضره ، وقد يذكر طرفاً من ماضيه ، وما وراء ذلك فهو بالنسبة إليه غمماً .

بيد أن الإنسان لا يذكر من ماضيه الطويل إلا قليلاً من الحوادث ، ولا يدري من تاريخ العالم الذي يعيش فيه شيئاً طاملاً .

'سكن الله — وحده — نخفي أعمالنا الماضية ساعة ساعة ، ويسجل أحوال العالم القابرة دولة ، وحادثة حادثة .

« قَالَ قَمَّا بَأَنَّ الْقُرُونِ الْأُولَى ؟ قَالَ : عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى »<sup>(١)</sup> .

إنه علم يشرق على كل شيء : فينجلي بواطنه وخوافيه ، ويكشف بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته .

فالمشهود والغيب لديه سواء ، والقرب والبعيد والقاصي والداني .  
« إِلَيْهِ يَرْدُّ عِمُّ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ كِمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَمِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْفَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا عَلَيْهِ »<sup>(٢)</sup> .

واحد الإسمى يتعرف على كل شيء : إشرافاً ناعماً ، ويهيئ على أطوار موجودات — ما يحس منها وما ينو — هيمنة كاملة .

فعدد ما في صحارى الأرض من رمل ، وعدد ما في بحار الدنيا من قطرات ، وعدد ما في الأشجار من وراث ، وعدد ما في الأغصان من ثمر ، وما في لسان من حوب ، وما في روس الشر وجودهم من شعر .

ثم ما يمكن أن يعرف على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى ،

وما تحتاجه في وجودها من قوى منحددة ، وما يعترها من أوصاف متغيرة .  
 حيث كله يسوعه تتع واحد من أشعة العلم التي لا تدرى عقولنا من كنهها  
 لا هيلا : (وَسِيرُوا قَوَّكُمْ وَجَهَرُوا بِهٖ عَنِ بَدَاَتِ الصُّدُورِ .  
 لَا يَخْفَى مِنْ حَقِّ وَهُوَ خَفِيفٌ تَغْيِيرٌ<sup>(١)</sup> ) .

وهو نعم من حقايق ذات مقدسة .

وهو خير منه من حقايق خفية — على قدر طاقتها من معروف  
 كبرية ، ورتحات منه من حيوات الخفية ، حسب قواعد مدروسة ،  
 وحكم مدروسة .

وما وصل به الشر من ذلك مقرر معروف ، وما أوتوا إلا القليل .  
 أم الله عز وجل فكما قال في كتابه :

« وَجَنَّةٌ مَّتَافِئُ النَّبِيِّ لَا يَفْقَهُهَا إِلَّا هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ،  
 وَمَا سَقَطَ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا . وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ  
 وَلَا يَشَاءُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ<sup>(٢)</sup> » .

## السمع والبصر

عن شاذة صلى الله عليه : : « حَسْبُكَ الَّذِي وَسِعَتْ تَمَتُّهُ الْأَصْوَاتُ » .

٢- ج- ب- ع- ح- « حَوَاتِ » أي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جانب

سنت محمد ، سمع من رسول ، وقرن به عز وجل .

فد سمع به رسول في حديث في روجه وتشتكي إلى الله والله  
 سمع خوركم . رت مة سمع صبر<sup>(٣)</sup> .

أجل ! فإنا من كلام يدور بين الناس ، أو يحدث يتجاوزون أطرافه  
إلا سبق وقعة إلى سمع الرحمن ، جل وعلا . قبل أى شيء ! .  
ولا تحسبن أن الله حين يسمع نجوى جماعة يشغله ذلك عن سماع  
قوم آخرين .

كلا . فما يشغله شأن عن شأن ، وما تغيب عنه همسة وسط الضجيج ،  
ولا تشتبه عليه لغة على اختلاف الألسنة .

إليك — يا رسول الله الذى هدى إليها البشر — تجلس فى الشرق فتنتقل  
إليك محطات الإذاعة الأغاني والأحداث من المغرب ، طوية الأماض الشاسعة .  
فأدرا ما به وراء ذلك من أسرار الكون .

وما أيسر — فى منطق العقل — أن يشرف رب الكون سماعه على  
كل حركة وسكنة فى الوجود نفبت من مصدرها القريب أو البعيد — وليس  
ثمّة قرون ولا أممات تنسب إلى الله — فيسمع كنهها ويسمع صوتها وبصر  
وصفها ! . إن ذلك يسمع كل صوت .

وهذه أصوات يسمعها ويعلم . « ما أذن — ما نسمع — الله تعالى أذنه »  
بجى حسن أصوات نعى بفران يخبر به .

وكما يحل لله صوت فوحي . نحوه لألسنة : كبره أصوات  
محسوس .

لَا تُبْهِتُهُ خَيْرٌ رَّشَوٍ مِنْ فَوَهٍِ لَا مِنْ ضَمِيرٍ وَكَانَ اللَّهُ  
يَعْلَمُ شَيْئاً<sup>(١)</sup> .

ولا تستكثر أن يقال لك : إن الله يسمع خفقان القلوب في حنايا الخلق  
جميعين .

قد القوب إلا ثم قدرته ، شحها بالحياة ثم دفعها فهي تسير إلى أجل  
معهود ، فكيف لا يسمع أثر ما توجد ؟

وكأن الله يسمع كل شيء ، فهو يشهد كل شيء ، ورؤيته تنظر  
في أصدق الصفات فتستشف كوامنها .

قد هو بوجهة هي ضياء ، يصير به الخلق ، أو مكبر يعلم به الدقيق .  
إن كنت أدركت دلالة ، فاعلم أن هناك رابعا يبصر ما تفعلون ، ويسمع  
ما تقومون :

« نَهْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ابْصِرْ بِهِ وَأُسْمِعْ ، مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ  
مِنْ وَفٍّ وَلَا يُشِيرُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا » (١) .

عند رُس من موسى وهرون إلى فرعون ، توجَّسا من طغيانه وقالوا :  
« رَبَّنَا إِنَّا نَخَفُ أَنْ نَقْرُطَ عَيْنَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى قَالَ : لَا تَخَافَا إِنِّي  
مَعَكُمْ مُنْجٍ وَآزِي » (٢) .

به معبود ، ومع كبر كائن ، من بدء الخلق إلى قيام الساعة ، وما قبل  
ذلك وما بعده ، يسمع ويرى .

وهو — سبحانه — قد ركب في وجوهنا هذه العيون التي نقرأ به  
ونكتب . ونشهد به ما شاء .

— — —

ولكن ما قيمة رؤيتنا هذه إلى جانب الرؤية الإلهية المحيطة الشاملة .  
لو أن كل ذى بصرة انتظموا صفًا يستغرق محيط الأرض ، ثم اجتهدوا  
فى رؤية ما حولهم ، ما أبصروا شيئًا يذكر إلى جانب الرؤية الإلهية التى  
تستوعب جميع المدركات ، من جميع الجهات ، فى وقت واحد .

سواء فيها المستغنى بالليل والسارب بالنهَار ، الخالى وحده ، والبارز للناس :  
« وَمَا تَكُونُ فى شَأْنِهِ وَمَا تَنْتَوِيحُ مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا نَعْمَانٍ مِنْ  
عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ .. » (١) .

والإحساس بهذه الحقيقة جُزْءٌ من الدين ، بل هو قِسمته العليا :  
« الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَمَا نَتَّزَعُهُ . فَإِنْ نَتَّزَعُهُ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ  
يَرَاهُ » .

وملاحظة العبد لله ، أساسها شعوره بأنه سبحانه قائم على كل نفس  
بما كسبت ، ومُضْمِعٌ على ما أَسْرَتْ وأَعْلَمَتْ . وذلك وحده أُنْبُ التَّقْوَى  
ومِيرُ الإِخْلَاصِ .

## الكلام

هو وسيلة للإدراك عم فى "نفس من معرف ومعرفة ورغبت شتى ،  
وغيرهم ذللك لآخرين .

بلا شك أن الله سبحانه وتعالى مستحق هذا الوصف .

فقد شهد به عرف من ماله كنهه . بقتيد على شئون الإحياء والإيمانة .

في أنحاء العدة العريض ، كما عهد إلى ألوف وألوف منهم بشئون شتى ،  
لا ندرى منها إلا القليل .

وهذا السخير الدائم خاضع لأوامر الله التي يتكلم بها ، خلقاً ورزقاً ورفقاً  
وخفضاً ، ونحواً وإنباً ، وتقديراً وتدييراً .. الخ .

وما حفل به علم الله فوق الخصر ، وما يدل على هذا العلم — من كلمات  
لأنه قله — كدلت .

إن أحد — في مبصرة عمده محدودة — يحتاج إلى قاموس  
من لألفاظه :

قد غنت ربب نصين ، وهو ينكم مسكونه اواسع العظيم ؟ .  
لا ترى أن كلامه من السعة والاستبحار على النحور الذي يقول الله  
تعالى فيه :

« وَتَوَّزَّنَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَاءَ وَالْبَحْرِ يَمْدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ  
سَعَةً بَحْرًا مَدِيدًا كَيْدًا لِيَهِنَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا » (١) .

« قُلْ لَوْ كُنَّ سَحَابًا مَدِيدًا لَكَيْدَاتِ رَبِّي نَفِثَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ  
يُنْفَذَ كَيْدَاتِ رَبِّي وَوُجِدَ تَنْبِيْهِ مَدِيدًا » (٢) .

وكتبنا في نفي نزف على تبيته مظهر من مظاهر اتصافه جلالة  
— سكراته .

وقد كنهه موسى سكره وسوف يكفه كثيراً من عباده يوم القيمة .  
وأسر روح لآمين غده نوحى إلى صاحب الرسالة العظمى .  
مكن قرآن الحكمة لأخيرة في هدايت الله لعبده .

« وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (١).

أما حقيقة الكلام — كصفة لله — فلا تقصر فيها ولا تظليل ، لأننا دون هذا المجال بكثير .

يَبْدَأُ أَنْ نَعْرِضَ عَنْ الْكَلَامِ الْإِلَهِيِّ لَيْسَ أَلْفَاظًا تَصْنَعُهَا الشَّفَتَانِ وَاللِّسَانُ ، وَتَضْبَعُهَا الرِّثْنُ وَالْخَنْجَرَةُ وَالْأَسْنَانُ . فَذَاكَ شَأْنُ الْإِنْسَانِ لَا وَصْفُ الرَّحْمَنِ .

### أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ (٢)

إِذَا مَا اتَّجَهَ الْفِكَرُ فِي السَّمَوَاتِ حَيْثُ انْتَشَرَتْ النُّجُومُ فِي اللَّيْلِ ، وَإِذَا مَا كَلَّ ابْصَرَ فِيهَا لَا نَهَايَةَ لَهُ مِنَ الْأَفَاقِ الظُّلُمَةِ ، وَإِذَا مَا خَشَعَتِ النَّفْسُ خَشَعَتْ مِنْ رَهْبَةِ السَّكُونِ الشَّامِلِ ، فَإِنَّكَ تَشْرَفُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْأَفَاقِ ، وَتَسْمَعُ صَوْنَكَ فِي ذَلِكَ السَّكُونِ ، وَتَمْسُ بِمَضْمِنِكَ النَّفْسِ اخْتِشَاعًا مُطْمَئِنًّا .

حِينَئِذٍ يَبْدُو لَأَفَاقِ مُنْظَمَةٍ كُنْهٍ بِسَمَةِ مَشْرِقَةٍ ، وَتَبْتَحِلُ "سَكُونُ" فِي بَرَاتٍ مَعْرُوبَةٍ . نَبْهَثُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ . وَحِينَئِذٍ تَغْفِي النَّفْسُ اخْتِشَاعًا نَقُولُ : « أَنْتَ أَنْتَ اللَّهُ » .

وَهَذَا مَا كَانَ مُدْمِنًا عَلَى تَضَعِي "بَحْرِ نَفْسِي" ، وَرَسَّ الطَّرْفِ حِيدًا ، حَيْثُ تَخْذَعُ رُبُقَةٌ لِمَا يَزِيدُكَ مِنْ . وَحَيْثُ تَمُحِدرُ شَمْسٌ لِأَصْبَحِ زَوَيْدٍ يُوِيْدُ كُنْهٍ لِإِرْتِزَاسٍ سَجُورٍ . نَفْثِي فِي هَذَا مَسْجِدٍ مُبَاجٍ لِأَجْجٍ . وَحَيْثُ



تهدى الفلك ذات السراع الأبيض في حدود الأفق الملون بألوان الشفق ،  
كأنها طائر يسبح في العيم .

هذذات يشعّر الشأم من عقمة واسعة دونها عظمة البحر الواسع  
وإذ ذل كقرّ العين . صُشن الفلك الجارى على أديم الماء المهد ،  
وفي رتة به لعمد . حيث تكون مغر العقمة . وحيث تطمئن النفس  
برؤية ما تطمئن إليه في مضر جميل .

هذذات لدى نفود دوت صداد في النفس : « أنت أنت الله » .  
وهذا ما عشت نسية هيداً هيداً في البحر اللججى ، وهبت الزواجع ،  
وتبقت ربح ، وتمد بسحب القضاء ، واكفهر وجه السماء ، وأبرق  
البرق ، ورعد رعد ، وكانت ضمت بعضها فوق بعض ، ولبت بالسفينة  
الأمواج . وأجد البخر جهده ، وأفرغ الركن حيلته ، وأشرفت السفينة على  
العرق . وترعرع موب من كبر صوب وحبيب .

هذذات يسقى صيوت هذه الضمت وانسالك ، وتحيط بأفك بهذه  
الأخضر ومهنت . وتعلل نعب حذلك انكروين البائسين .  
وهذذات يردّد نعب وناسن : « أنت أنت الله » .

هذذات ما سد سقم من حاضت به عتبة الأصباء ، وسهر الأوفياء . ودم  
بين آمل محمدين ودعوت محمدين . ثم ضفت حيلة العبيب ، ولم تنفع وفاء  
أحبيب . وسحب رجاءى إلى .

هذذات محى من عرش عظمتك ، والواسبى خاتعة ، والنفوس  
جارية ، ولأدى رحمة ، وتقوم وجة نقول : « أنا قضت » ، ويقول  
صحب وقرب وحبيب : لئلا أمر . أنت أنت الله » .

وإذا ما باين الدنيا إسان وباينته ، إذ ينظر إلى المال فيلقاه فانياً ، وإلى الجاه فيلقاه ذاوياً ، وإلى الأمانى فيلقاها زائلة ، وإلى الآمال فيجدها باطلة ، وإلى الشهوات فيلقاها خادعة كاذبة ، وإلى المسرات فيجدها آفلة غاربة — إذ ذاك يستغنى عن الجاه والمال ، وتشل في نفسه حركة الآمال . وبين جاه يدول ، وأمل يزول لا يملأ فراغ النفس إلا ذكرك : « أنت أنت الله » .

وإذا ما وقعت العين على زهرة تنفتق في الأكمام ، أو تلاقت العين بعين يملؤها الحسن والابتسام . وإذا أعجب المعجبون بحمال القبر المنفوس ، وتفريد الطير المتربص . وعاود الصدر انشراحه ، وملا القلب ارتياحه .

— إذ ذاك يشرق في قلوب مورك الجليل فتراك : « أنت أنت الله » .

فيما يس النفس من مظاهر العظمة . ومظاهر السعة ، ومظاهر الرحمة ، ومظاهر القدرة والقض . ومظاهر البقاء والبقاء . ومظاهر الجلال والجلال — اعتد الناس أن يعنفوك بأعظم . وأواسع وأرحم . والقدور والدايم . والجميل والجميل . ووزر الصوب تردد : « أنت أنت الله ، أنت أنت الله » .



( ٤ )

القضاء والقدر

## الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من العقائد التي أسسها الإسلام على الإيمان بالله عز وجل ، وبأنه على المعرفة الصحيحة لذاته العليا وأسمائه الحسنى وصفاته العظمى .

ولا ريب أن الإسلام قد أوجب لله نعوت الكمال ، وصفات الجلال والجلل . ودعوى الحمد والتمجيد .

ووافق الحق في ذلك كله ، ثم فصلت هذه الكلمات الواجبة لرب الوجود « الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى <sup>(١)</sup> » .

فكان في عداد ما ينبغي الإيمان به والاطمئنان إليه ، أن الله وحده صفات العلم الواسع ، والإرادة الشاملة . والقدرة الكاملة ، وأنه — سبحانه — فعال بآياته .

وعلى هذه الصعد تمت عقيدة القضاء والقدر . فكان الإيمان بها لا ريب — جزء — متم للإيمان بالله ، وعنصراً من حقيقته الواضحة المشرقة .  
هو ، إن شاء الله ، وأحاط بكل شيء خيراً .  
سير . في هيمته دسب ناس في ججوره ، أم وثبت الأفلاك في مداراتها .  
وسمير . سينفرق لأمكنة على تعدادها ، والأزمنة على تطاوعها ،  
فما يغيب عنه نعمة في مشرق أو في مغرب ، وما يغيب عنه يوم في الأزل أو الأبد .

وأحداث الحياة — وما أكثر ما يلوح في آفاق الحياة من خير وشر  
ويأس ورجاء وحزن وفرح — ذلك كله استوعبه العلم الإلهي عدداً وإحصاءاً :  
« وَمَا يَمْزِجُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ  
وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ »<sup>(١)</sup> .

وفي صفحات هذا الكتاب خُطَّتْ سطور القضاء والقدر ، وعُرِفَتْ  
مصائر الأمور ، وَوُضِّحَتْ نهاياتها . من شقاوة وسعادة . ولكن أُنِىَ لنا  
علم بذلك ؟

إِنَّمَا الْغَيْبُ كِتَابٌ صَدَقَ عَنْ غُيُوبِ الْخَلْقِ رَبُّ الْعَالَمِينَ  
يَنْسَبُ بَيْنَهُ لِلنَّاسِ سِوَى صَفْحَةِ الْخَضِيرِ حِيناً بَعْدَ حِينٍ

وبتعمق القضاء والقدر بوقائع الحياة وأحداثها وأعمال الناس وتصرفاتهم  
على نحوين واضحين متميزين ! نكسل نحو منها حكمه الخاص وآثاره التي  
تقرب عيه .

وبين كلا القسمين فواصل قسمة ، تجدهم بوقوع في الدين القموض  
والاضطراب . ولذلك سنوضح حدود كل قسم ومعناه .

## نحن مجبورون في هذا كله

هذه أمور تحدث ويتم بحصص القدرة لمعب . وعلى وفق طبيعة الإلهية  
وحده . وعلى تنفذ في نفس طوعاً أو كرهاً . سواء تعرض لهم لدس أو لم يشعرو  
فحقوب ومقدر ما يودع فيهم من ذكركم . وغداً . ولا يفرجهم ولا يسب من

هدوء أو عنف ، والأجسام وما تكون عليه من طول أو قصر ، وجمال أو قبح ،  
والشخصيات وما تطبع عليه من امتداد أو انكماش ، والزمان الذى تولد فيه  
ومنكن الذى تحيا به . والبيئة التى تنشأ فى ظلها ، والوالدان اللذان تنحدر  
منهم . وما نتركه نورة فى دمنا من غرائز وميول : والحياة والموت ، والصحة  
والمرض . والسعة والضيق ، ذلك ومنله ، لا يد للإسان فيه .  
فأصبح تقدر وحدها هى التى تتحرك ظاهرة ومطلنة ، لتوجه الحياة كما  
يريد صاحب خيـة .

« إِنَّمَا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، هُوَ الَّذِي  
يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ »<sup>(١)</sup> .  
وعنّى عن البين ، أن شيئاً من هذا ليس محل مؤاخنة ولا موضع حساب  
ولمّا قلنا المقصود به نعرف أن الجسدية التى تنتهى إليها ، واللغة التى تنطق بها ،  
من مواد التكوين منى وجـه الإسان عيه ، ذكر أكان أو أبقى .  
هذه منى من الخصائص التى لا قبل لنا بها ، ولا سبيل لنا إليها ، وفى  
مـه يساق فور لقرآن الحكيم .

وَرَبَّنَا يَتَقَرَّبُ مَا يَشَاءُ وَيَعْتَصِرُ . مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ، سُبْحَانَ اللَّهِ  
وَعَدَى مَا يُشْرِكُونَ ، وَرَبَّنَا بِعَمَلِ مَا نَكُنْ صُدُورُهُمْ وَمَا يَعْلَمُونَ ، وَهُوَ  
مَعَهُ لَا يَبْئُتُ . لَا هُوَ تَعْلَمُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُ الْحُكْمُ ،  
فِيهِ يَرْجَعُونَ »<sup>(٢)</sup> .

والإيمان بهذا الضرب من القدر واجب ، والأدلة عليه متظاهرة من العقل والنقل .

وعلى المؤمن أن يوقن — من أعماق قلبه — أن هذه أمور مفروغ منها ، مفرقة على ذويها من قديم ، قد جفت الأقدام بها فلا راد لها !  
هذه أمور عليها الحق وأرادها ، ونفذها استقلالاً ، ولنا منها في قليل ولا كثير .

وقد أحسن سلفنا الصالح الإيمان بها ، فكان أثرها في مسلكهم رائعا .  
وإذا علم الواحد منهم أن أجله مكتوب لا يتقصه الإقدام ولا يزيده الإحجام ، أدى واجبه على وجه الأكمل ، وفي أذنيه دوي التوجيه الإلهي .  
« قُلْ أَنْ يَصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ نَأْنَى هُوَ مَوْلَانَا ، وَعَلَى اللَّهِ فَبِئْسَ الْكُلِّ مُؤْمِنُونَ » (١) .

ومواضع الرجوع إلى القضاء والنسب لله فيما أراد ، كثيرة متنوعة ، وهي تعطى أرجل صلابة وقوة واندفاعا ، وتملؤه عزيمة وتحملها وجلادة .

## هنا إرادتنا حرة

ثم القسم الثاني من منعمات القصد والتقدير ، فهو متصل بعمل على عكس الأولى .

ومن شعر حين أدبهم بيقظة عقول ، وحركة ميون ، وردة ضمير .

ثم مدى صنتهم : وما معنى نسمة التقدير .



انْخَطَبَ سَهْلٌ جَدًّا ، وسنجيب على هذا السائل بما يندر شبه المشوشين هباءً ، إن شاء الله .

« يا نَحْسُ ! باستقلال إرادتنا وقدرتنا فيما نباشر من أعمال تقع في دائرتيها ، وكان يكفي هذا الإحساس ذيلًا على حريتهما لولا أن هناك من يزعم أن الإحساس ككذب حي . »

ونكس ههنا إلى صدق هذا الإحساس ونكذب ما يفض من قيمته هذا أن نرجع إلى القرآن الكريم سفينة في ذلك .

وعن نحد قرآن يؤكده هذا الإحساس البشري و نود بحرية الإرادة الإنسانية :  
« وَقِيلَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ يَوْمًا تَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَقَدْ جَاءَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ آيَاتٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ » (١)

ولا ينبغي من المستوية الواضحة على ما يصدر منها :  
« قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي لِنُورٍ مَنِيعٍ وَمَنْ يَضِلْ غَيِّبَتِ رَأْسُ السَّيْفِ وَمَنْ يَسْتَقِمْ كُنَّا لَهُ أَصْنَافًا مِمَّا رَزَقْنَاهُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » (٢)  
ن . ن ضيعه بين — وهى نكيف والبناء — لا تتحقق ألبنة مع  
ستعد لإرادة وقيدده .

و . ع . الج . كدنت لا سوجه وبقريلا في هذا الجو الطاق النفسي .  
و . س . هـ موصع سرد آيات شهادة لذلك . فاقترآن كله شواهد  
يذت ودلا . وصحت .

« وقف نعم لإلهي . ذن من هذا النوع من أعمد الناس ؟ هو الإحاطة  
نمذو سمور كس : »

« عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى <sup>(١)</sup> » .

ولكن كيف يتفق القول بحرية الإرادة والقول بأن أعمالنا لن تخرج

عن دائرة العلم الإلهي المحيط الشامل ؟

والجواب سهل ! قف أمام مرآة مجلوة صافية وأنت عابس الوجه مقطب

الجبين فماذا ترى ؟ سترى صورتك كما هي عابسة مقطبة .

أي ذنب للمرأة في ذلك ؟ إن مهبتها أن تصف وأن تكشف وهي قد

صدقت فيما أثبتت لك ، ولو كنت ضاحك الوجه لأثبتت لك على صفحتها

خياراً ضاحكاً لا شك فيه .

كذلك صفحت العلم الإلهي ومراثيه لا تتصل بالأعمال اتصال تعريف

وتحريك ، ولكنه اتصال انكشاف ووضوح : فهي تنبع العمل

ولا ينبعها العمل .

غاية ما يمتد به العلم ، أنه لا يكشف الخضر فقط ، ولكنه يكشف

— كذلك — الماضي والمستقبل .

فيرى لأشياء على ما كانت عليه ، وعلى ما ستكون عليه . كما يراه

وهي كثرة . سوء . سوء !

بقى حد ذلك تفسير ما قررناه من ثغور لإرادة 'عبي' . ومن هيمنة

تفسدة 'عبي' على 'خلائق' كلفة . فما معنى ذلك وكيف يتفق مع حرية

إرادة الإنسانية ؟ :

## معنى

« يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ <sup>(١)</sup> »

انقلب في ذلك سهل كذلك ، ولن نذهب في بيانه إلى أبعد من كتاب الله من شاء من فهمه .

« وَقَدْ يَسِّرْهُ ، أَتَقْرَأَنَّ لِيَذْكُرَ فَهَلْ مِنْ مَذْكُورٍ <sup>(٢)</sup> » ؟

ونحن نجد أن إطلاق مشتة في آية : تَقِيْدُهُ آية أخرى يذكر فيها الاحتيال في صريحا .

في أن يصل الله شخص ، معناه : أن هذا الشخص آثر التمسك على الرشد ، وقره الله على مراده ، وتم له ما ينبغي لنفسه .

« فَغَدَّ زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُورِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ <sup>(٣)</sup> » .

واغتر إلى قيمة النوية بالاتباع الشرى المضاد .

« وَمَنْ يَشَاقِقِ رُسُلَ مِنْ كَرِهَ مَا يَبَيِّنُ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوهِ مَا نُوْحِيهِ جَهَنَّمَ <sup>(٤)</sup> » .

فهل بقي عموض في إطلاق المشتة : لا .

معنى قوله : يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، لا يعدو قوله :

« وَمَنْ يَضِلْ ، لَا الْفَاسِقِينَ . الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ <sup>(٥)</sup> » .

وكذلك خفي في : يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .

١/ ذكر : ٨ (٢) الحجر : ١٧ (٣) الصف : ٥

٢/ ذكر : ١١٥٠ (٤) النقرة : ٢٦ ، ٢٧



## كذب على دين الله

على أنه كثيراً ما يحدث أن تغلط مظاهر الجبر الإلهي بمظاهر الاختيار  
إلهي في قول عديلة لا تريد الآن أن تضرب لها الأمثلة .

وإنما تريد أن تبين أن احساب الأخروي شبه بالمعادلات الرياضية !  
ووجه منه ما أنه ثم يحاسب العبد على ما قدمت يده .

« لَمْ يَلَمْأَ لَمْ يَلَمْأَ لَمْ يَلَمْأَ مِثْلَ دَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُمْضَا عِفْهَا <sup>(١)</sup> » .

وسكن فرم من اس دعم أن الله كسب كل شيء ثم سخر الناس  
في هذه الحجة سقوده ، وأجبرهم على فعل ما يفعلون وترك ما يتركون .

وكان معنى هذه العقيدة الخرافية أن نسمع إلى بعض الجمل من  
السعوفين ، يرى المنكر أمامه فيهمز كفيه هائلا : ( وضع العباد فيما أراد ) .

و نسمع لأحد العصاة من النبجحين وهو قول لك — حين تنصحه —  
« يا بني » .

وهرب من أثره هؤلاء الخفين قول المنكرين — قديما في الاعتذار  
عن صلاتهم — ونوت الله فسد غير ذلك ! .

وقد سمعنا هذه الأصيل في غير موضع واحد من آياته الينيات .  
سَيَقُولُ نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا نَزَرْنَا  
مِنْ سَبْعَةِ كَذِبَاتٍ لَئِنْ قِيلَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَاسَنَا ، قُلْ :  
هَلْ شَكَّ مِنْ عِندِ فَخْرِ جُودِنَا ؟ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَتَمُّ  
لَا حَرَضُونَ <sup>(٢)</sup> .

وانظر كيف يرفض القرآن هذه المسكوبة الآلة ، إذ لا يلتفت للرد عليها حتى لا يكون نقاشها نوعاً من الاعتراف بها .

« وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرٌّ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ ، كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْأَمِينُ <sup>(١)</sup> » .

وما أثر هذا البلاغ الأمين عند الله وعند الناس ؛ إنه أثر يقطع دابر المحتجين .  
« رَأَوْا لَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ يُتْلَىٰ لَهُمْ السُّورُ الْكُبْرَىٰ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ رُسُلٍ . وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا <sup>(٢)</sup> » .

ألا فيفهم ذلك النيام ! يفهم ذلك الشرقيون الكسالى ممن يصنعون  
تسفة والإدراك !

يفهم ذلك الذين آثم الله العزيمة والقدرة . فهت عزائمهم ووهت  
سرم ، وناموا في ظلال الهزيمة والعدو ، على حين برز في الحياة أصحاب الهم  
جدة والسبق البعيد !

منهم ذلك الذين ضلوا عقيدة « اتقوا الله وتقربوا » ففروا في الإسلام  
مغبون منها إلى حمى الكريه و « وَلِيَّ كُلِّ قَوْمٍ نَبِيٌّ » <sup>(٣)</sup> .

## الاعتذار بالآقدار

كثير من يعنر الإنسان عن أخضته . بهو به ، ونهر به .  
وقد جاء خطب السلف بحقيقة جسمية ، لا يخرج في الكتب مثلاً ،  
بأنه لا يحد الذي لا يتنوى إلا على ما جاز .

قد يؤمر الإنسان بشيء ما ، فيثاقَلُ عنه ويخلد إلى الأرض ولا يؤديه ؛  
وقد يزجر عن شيء ما ، فيخضع به وينزلق إليه .  
فإذا ما حدثته في صنيعه هذا ، لم يذكر عنه الحقيقة من كسل عن الخير  
أو ميل إلى الشر .

ب ـ و — في صداقة — : ما حيلتي . ؛ إني مقهور ... معذور ...  
مرَدَد قَوْل سُرَكِين التَّدْمَاء — لما نَفَرَهُ الرِّسُول من عبادة الأصنام :  
وَقَالُوا : نَوَسْنَا الرِّجْلَيْنِ مَ عِبْدَهُنَّ ، مَا أَهْمُنَا بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ، إِنْ هُمْ  
لَا يَخْرُصُونَ . ثُمَّ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهَمُّ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ <sup>(١)</sup> .  
بِن تجاهل الإنسان ما زُوِّدَهُ اللهُ به من قوة وتفكير ، وما ذرأ في طبعنا  
من استعداد لفرصة والضعة ، وما وهبه من حرية تتوجه بها إلى الخير أو الشر  
دون أي ضغط أو غير .

ب ـ ذُنُوبُ التَّجَاهُلِ لَا تَنْقُصُ فَيَلًا مِنْ مَسْئُولِيهِهِ الْمَقْدَةُ عَلَى عَاتِقِهِ ، مِمَّا  
هَرَبَ مِنْ مُكْرَمَةِ وَأَمْرَاء .

وقد ضمتي مجلس مع نفر من أولئك الذين يرمون على القدر أنقائهم .  
وسمعت في مَشْهُورٍ وَتَعَقُّوْهُ مِنْ أَفْهَامٍ ، فوجدت أكثره أفهاماً مغشوة  
حوراً وورد من صوص .

وَبِ كَاتِ هَمِّ لَأَغْنِيكَ قَدْ رَاجَتْ — الْأَسْف — بَيْنَ جَاهِلِيَةِ الْعَامَةِ .  
قد رخص النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال الذين بنوا أنفسهم على  
جدد ومدة أن يستريحوا ساعة باسم هذا التمدد .

فمن على بن أبي طالب رضى الله عنه : أن رسول الله طرقة وفاطمة  
يلا فقال : ألا تصليان ؟ فقلت : يا رسول الله ، أنفسنا بيد الله فإذا شاء  
أن يبعثنا بعثنا .

فأعترف رسول الله حين قلت ذلك ، ولم يرجع إلى شيئا — نشدة  
استغرابه — ثم سمعته يقول — وهو موبى يضرب فخذه بيده — :  
« وَكَرَرْتُ الْإِنْتِنُ أَكْثَرَ نَفْسٍ جَدَلًا » <sup>(۱)</sup> .

إن هذه الكلمة من أبي الحسن ردت النبي صلى الله عليه وسلم وهو  
يعجب كيف قيات .

وئن تمتعت مع طبيعة الإنسان في الجدل ، فليست من طبيعة رجل كملى  
ه في دين الله مكانه .

وأما أمر الجهد والكلال الذى يصب المرء عذما . وى إلى فراشه  
فى حكمه دون ما المضرمه .

وقد روى فى بعضه قصة آدم مع موسى ديارا على جوار الاعذار  
شمر . وهى كرواها أو هريزة عن أبي صلى الله عليه وسلم :

حَنَجْ آدَمَ وَمُوسَى فَقَالَ مُوسَى : لَمْ تَدَمْ تَنْوُ . تَخَرَجْتَ مِنْ  
مَدَّة : فَدَلَّاهُ دَمَ : تَنْوُ . مُوسَى حُفَّتْهُ نَمَةُ كَلَامِهِ وَحَفَّتْ  
رِزْقَةُ بَيْتِهِ . تَنْوُمِي عَلَى قُرْبٍ وَتَرَدُّ لَمَّا عَنَى قَمَلٌ أَنْ يَحْمِي  
رَمِينَ . . . . . وَهُوَ رَسُولٌ نَمَ : لَحَنَجْ آدَمَ وَمُوسَى .

وهو حسب الناس على من . فقد من مكث فيه معدرون . قسرو .



فحدث وزواياه الأخرى ، يشير إلى أن موسى كان يريد تحميل آدم متاعب  
الذنبية كلها . ويرجع شقاء أبنائه جميعاً إلى أكلته المشتومة من الشجرة .  
وقد دافع آدم عن نفسه بصدق .

فإن وجود حياة الشجرة لم يكن نتيجة طبيعية ولا عقلية لذنب آدم .  
كان من الممكن جداً أن يعاقب آدم على خطئه بأى عقاب آخر كالتوبيخ  
أو حرمان مؤقت أو غير ذلك .

ثم ترتيب وجود الله . زخر بالآلام وآمانه على هذه المنصية ، فهذا قدر  
لهي محض لم يتركه آدم . ولا يجوز أن يعتب عليه ، ومن هنا حجج  
آدم موسى .

أما مستوية آدم انخوسة عن ذنبه الذى استغفر الله منه . فلا صلة له  
بهذه الحادثة .

بخطبة آدم . أنت من شرع ولا علة عقلية لوجود العالم واما  
له في تارة تكبرى يشفون وبكدهون .

بب توم موسى ذلك . عني آدم وردة إلى أن ذلك المقصود المكتوب .  
فلا يجوز لأى . من أن ينسب لأب لأول هذه الأورار كلها .  
وإن يرينا حتى يذهب لسنن :

قل موسى : رب . آتني آية أخرجهنا ونفسه من الجنة .  
فأمره من الله . آتني آية من الله .

فأنت تلو . آتني : فآتني . فآتني : أنت الذى أفتح الله فيك  
من ربحه . وآتني : آتني . وآتني : أنت الذى أفتح الله فيك .

قَالَ : قَمَا حَمَلَك عَلَى أَنْ تُخْرِجَنَا وَنَفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ ؟ .

قَالَ آدَمُ : فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا مُوسَى ! .

قَالَ : أَنْتَ الَّذِي اضْطَلَفْتَ رَبَّكَ بِرِسَالَتِهِ ؟ أَنْتَ زَيْبِي إِسْرَائِيلَ  
الَّذِي كَلَّمَكَ اللَّهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ وَهُوَ يَجْعَلُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ رَسُولًا مِنْ  
خَلْقِهِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ! .

قَالَ : فَمَا وَجَدْتَ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي كِتَابِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ أُخْبَرَ ؟ .

قَالَ : بَلَى ! ! قَالَ : أَفَتَوَدَّعِي فِي شَيْءٍ سَبَقَ فِيهِ مِنَ اللَّهِ الْقَضَاءَ قَبْلِي ؟ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَحِجَّ آدَمَ مُوسَى ، فَحِجَّ آدَمَ مُوسَى ،  
فَحِجَّ آدَمَ مُوسَى .

إِنْ آدَمَ يَعْرِى — مِنْ غَيْرِ مَرَاءٍ — أَنَّهُ أَخْضَعَ حِينَ أُكِلَ مِنَ الشَّجَرَةِ  
وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ عَنْ صِدْقٍ . وَطَلَبَ مِنَ اللَّهِ مَغْفِرَةً وَغُفِرَ لَهُ !

أَمَّا أَنَّهُ مَعْدُومٌ وَقَعَتْ فِيهِ الْبُشْرَةُ كُلُّهَا مِنْ عَدْنِهِ . فَهَذَا مَا أُسْكِرَهُ  
— وَهُوَ مُحَقَّقٌ — وَجَعَهُ مِنْ شَتَّى الْقُدْرَةِ الْأَعْلَى : وَقَتَعَ بِذَلِكَ مُوسَى كَمَا رَأَيْتَ  
وَمِنْ السَّحَابِ أَنْ يَخْفَى ، نَحْنُ ثُمَّ نَسُوقُ كَيْفَ آدَمَ عَزَرَ . . . عَلَى خَفِئَتِهِ .

بِالنَّصُورَةِ الَّتِي يَرْتَمِيهَا جَبَرِيُّونَ بَعْدَهُ لَا تَرْمِيهِ إِلَّا بِأَنْ يَنْوَضِيَ مَضَاقِعَهُ  
وَالْخَطْبُ اثْنَتَيْنِ .

وَمَا كَانَ شَرٌّ — فِي ظُهُورِهِ — قَوْمُونَ بِدَوْرِ لَا حَبْرَةَ لَهُمْ فِيهِ .  
فَبِهِ لَا تَغْرِفُونَ مِنْ بَرٍّ وَفَاحِرٍ .

وَبِأَنَّ السَّيِّعَ فِي كَلَامِهِ مَعْنَى صُوفِيَّةٍ مِمَّنْ يَنْوَضِي بِمَرْغَبٍ نَدِيسٍ .  
تَسْوِيَةً بَيْنَ آدَمَ وَهَيْبَسَ . وَبَيْنَ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ . يَذْكُرُ — فِي ظُهُورِهِ —  
مَرْغُوفٌ فِي عَيْنِ مَقْدُورٍ عِيدٍ رُلًا .

و - خذہ لا رواۃ قوم افرادہا مافرض علیہم من موافق ،  
و معصوم : مفاہم کت .

عَرَى احَقَّة رَوْثَةُ اِمْتَنَ ! اَلْاَمَلُ سِرٌّ وَالنَّهَارُ الْمُنَاقِبُ  
وَبِوَقْتِ رُبَّ هَذِهِ الصُّورَةِ مَرْتَسَمَةٌ فِي اُذُنِ الْكَبِيرِينَ ،  
مُصَوِّرَةٌ لَهُمْ مَعْنَى رَحْمَةِ وَهَيْبَةِ يَوْمِ الْمَحْشَرِ .

۱۔ مولانا محمد رفیع بن مسعود الصلاہ بن امام فسوا  
حق کے لیے شہید ہوئے اور وہیں رحمت الٰہیہ ہے ۔  
۲۔ انیس سال بعد وفات ہوئے علی تصحیح الفہم فی عمدة  
المقصد و غیرہ جسے مولانا نے لکھا تھا ۔

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله  
والحمد لله الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

١- من اجل اننا نعلم ان الله تعالى يحب المتقين

[illegible][illegible]

•

وإنما القصد صرف همة الرسول عن قوم طائفا دعاهم ، و بدل جهوده  
لإقازمهم من غوايتهم ، فأَصْرُوا على سَكْبِ الصراط المنسقيم بمحصن اختيارهم .  
وقول الله تعالى « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَاسْكِنِ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ .<sup>(١)</sup> » لا يعنى أكثر من مواساة الرسول عند ما مات عنه أبو طالب  
كافراً ، وكان شدد احرص على إيمانه .

يَبْدَأُ أن الرجل إلى آخر لحظة من حياته آثاراً تفيض على الوحيد مع  
طون مائدة الرسول إياه أن يؤمن بالله و يدخل في دينه .  
وقوله تعالى « وَهَذَا ذَرْأًا نَحْنُ كَافِرٌ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أُمَّةٌ قُتِبَتْ  
لَا يَفْقَهُونَ شَيْئاً<sup>(٢)</sup> »

معناه أن الأغصاء الساردين عن الحق يرتجحون أعينهم عنهم مناههم وسرودهم .  
لحاء العير عنهم منمتاً مع أسلوب اللغة في الأداء البليغ .  
فقد قول الأُسَاد لئلامته في الدرس — مهدداً الكسالى — : إن  
سقوط سحير صديده من كل أيدي نالاع بالدروس و متى الامتحان .  
وهذا الكلام لا يسى يترادفه مناهره د .



ثم إن كل فعل حسرى تم . فيه يصح أن يسبى في الجسر على .  
سببه ، وبنى الله على أنه الحق له .  
و ررعة سبى الملاح . يسبى في ش .  
سبب المدرة وذناب تسبب لإحد .

وإذا ترددت على المسئلة إلى الإنسان وحده . أو إلى الله وحده . فإن  
يرحمه لا يمي مداه الأخرى .

و د سبب هذه المائدة معك فهم — على صحتها — آيات  
كثيرة من غير توريث. على أن المعنى قد يكون من الله حلماً، ولا ريب

لا ی کتب صوی و عی و فوه .  
 لا یاری حر رانی لاری

کتاب میں مذکور ہے، والإعانة والشفا إلى ربه .  
 مادی ہے یعنی وبسعیہ، ویدامرحب فهو یسیر<sup>(۲)</sup> «  
 ترجمہ: فعل جہدوں۔ شیخ حرق اسمیۃ: «وَرَدُّهُ أُرْغَبَ»<sup>(۳)</sup>،  
 وہ۔ رحمہ کے۔ اَدْرَتْ۔ مَعَهُ دُرَّهْمٌ وَيَسْجِدُ حَقَّ

تاریخ و جغرافیہ کی تعلیم کے لیے

... ..  
... ..

\_\_\_\_\_

A 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1041 1042 1043 104

« وَذُودُوا أَنْ تَبْكُمُ الْحَيَّةُ أَوْ يَنْسُوَهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »<sup>(١)</sup>

وقد جاء في القدر أحاديث شتى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، توصح ما قد يسره على الأنظار فيها حتى تقطع الأعداء الباطل بها .  
فَعَنْ عَلِيٍّ : كُنَّا فِي حَارَفٍ فِي بَقِيعِ الْعَرْفَدِ ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ فَعَدَدَ وَفَعَدَّا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِحْضَرُهُ ، فَكُنَّا وَحَدَّيْنَاهُ نَسْكُتٌ بِمِحْضَرِهِ ،  
تَحْتَهُ قَالَ :

« مَا مِثْلُكَ مِنْ حَدٍّ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ  
الْحَيَّةِ ، فَقَالُوا : . . . رَسُولُ اللَّهِ . أَفَإِلَّا مِثْلُكَ عَلَى كَيْفَايَا وَلَدَعِ الْعَمَلِ :  
وَلَمْ يَنْعَمُوا فَكُنَّا مُتَسَرِّبِينَ حَيْثُ لَمْ .

ثُمَّ مَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّعْدَةِ فَصَبِرَ عَمَلٍ هَؤُلَاءِ السَّعْدَةِ .  
وَمَنْ كَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّعْدَةِ فَصَبِرَ عَمَلٍ هَؤُلَاءِ السَّعْدَةِ ثُمَّ رَأَى :  
« هَؤُلَاءِ مَنْ نَعَى وَآمَنَ وَتَوَقَّعَ بِحَسْبِ مَسْأَلَتِهِ بِشَرِّهِ ،  
وَمَنْ مَنْ عَيْنٍ وَالْأَعْيَانِ وَكَانَتْ بِحَسْبِ مَسْأَلَتِهِ بِشَرِّهِ »<sup>(٢)</sup>

وحدث — بمصر — . — لا بأس .

ثم قال رحمه الله تعالى : سمعنا في هذا . . . . . في الآخرة .  
من باب الرعب . . . . . لا تفتيه . . .

وَمَنْ كَانَ سَقَى مِنْ هَؤُلَاءِ يَزِيدُ مِنْ عَيْنِ هَؤُلَاءِ : كَتَبَ لَنَا مِنْ

هَؤُلَاءِ مَنْ كَسَبَ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ .

— سر — . . . . . — حبيب — . . . . . من عرف

ل . . . . .

١ . . . . . ٢ . . . . .

فمن زرع تفاحاً آتاه الله ثمرة شبيهة ، ومن زرع شوكا جنى ما غرس .  
والآية التي استشهد بها النبي صلى الله عليه وسلم تدل أوضح دلالة على ذلك .  
فمن من تعلق بسباب اخير — من عطاء وتقوى وتصديق — أكل الله  
حبه ويسره لمحسنى .

ومن تعلق بسباب الشر من بخل وجور وتكذيب — أتم له قصده  
وتمى له في غيبه . ويسره للعسرى .

وإيت حديث آخر عذا رجب به الجهالة . يعسبون أنهم سوف ينقضون  
دين الله من قوم عدا ودين به أقوى مما يظنون ، وأعلى مما يبصرون .

ورد عن أبي صلى الله عليه وسلم :

« وَبَيَّ لَأَيَّةٍ إِلَّا هُوَ إِنْ حَدَّثَكَ بِعَمَلٍ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى  
تَكُونَ بَيِّنَةً وَبَيِّنَةً إِلَّا ذِرَاعًا . فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ  
أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَإِنْ حَدَّثَكَ بِعَمَلٍ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى  
تَكُونَ بِهِ دِينَ ذِرَاعًا . فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ  
بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ . »

وهذا الحديث يدل على أن صاحب حسن الخلق من الناس . خواصهم أعمدهم تغاير  
عنهم ما يرى .

فمن من حسن الخلق من حسن الخلق من حسن الخلق .

فمن من حسن الخلق من حسن الخلق من حسن الخلق .  
فمن من حسن الخلق من حسن الخلق من حسن الخلق .

فمن من حسن الخلق من حسن الخلق من حسن الخلق .

ولو أن أحداً أطلع النيب ثم قارن بين ما يراه في أحوال هذين في مطالع  
حياتهما ، وما سطر في الكتاب عن خواتيم أعمارهما ، لَعَجِبَ وطال  
استغرابه .

غير أن هذه المنصائر المتناقضة لا يمكن للقدر السابق أثر جبرى في خطها  
على هذا النحو .

والتصير في الحديث الوارد بِسَبْقِ الكتاب لا يعنى أكثر من دقة العلم  
وانضباطه ، وهو جارٍ في هذا على أساليب المبالغة في لغة العرب .

فقد تتوقع بشخص ما نهاية معينة ، فإذا وصل إليها عجزت عن ذلك  
بتعبيرين كلاهما صحيح .

تقول : تحقق فيه ظنى ، أو صدق فيه حكى .

ولك أن تزداد تنويعاً بفراستك وذكاؤك فنقول :

إنه ما كان يستطيع أن يفعل غير ما توقعته ، أو تقول : إن حكى  
لا يتخلف أبداً .

وكذا في اللغة من تعبيرات تقوم على هذه التحويلات اللفظية المختلفة :

وَمِمَّنْهُ مُفْتَرَّةٌ أَرْجَاؤُهُ كُنَّ زَوْنٌ أَرْضِيهِ سَمَاؤُهُ

أى كأن لون سمائه أرضه .

وفى التشبيه المقلوب قالوا :

كُنَّ الصَّبَاحُ امْتَالِقٌ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حِينَ يُعْطَى .

وبقول الله تعالى مثلاً : « يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ » (١)



والنقى لا تفننوا بأشيطان .

ومهما اختلفت التراكيب والأساليب فإن المعنى لا يخفى على اللبيب .  
ومن ثم فلا يعوز أن نهدر حريتنا في العمل وأن نلقى النبعة على القدر ،  
منعطين به لا نبغى الحق به .

## إجابة ساخرة ...

سأني سأل : هل الإنسان مُسَيَّر أم مُخَيَّر ؟ فظرت إليه في ضيق شديد .  
وورثت لي تنوياً معه في لإجابة ، كما التوى هو مع فطرته في هذا السؤال  
وفات : : الإنسان نوعان : نوع يعيش في الشرق ، ونوع يعيش في الغرب  
ولأول مُسَيَّر ! والآخر مُخَيَّر ! . ففكر الرجل فاه عن ابتسامة هي بالضبط  
عصب تدوب الكسنى والعجزة والثرائين الذين بنشرون في بلادنا .

ثم قال : معذرة الكلام : إني أسألك : هل الإنسان إرادة حرة وقدرية  
مصنفة نفس بهما مع وتربنتا تربنتا ، أم هو مجبور ؟

فدنت له : قد أحدث ، الإنسان في الغرب مستقل وفي الشرق منعدم .  
عنه إرادة وقدرية . وهذا لا شيء !!

فصحت أحد أعذاره : هذه إجابة سياسية . فقالت : وإنها لدينية  
كذلك ..

رجل من قومه في الغرب شعروا بأنهم عقولا ففكروا بها حتى  
كسبوا من يدع لكون .

وشعروا بأنهم إرادة فصمموا بها حتى النقت في أيديهم مصائر الأمم  
والتتبعات .

وشعروا بأن لهم قدرة ، فجابوا اشارق والفتارب ، وصنعوا الروائع  
والمجائب ..

أما نحن فهذا .. رجل من ألوف الألوف التي ترحم البلاد يأتي ليسفنى  
في هذه المعضلة التي غاب عنه خلها .

أنه حقاً عقل حر يستطيع أن يفكر به ؟

أله إرادة يستطيع أن يعزم بها ؟

أله قوة يستطيع أن يتحرك بها .

وإلى أن نثبت له نحن ذلك ! سوف يبدأ فيفكر ثم يعزم ثم يعمل !!

أما الآن فهو — فعلاً — مسير من ذلك الرجل المتغير في الغرب ..

ما أبعد البؤن بين الشخصين .

الرجل في الغرب أثمى به في تيار الحياة ، فلم أن له أعصاء يستطيع أن

يعوم بها . فظل يسبح مع التيار نارة وصدده نرة أخرى ، حتى وصل

إلى الشاطئ !!

أما هنا ، فلما أتى بالرجل في معتزات الأموج ، بدأ يسأل نفسه :

هل أما حتى حقاً أم أنا جنة هامدة :

أو بتعبير المتفهمين ، هل أنا حرٌّ أم أعضائي مقبدة ؟

ولكن التيار الجارف لا ينتظر نتائج هذه التسفطة . فلا يثبت أن

يخوضه اليه مع الهالكين .

ونيس يُفنى في عزائه قول الشاعر السفيه :

لَقَدْ هُمُ فِي الْيَمِّ مَكْتُونٌ وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ إِذْ أَنْ نَبْنَى مُمْ-

اعمل أيها الرجل ، ولا تغل : هل أنا مسير أم بخير .  
 واستغل للمواهب التي آتاك الله . واشعر بأن لك في الحياة حقوقاً عليك  
 للحيوة واجبات .  
 وكفى كذب على الدين وعلى الدنيا !

## على هامش الأقدار

( ١ ) قد يلقى القدر على جملة القوانين التي تضبط شئون الحياة  
 ولاحدها . وسمي على سبب ظهور الكون ورواها في الأرض والسموات  
 و... . من حق الأشياء من ذرات وخلايا تخضع في كمها وكيفها  
 حسب دقيقة دئمة . وتؤدي أغراض وجودها في خط لا فصل عنه ولا تحيد :  
 « رَبُّكَ الَّذِي عَلَّمَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى » (١) .

فمن بين التي تعرف بها مقادير العناصر التي تكون الماء ، والقوانين  
 التي تعرف بها أجسامنا . وصفوه إذا بنحدر أو تجدد أو اسباب أو اندفع .  
 من كنه مقادير الخلق التي يُسَيَّرُ عليها ملكوته في الكائنات كلها  
 من غير عوج أو اضطراب :

« رَبُّكَ الَّذِي خَلَقَهُ يَقْدَرُ » (٢) .

سبح اسم ربك الذي خلق فسوَّى ، والذي قدَّرَ فهَدَى (٣) .  
 وقد سرَّ حق في من هذه من ضج الثمار واسنواها ، وتخلق  
 لأجدة في رحمة لأهوت ونزوف وتكثُر الليل والنهار ببيعة حركة الأفلاك  
 في مدتها . دلت كنه قدر حكيم . ونفاه مستقيم :

« إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْخَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْخَلْقَ مِنَ اللَّيْلِ وَيُخْرِجُ اللَّيْلَ مِنَ الْخَلْقِ . ذَلِكَ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » (١) .

(٢) عدالة القدر لا تنافي التفضل والتمييز ، أعنى أن الرجلين قد يؤديان عملاً مشابهاً . ويستحقان أجراً واحداً ، ومع ذلك يعطى الله الرجلين أجرهما ثم يمنح أحدهما زيادة خاصة من لده ويترك الآخر !!

وقد يرتكب محطتان ذنباً واحداً ويستحقان عقوبة مشتركة ، ثم يصدر عفو عن أحدهما ، ويبقى الآخر رهين ذنبه !

هذه الأحكام إنما قررهما ليعرف الناس أن الله لا مستكره له ولا قيد على مشيئته ، فليأت العباد إلى ساحته وقلوبهم متفعدة بمشاعر الرغبة والرغبة فحسب !

« إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ، يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » (٣) .

ومن ثمَّ تعرف القصد من إسناد العموم إلى المشيئة العليا ، ثم فيما يتصل بمغفرة الذنوب .

« إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ . إِلَيْهِ تَقْلَبُونَ . وَمَا أَنزَلْنَا بِمُفْجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . وَمَا تَكُنْ لَكَ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ » (٤) .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) الأنعام : ٩٥ ، ٩٦ (٢) آ - عمران : ٧٣ ، ٧٤

(٣) المذكبات : ٢٠ — ٢٢

« إِنَّمَا تَقَاوُكُمْ فِيهَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَمْرِ ، كَمَا يَمِينُ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ! »

أَوَيْ أَهْلَ التَّوْرَةِ التَّوْرَةَ فَعَمِلُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ فَعَجَزُوا . فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا . . .

ثُمَّ أَوَيْ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ فَعَجَزُوا فَأَعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا .

ثُمَّ أَوَيْتِنَا الْقُرْآنَ فَعَمَلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَأَعْطَيْنَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ! فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ : أَيُّ رَبٍّ : أُعْطِيتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ ، وَأَعْطَيْنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا ، وَنَحْنُ كُنَّا أَكْثَرَ عَمَلًا مِنْهُمْ ؟ ؟ .

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَهُوَ فَضْلِي أَوْتِيهِ مَنْ أَشَاءَ .

\*\*\*

وكذا في أوضاع الحياة من نفوت يرجع أسره إلى القدر الأعلى .

هذا النوع بما ينطوي عليه من تفاضل ، هو من دعائم العمران وظمه وجود .

فمن مستحيل أن يُخْلَقَ النَّاسُ متساوين في كفاياتهم المادية والأدبية ، وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية أو أجزبتهم الدنيوية والأخروية .

وإذا ضيف إلى قوهها الحياة تحتاج إلى رهوس وأذرة وأقدام ، وهم ليس قسم على هذه الأنحاء يؤدي الاجتماع البشري رسالته متناسقة منكممة . وينتج بقع العيب في أعمال الناس إذا وضعوا رأساً موضع قدمه ! بقسم موضع رأس !

والأمة التي تصنع ذلك تشبه الأحق الذي يضع طربوشه في رجله ،  
وحذاءه على دماغه .

وما أكثر هذه الأمم في الشرق المحتل المحتل .

لِنَدْعُ هذا الآن فلسنا بمدد إصلاح اجتماعي ، ولسنا نريد لقت نظر  
إلى أن الأقدار قد توزع الأعمال والأعباء على الناس ، كما يوزع القائد جنوده  
في المعركة ، فيكون حظ بعضهم الوقوف في صفوف القتال الأمامية لتلقى  
الضربة الأولى ، بينما يكون حظ الآخرين قتل اللؤن وكتابة الرسائل في مؤخرة  
الجبهة . وكلا الصلين ضروري في الميدان .

• • •

على أن هذا التفاوت لا يضير قاعدة العدل في الجزاء ، ولا ينفى ألبنة  
أن القدر ببخس حقاً ، أو يجهل وضماً .

فلكل امرئ عند الله حسابه الخاص به .

وفي دائرة ما زود الإنسان به من قوى ، وأتيح له من فرص ، وأحيط  
به من ظروف ، يكون تقدير ثوابه وعقابه .

قرأت مرة : أنه أقيم سبق فريد للطيران ، لم تكن تمنح الجوائز فيه للطيّار  
الذي يصل إلى الغاية المرسومة قبل غيره . بل كانت تجري معادلات جبرية  
مقننة بين قوى الطائرات .

وما تستطيع الآلات في حدود طاقتها أن تمصمه ، مع مراعاة حال الجو  
ولمكان الرؤية وسرعة الريح . . الخ .

ومعنى ذلك أنه قد يحدث أن تصل طائرة مسبقة بزوج طائرات أخرى .  
مثلاً ، وتصل الجائزة الأولى لا الخامسة . كما يظن ذؤن وهذه .

إن هذا السباق مثل قريب للتفاوت الشاسع بين قيم النفوس وما أودع الله فيها من ذكاء ومقدرة ونشاط ، تختلف أنصبة الناس منه اختلافاً كبيراً ومثل كذلك للأسلوب الذى توزن به أفعالهم ، ويحكم به على جهودهم من غيافتيات أو هضم .

« وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُغْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ » (١)  
 إن النفوس أشبه ما تكون بمصابيح الكهرباء ، هذا يضيء بقوة خمسين شمعة ، والآخر بقوة مائة ، وغيرها بقوة مائتين .

فهذا أضواء المصباح ذو المائة شمعة بقوة سبعين فقط ، فهو أكثر عطلة من مصباح ذى خمسين شمعة يضيء بأربعين .

وإن كان المصباح الأول فى نظر الناس أسطع من الأخير :  
 ما أكثر الذين وهبه الله طاقات ضخمة وظروفاً مواتية ، فأضاءت نفوسهم من دونه بقدر يحسبه الناس كبيراً وهو عند الله صغير .

وما أكثر الذين وهبوا نفوساً محدودة فاستنارت بصائرهم بقدر من الإسلام . يحسبه الناس هيناً وهو عند الله عظيم .

« تَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ . وَلَا يَسَاءُ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ » (٢)

لقد رآنا عميق — كما أسلفنا — فى تكوين الإنسان ، وفى مدى ما يزود به من طاقة واستعداد ، وفى تحديد الدائرة التى يكدر فيها ما بقى حياً

ويتوسع علماء الوراثة في إحصاء ما ينحدر إلى الإنسان من صفات كامنة أو ظاهرة ، ويرجعون أكثر مظاهر السلوك إلى ما ولد به الإنسان من ميول ونزعات .

وقد ثبت أن هناك علاقة قوية بين إفراز الغدد في داخل البدن وبين اعتدال المزاج أو حدته .

فغشاق الغدد الجنسية وما ترسله من « هرمونات » في الدم ، له دخل كبير في شدة مقاومة الفرد للإغراء الجنسي أو ضعفه .

ولجسوسة الغدد المجاورة للكلبي « درنال » أثر في مقدار تهيج المرء حين يخاف أو يغضب ، نظراً لما تسكبه هذه الغدد في الدم من عصارات منشطة للقلب والمضلات .

من أجل ذلك نلاحظ أن الأفراد يختلفون في ميولهم وانفعالاتهم وتباين مواقفهم بإزاء ما يعرض لهم من مشاكل الحياة وأعراضها ومفاتها ومبازلها . لكن هذه الموروثات اللقطة لن تزيد في قوتها عن الفرائز العامة .

وهذه وتلك يمكن — كما يقول علم النفس — تعديلها حتى تؤائم القوانين المشروعة .

فبدلاً من أن يهتاج الإنسان للباطل يهتاج للحق !!  
وأما كون هياجه غنياً أو خفيفاً في الحائنين فأمر فطري لا يحين . . . وإن كنا لا ننقل حسابه في تقويم أقدار الناس .

وقد نعيره اهتمامنا عند تحديد المسئولية<sup>(١)</sup> في الذنوب المترسكة .

\*\*\*

ويقول علم النفس : إن هناك معنيين بـ « شذوذ »<sup>(٢)</sup> في تصرفاتهم .

(١) و(٢) في محث الإيمان والخطيئة بروح ضويلة لهذه المسالك وصلتها بحقيقة نفوس .



فيهم المولع بمدّ درجات الثَّمِّ ، أو قطع البلاط ، أو مصايح الشوارع .  
وما أثيرَ عن الأدب الإنجليزي « جونسون » أنه لا يمر بحاجز خشبيٍّ  
إلا نس بيده كل فائمة من قوائمه . فإذا نسي واحدة عاد إليها ليلبسها  
من جديد ! .

ومنهم من بفرع من رؤية قَار ، مع أنه معروف بالشجاعة .  
ومنهم من يميل إلى سرقة أشياء من نوع خاص ، مهما بلغت ثمناتها ،  
مع أنه من الأغنياء المحترمين !! .  
هذه الأمور وأشباهها تدل على أن المرء قد يسلك سلوكا لا يقصده ، وأن  
فيه قوى باطنة تعمل في الخفاء .

وكان القدماء يعزونها قديماً إلى النعب أو الخليل أو الألفاز .  
ولكن المحدثين يردونها إلى إحياء العقل الباطن .  
وفي مسألة تداعي المعاني بقول علم النفس : إن هذا التداعي كثيراً  
ما نحكم فيه ويخبط ، راداً ويوقع تحت تأثير ما نحب وما نكره .  
ولاشك أن هذه أحوالاً من الكآبة النفسية قد تتوارد على الإنسان  
من حيث لا يدري . فهو من عزمه .

وربما كانت مثل هذه الحالات هي التي دفعت على بن أبي طالب  
في قول أبيه صلى الله عليه وسلم كفته<sup>(١)</sup> السابقة .  
وقد رفض النبي قوماً لأن قوايين الحياة العامة لا ترتبط بأمثال هذه  
نسبت أو هنة من تدعى معاني أو تنافرها ، سواء كانت في السراء  
أو في الضر .

(٥)

العقل أساس الإيمان

آمنت بالله ، أى عرفته معرفة بلغت حد اليقين .  
 وأسمنت له ، أى خضعت لحكمه عن طوعية وإختيار .  
 وكلنا الإيمان والإسلام فى نظر الشرع مترادفتان أو متلازمتان .  
 فحقيقة الإسلام تتضمن أداء العبادات المطلوبة . فهى تصديق بالله  
 وتنفيذ لأمره .

وحقيقة الإيمان تنطوى على المعرفة الصحيحة والقيام بحقوقها .  
 ومن ثمَّ معنى اليقين ملحوظ فى الإسلام ، ومعنى الخضوع ملحوظ  
 فى الإيمان .

ولا يقبل إسلام خلا عن اليقين ، كما لا يقبل إيمان مجرد عن الخضوع لله !  
 وقول الله تعالى : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ : آمَنَّا . قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ  
 قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ <sup>(١)</sup> » .  
 فإن هذا الإسلام الذى ذكرته الآية ، لبس الدين الحق الذى عَنَتَهُ  
 الآية الأخرى .

« وَمَنْ تَبِعَ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا قَدِنَ قَبْلَ مِنْهُ <sup>(٢)</sup> » .  
 فهو خضوع عن قهر وغلط . ولا قيمة له إلا إذا سكن الإيمان القلب  
 واستقر فيه .

والإيمان المستقر ، ما افتقر إلى طاعة ، وتطهر من الجحود والاستكبار  
 عن أمره .

« وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ، ثُمَّ يَقُولُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِمَّنْ أَمَرَ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ » (١).

\*\*\*

وقد اعتبرت كلمة « الإسلام » علماً على الدين الذى جاء به صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله . وتعارفت الأجيال هذه الحقيقة .

فإذا ذكر الإسلام ، عُرفَ من هذا العنوان أنه الدين الذى يقوم على اتباع القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ويدخل فيه من شاء من يابه الرئيسى المعروف « كلمة التوحيد » ثم يؤدى بعد ذلك ما يفرض عليه من تكاليف شتى .

على حين توسع العرف العالمى فى كلمة « الإيمان » .

فهناك إيمان مسيحى وآخر يهودى ، وآخر وثنى ، وآخر شيوعى . الخ .

وهذا العرف العام لا ينص من قيمة الحقيقة الشرعية التى ذكرناها آنفاً .

فتعلقات الإيمان ، والدائرة التى ننسج لها فى ديننا ، تجعله لا يصح

— فى نظرنا — إلا إذا كان مرادفاً للإسلام ، أو ملازماً له .

ولكن هذا العرف الشائع يؤكد أن الإسلام يرفض رفضاً حاسماً أى

مسلك ينطوى على الاستهتار بالأعمال المطلوبة ، والتمرد على تنازعها جلّ شأنه .

ولذلك بعد رفض الخسوع لله خروجاً على الإسلام ، ومروقاً عن الدين ،

وهدماً للإيمان ، مهما زعم هذا الرافض من معرفة ويقين .

تقد كان إبليس يعلم أن الله واحد لا شريك له ، وكان يعلم أن مصيره

إليه يوم يحشون .

بَيَدَ أَنَّهُ مَا صَدَرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ : أَنْ اسْجُدْ ! قَالَ — مُسْتَكْبِرًا جَاهِدًا — :  
لَا .. عَدُوٌّ كَافِرٌ وَلَا تَشْفَعُ لَهُ مَعْرِفَتُهُ بَوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ ، لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ الْمَجْرَدَةَ عَنْ  
مَبْدَأِ الْخُصُوعِ الْمَطْلُوقِ زُبِّ الْعَالَمِينَ لَا وَزْنَ لَهَا ..

وَالنَّصِيحَةُ الَّتِي نَقَارِنُهَا هَذَا التَّمَرُّدَ تَخْلَعُ صَاحِبَهَا مِنَ الْإِيمَانِ خُلْعًا .  
وَالشُّعُورُ بِبُنْكَ الْحَقِيقَةِ هُوَ الَّذِي جَمَلَ أَبَا نَكْرٍ يُسَوِّي بَيْنَ مَا سَى الزَّكَاةِ  
وَبَيْنَ الْمُرْدِينَ بِرَغْمِ زَعْمِهِمْ مُؤْمِنُونَ .

فَقَدْ صَدَرَ إِلَيْهِمُ الْأَمْرُ بِإِنْدَاءِ الزَّكَاةِ فَصَوَّوْا ، وَنَهَرُوا السَّلَاحَ ، وَآثَرُوا  
الْقِتَالَ عَلَى دَفْعِ الْمَالِ .

فَسَقَّ إِلَيْهِمُ الْخَبِيئَةُ الْأُولَى جِيُوشُ الْإِسْلَامِ تَغْلِيْقُ هَامَاتِهِمْ ، وَتَلَحُّقُهُمْ  
بِإِبْلِيسِ الْجَاهِدِ السُّتَكْبَرِ ! .

وَهَذَا الْحُكْمُ يَسْرِي فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ الْمَشَابِهَةِ .

فَإِنَّ الَّذِي عَنْ قَبُولِ أَمْرِ اللَّهِ وَالْمُزْمَةِ بِالْفَرَائِضِ الَّتِي أَوْجَبَهَا ، وَالْفَخْرِ  
وَالْمُحَرِّمَاتِ الَّتِي رَجَرَتْ عَنْهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوَصَفَ بِأَنَّهُ خُضُوعٌ وَإِسْلَامٌ ، إِلَّا إِذَا  
كَانَتْ أَحْوَالُ الْجَاهِلِ تُسَمَّى عِلْمًا ، وَأَحْوَالُ الْكَذَّابِينَ تُسَمَّى صِدْقًا ! .

وَقَدْ ذَهَبَ عَصْرُ الْمُصَنِّفِينَ فِي الْعَقَّةِ ، عَنْ هَذَا الْأَصْلِ الرَّاسِخِ ، فَأَقْنَوْا بِأَنْ  
نُضْمَنَ عَنْ الصَّلَاةِ قَتْلُ حَدَا ، وَلَا يُسَمَّى مُرْتَدًّا .

وَهَذَا غَضَبٌ . فَإِنَّ الَّذِي يُؤْثَرُ أَنْ يُقْتَلَ عَلَى أَنْ يُصَلِّيَ لَا دِينَ لَهُ ، فَكَيْفَ  
يُحْسَبُ مِنْ مُسْمِينِ ؟

مَا صَلَاةُ الْإِيمَانِ وَلَا عَمَلٌ — كَمَا فَصَلْتُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ — فَسَنُشْرَحُهَا بِمَدِّ

## الإيمان والعمل

صلة الإيمان بالعمل كصلة الخلق بالسلوك .

فإذا آمن الإنسان بالله العظيم ، وأيقن باليوم الآخر ، وصدّق بما جاء به المرسلون ، دفعه ذلك — لا محالة — إلى استقصاء ربه ، والاستعداد للقاءه ، والاستقامة على صراطه .

كما أن الشجاع في ميادين الخطر يقدم ، والكريم في مواطن البذل ينفق ، والصادق في أداء الحديث بتحري الحق . الخ

وعسير — بل مستحيل — أن يهبط الإنسان لتحقيق الدين عن هذا المستوى ، أو أن يفهم من كتاب الله وسنة رسوله ما ينافر ذلك بَيِّنَاتُ أَنْ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ — وقد عجزوا عن هزيمته في ساحات القتال — لَتُعْمِيَهُمُ الْحَيَلُ اسْحَقَهُ فِي عَمْرٍ دَارِهِ .

فدسوا على المسلمين من يصور لهم الإسلام كلمة لا تكاليف لها ، وأماناً لا عمل معها !

وفي ظل هذا الفهم الموهج ترى المسلم واليهودى والتمطى نعاثرون سنين عدداً ، فلا تستطيع أن تميز أحدهم من الآخر في شيء .

الكل لا يدخل مسجداً ، ولا يقيم فريضة ولا يحترق لله شعيرة .  
والكل يشرب الخمر و... كل الربا . ويفجر بالأعراض .

وغاية ما منهم من فوارق ، أن اليهودى مقدس يوم السبت . وقد يذهب نسيحي إلى كنسسته خلصة .

أما ذلك المسلم المزعوم فليس يرطه بالإسلام إلا اسم سُجِّلَ في شهادة الميلاد فحسب

وأنوسف أن أقواماً من أهل العلم الديني — لا يكثرثون بذلك قلمه ، إذا غنم بين شفتيه بكلمة التوحيد ، تحصن وراءها ، فأصبح يسيراً عليه ، ألا يقوم إلى واجب ، وألا ينتهي عن محرم .  
وقد يمر هؤلاء المفلون : أن الدين ينص على ذلك ! الألساء ما يصنعون .  
وؤفرضنا أن حزباً ما ، نقدم إلى الناس وقد أضاف إلى جملة المواد التي تبين للجواهير منهاجه وتوضح أغراضه ، مادة أخرى تصرح أو تلمح ، بأن لكل منتم للحزب ألا يصل بمبادئه وألا يتقيد بتعاليمه ، لقال الناس أجمعون : هذا هو الصب والمجون !

فكيف تهم الإسلام بأنه يحمل في ثناياه ما يهدمه ؟  
وكيف نطلق إلى مصوصه نبحت بينها عن ( المادة ) التي تبيح الخروج عليه واللعب به ؟

وكيف ندعى أن الأعمال أمر كمالي بحت ، لا يضير نقصانه ؟  
ونذكركم الحق « الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » (١) .

وعلى رءوسهم يقع التفريط المائل في إقامة حدود الله وأداء فرائضه .  
وما أصاب المسلمين من كوارث ونكبات عند ما فهموا دينهم على ذلك ننحو لأبتر .

أمة تعتبر العمل من ( الكماليات ) الخفيفة كيف يقوم لها دين ؟  
أو تقوم بها دنيا ؟ .

إن الله — عز وجل — جعل العمل رسالة الوجود ووظيفة الأحياء ،  
وجعل السباق في إحسانه سر الخليفة ودعامة الحساب .

« الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْغَفُورُ <sup>(١)</sup> » .

وما من آية في كتاب الله ذكرت الإيمان مجرداً ، بل عطف عليه عمل  
الصالحات ، أو تقوى الله ، أو الإِسْلَامَ له ، بحيث أصبحت صلة العمل بالإيمان  
أصرة لا يبروها وهن .

فإذا عقدت مقارنة بين الهدى والضلال ، جعل الإيمان والعمل جميعاً  
في كفة ، وجعل الكفر في الكفة الأخرى .

« وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ  
وَلَا لِمُسِيءٍ <sup>(٢)</sup> » .

وكثيراً ما يشار إلى الإسلام وحقيقته الشاملة بمظاهر عممية واضحة محدودة .  
« فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ، فَكْ رَقَبَةً ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي  
يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ، يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ، أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ <sup>(٣)</sup> » .

بل إن العلامة التي ينصبها القرآن دليلاً على فراغ النفس من العقيدة ،  
وخراب القلب من الإيمان ، هي في النكوص عن القيم يعمص الأعمان  
الصالحة .



« أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ . فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ . وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ <sup>(١)</sup> » .

وقد ينظر إلى الإيمان على أنه وصف بلحق الأعمال ويطرأ على السلوك الإنساني المعتاد ، فيصلحه ويصله بالله ، فيذكر العمل أولاً كما هي مرتبة وجوده ، ثم يذكر الإيمان ثانياً ، على أنه شرط صحته وقبوله .  
« فَتَنْ يَمْلِكُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ سَمِعِهِ وَإِنَّا لَهُ كَانِيزُونَ <sup>(٢)</sup> » .

ثم قد يذكر في الدار الآخرة ؟ . أليست الأعمال التي تميل بالإنسان إلى النعيم أو إجحيم أم الدعوى والمزاعم ؟  
« وَالْمُوزَنُ تَوَمِّدُ الْحَقِّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَتَخِفُّونَ <sup>(٣)</sup> » .



بنا عرف ، ربح أم هلكت سوء عملها . ونعرف أن الله يقيم على قوه نوص — مثلاً — لا تركبهم الفحشة ، وعلى قوم شعيب — مثلاً — حصصهم مكين ويزن ، وقد عرفنا مصائر أولئك الفاسقين .  
فهل أنت — وحده — هي التي تريد أن ترتكب السيئات ، دور حذر ووجع . . .

س لإسلامه مدع من استراخ السعة . فيوجب الإيمان دون العمل

بل إن القرآن الكريم ليقص علينا عبرَ السابقين لِنَتَعَطَّ منها ، ثم  
نسمع قول الله بعد ذلك :

« وَلَقَدْ أَهَكْنَا الْغُرُوثَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ  
بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَؤْمِنُوا . كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ . . .  
ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ <sup>(١)</sup> » .  
هكذا نمتحن وتراقب تصرفاتنا ، ويكلفنا الله بالإيمان والعمل جميعاً ، ثم  
ينظر وفاءنا بما حملنا من أعباء !

وقد خاطب الله أبناء آدم — فاطمة — بهذه الحقيقة السافرة ، وأضهمهم  
— في جلاء وقوة — أن نجاتهم في الصلاح والتقوى ، لا في النفاق والدعوى :  
« يَا بَنِي آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آبَايَ  
فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . وَالَّذِينَ كَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ <sup>(٢)</sup> » .

وعندما اهتدى أولو الألباب إلى الحق ، وأعلنوا إيمانهم بالله وهتفوا :  
« رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا <sup>(٣)</sup> » .  
وعندما تضرعوا يطلبون من الرحمن أن يصفح عن زلاتهم :

« رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ <sup>(٤)</sup> » .  
وعندما تطلعوإلى النصر والتمكين في الأرض ، والفور والرضوان  
في الآخرة :

(١) الأعراف : ٣٥ ، ٣٦

(٢) آل عمران : ١٩٣

(٣) يونس : ١٣ ، ١٤

(٤) آل عمران : ١٩٢

« رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ <sup>(١)</sup> » .

مع هذه الحرارة في الدعاء ، والإخلاص في التوجه ، أعلن الحق أن استجابته مقرونة بالعمل وحده ! وأن الكلام — فحشٌ — لا يروج عنده ! وأن تحقيق هذا الرجا مرهون بمهاد وتضحيات وتكاليف :

« فَاسْتَجَبْ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى تَعْصِمُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَآخِرِ جُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقَتَلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخِلَتْهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ <sup>(٢)</sup> » .

إن النصوص الهادية إلى تلازم الإيمان والعمل كثيرة ، يزرع بها القرآن وتستفيع بها السنة ، وتقر الحق في نصابه ، وترسم لكل مسلم غايته ، وتخط له مكانته ، وتقر الآذان بذنك الأمر الحاسم :

« وَقَالِ مُنْهَو فَسَبِّحْ اللَّهَ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَأَشْهَدَةِ قَيْلَبُتْكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٣)</sup> » .

## لا يعلمون الكتاب إلا أمانى

ومن الناس من وقع على اصوله يفهمها ، وحاول أن يشغب بها على لغوه مقرونة .

وكما مورع في السنة العمة أحداث شتى .

مثل ما رواه أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم معاذ رديقه على الرجل قال :  
 « يَا مَعَاذُ قَالَ : كَبَيْتُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعَدَيْكَ ، ثَلَاثًا . قَالَ : مَا مِنْ  
 أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ  
 إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ .

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلَا أَخْبِرَ بِهِ الدَّسَ فَيَسْتَشِيرُوا ؟ قَالَ :  
 إِذَنْ يَتَّسِكُوا !!! .

وَأَخْبَرَ بِهِ مَعَاذٌ عِنْدَ مَوْنِهِ تَأْتِيًا .

بهذا الحديث وأمثاله ، تتعلق العامة في نقض بناء الإسلام ، وهذم  
 أركانه وتهوين من خطر العمل وآثاره . . . وهو تعلق باطل مردود .

قال الحافظ المنذرى : « ذهب طوائف من أساطين أهل العلم إلى أن  
 مثل هذه الإطلاقات التي وردت فيمن قال « لا إله إلا الله دخل الجنة ،  
 أو حرم على النار » أو نحو ذلك ، إنما كان في ابتداء الإسلام حين كانت  
 الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد .

فلما فرضت الفرائض ، وحدث الحدود ، نسخ ذلك .

والدلائل على هذا كثيرة مظهرة .

وإلى هذا القول ذهب الضحاك ، والزهري ، وسفين الثوري وغيرهم .

وفات طائفة أخرى : لا احتياج إلى ادعاء النسخ في ذلك .

فإن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من نوازل الإقرار  
 بشهادتين ونماته .

فيذا أقر . ثم امتنع عن شيء من الفرائض جحداً أو تهوياً — على تفصيل

تلاف فيه — حكمنا عليه بالكفر وعده دخول الجنة .

ودكر اسدري اقولاً أخرى تنق كلها على أن ظواهر هذه الأحادث  
غير مراد .

وكيف يجد ظواهرها مع ورود مئات من النصوص الأخرى من  
الكتب والسنة تربط بإيمان أوثق ربط أعمال مصه !! .

واذ في أن ما جمل في نص معصّل في نص آخر .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَالَ النَّاسَ - مُسْرِكِي  
العرب - حَتَّى يَسْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا  
الْحَضْرَةَ وَزُكْرَ رِكَاه ، فَبِمَنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ  
إِلَّا بِقِ يَدِي - يَدِي - وَجِ سَهْ عَلَى اللَّهِ » .

هذا الحديث أحصى أعماله تذكرو في حديث الطبق بالسهادين ، وهو  
تفسير قول الله تعالى :

« آمِنَ - وَوَقَّعُوا الصَّلَاةَ وَآوَا اِرْكَاهَ مِيحُوا نَكْمَ فِي الدِّينِ »<sup>(١)</sup>  
وقوله من من .

« آمِنَ - وَوَقَّعُوا الصَّلَاةَ وَآوَا اِرْكَاهَ فَحَلُّوا سِلْسِلَتَهُمْ »<sup>(٢)</sup> .

« آمِنَ - سَهَدِينَ بِدَايَةِ - عَدَمَ مِنْ اِعْمَادِ وَعَمَل ، لَا مَا تَحْسَبُ الْأَنْصَارِ  
النكبة . وهم مضمرة من ن مجرد تنق منه الكدية والعاء .

وحروف عدد كمة - كلمة الوحد - ممدد نفسي بالإنسان إلى  
« حَتَّى رَحِيهِ » ووفق ممدد . يترب التلب فيه ، حقيقة الوحد احوال كلاً  
سعد - ربه ودرين مرضه ومرض من حصه ، وذو واجب وترث المحرم .  
وذن - سر - يست كة - وب بموحده حتى ظهرها كلكه معادله بطق بها العلم .

ولكن التترك توجه العوائد دون الله ، وعمل المخارج لنير الله .  
فإذا لم يسيطر التوحيد على القلب والمخارج ، ويتحول قوة باعثة إلى  
العمل الصالح فلا قيمة له !! .

إن كلمة التوحيد حصرة السرية من الحسوع 'الالهة المزيفة' .  
وهذه الآلة يست حجر مسحوقه بحسب ، بل كل ما يقطع صلة الإرادة  
الإسايه بالله ، ويربطها بنيره رباط الخوف والرجاء ، والرعة والرغبة ، والألم  
والأمل ، فهو ذريعة للتترك .

وهناك ألوف مرقت المعاصي صلتهم بالله ترممق ، وظلت أهواؤهم تفتح  
بهم بعيداً عن الله ، حتى سوا الله أتم سيات .

فما هارت بين ضمائرهم وضمائر أهل الجاهلية الأولى ، ما وجدت فارقا  
بين حمود وحمود ، وكود وكود !! .

إلا أن هؤلاء نطقوا بكلمة التوحيد ولم يفهموها ، وأولئك فهموها  
وه نطقوا بها .

إن اسريه — عفرته — تخلق في أجواء مسترفة من توحيد الله ،  
فإذا عفت بها حائل الشيطان ، وراى عليها أفعال السهوة ، ورهدت في السماء  
وطرب إلى الأرض ، طلب تهبط وتهبط ، وتسقط دون فصل الله وتسقط ،  
حتى تصل إلى الحميم .

« وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَخُطِعَ لَهُ أَلْطَرُ أَوْ تَهْوَى  
بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ <sup>(١)</sup> » .

كانت كلمة التوحيد نبأ مشلولاً في تربة خبيثة .  
ولكنها نبت تمتد أصوله في القلب الخصب ، وتظهر آثاره ظللاً وارفة  
وثمرات شبيهة .

تفهر أعمالاً حليها الإسلام وأكلها ، وربط وجوده بنائها ووفرها :  
« تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا  
بَارٌّ وَفُرْعُهَا فِي الشَّجَرِ تُؤْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذَنُ رَبُّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
الْأَمَثَلَ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِتَدَكَّرُونَ<sup>(١)</sup> » .

وهذه الكلمة ، أعلى عند الله قدراً ، وأعلى شأنًا ، من أن يسفلها  
مدفق أو هوب .

هزرجل القيم من الأعمال . لا تنفعه دعواه ، ولا يفي عه إيمان متحل :  
« وَمِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ هُمْ  
يُؤْمِنُونَ<sup>(٢)</sup> » .

فوذ ذت أعمال مره على باطن خبيث ، وبين نكوصه همن نحل  
مستويات ونفقدنه في نواض التي لا بتخلف عنها مؤمن ، فلم تقبل له على  
نور . بن وجوده يزحم سواق الشيطان ويخاف — بفعله — أعداء الإسلام ،  
حقيق نأ نرفص هذا لإيتين ، ونوحف صاحبه على محنه :

« وَجَاهِلُونَ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ كُنُوفًا وَمَخِرُونَ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ  
فَوْ يَخْسِرُونَ مَرَجًا وَمَعَرَاتٍ وَمُدْخَلًا فَوَاقٍ إِلَيْهِ وَهُمْ يَخْمَحُونَ<sup>(٣)</sup> » .  
وم كان الإسلام قد قرر م ينبغي عمله في كافة الشئون المتصلة بنواحي

الحياة ، من أحكام ومعاملات وأخلاق ، فإن موقف المؤمنين تجاه ذلك واحد لا يتغير ، هو الخضوع المطلق .

فإذا اكشف الغطاء عن غير ذلك ، وتبين من ضلال السلوك ضلال القلب ، فإن الإيمان زعم باطل .

وهذا المفيس فصيح الله ضوائف المناقنين الأولين ، وبه — كذلك — نفضح أتباعهم اليوم .

أعرف في إحدى المدن مصنعين للنسيج ، يدير الأول أجنبي يخشى الاتهام بالتعصب ، فهو يأذن لعماله أن ينصرفوا ساعة لصلاة الجمعة .

أما الآخر — ويديره مسلم بالوراثة — فهو باسم إسلامه الدعي لا يخشى هذا الاتهام ، فهو يصن على العمال بالوقت الذي سمح به الأجنبي للصلاة ! . ولعلك إذا جادته في هذا الصد عن سبيل الله تطاول على الصلاة والمصلين ، فاسبأ إليهم كل رذيلة .

أفتقل هذا الوغد الذي لا يكثر بشعائر الإسلام يسلك في عداد المؤمنين ؟ .  
وفـ تسمع أحدهم يذكر تشريعات الإسلام فيسلقها بلسان حاد ، وقد سواه ويندو " صرعه " بسحرية .

إن إجماع العلماء معقد على طرد هؤلاء من حظيرة الإسلام .  
وينبغي أن يسرع بفربة الأمة الإسلامية ، حتى ينفي خبثها ويعزل سقطها ، ويتنذر فيها المسلمون من المجرمين والملاحدين .



## في ميدان التربية

هذه أحاديث تطيش فيها أفكار العامة .  
وينبغي أن نقف قليلاً لديها حتى نشرح ملاساتها ، ونذكر المعنى المقصود منها .

والأحاديث في الغزو والعقاب ، والخطيئة وانتاب .  
وماذا نصنع إذا كانت الأمة مُبتلاة بمن يهون لديها بشاعة الأخطاء ، وفظاعة الجرائم . مستنداً إلى نصوص لم يفهمها ، وراكناً إلى رحمة لم يتبها لها .  
وفسد اخفصات المدينة يرجع إلى تكون أخلاف من الناس يُحرفون الحكم عن مواضعه . ويغلطون خلفاً شائناً في تطبيق أحكام الشريعة على أعمال الجوارح وخطرات القلوب ، ويريدون أن يرتكبوا آثام الملحدين ، ويبدؤا جزاء الأولين .

وقد عب القرآن نكريمه على اليهود وعقبيه هذا اسلك الفاش  
فذكر إقبالهم على دين الحية ، وارتببهم بعراضها الفانية ، ثم آماهم الجريمة  
في نعيم الآخرة — مع ذلك — ثم زعمهم أنهم بهذه السيرة الحقة مسقيمون  
مع منطق النور وهدى موسى — وهذا هو الأدهى — .

ذكر القرآن سورة ذمت ووضعها أمه أعيننا مثلاً .  
« فَخَافَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَافَ وَإِنَّا لَكِتَابٌ بِأُخْذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى  
وَبَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنَّا لَنَنْبِئُ عَرَضَ مِثْلِهِ بِأُخْذِهِ إِنَّمَا يُؤَاخِذُ عَنِيبِهِ  
مِيقَاتِ لِكِتَابٍ لَّا يَقُولُوا عَلَى شَيْءٍ لَّا يَحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ <sup>(١)</sup> : » .

ثم أبان الله لهم — سبحانه — أن لمصلحين أجرهم الذي لا يضيع ، وأن عناصر هذا الإصلاح هي في انتمسك الحق ، الكتب السموية وما أمر به من عبادة وتقوى ، ومن ثم قال :

« وَالْمَذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ يَسْتَقِيمُونَ فَؤَادًا تَعْمَقُونَ وَالَّذِينَ يَسْكُونُونَ الْكِتَابَ وَرَقَمُوا الْقُدْرَةَ لَا يَصِيبُ خَيْرٌ لِّمُصْحِحِينَ <sup>(١)</sup> » .  
ولكن أين تمسك المتدنيين بكتبهم ؟ .

بل أين نزول ناسمين على هدى قرآنهم ؟ .

إن جرائم القتل التي تقع بواديننا السلم ( !! ) تزيد على ما يقع في نصف قرن ببند « كفئلندا » لا يعرف الإسلام ولا غيره من الأديان .

وعلى هذا المهرج كثيرة ، ولكن تفنيت الصلة بين الإيمان والعمل وقطع التلازم بين الجريمة والعقاب ، وسوق نصوص الرجاء للعاطلين ، ووضع الندى موضع السيف .

ذلك كله في مقدمة الأسباب التي جرمت على الحضارات الدينية هذا العدد . وجعل مص المصيرت الأخرى ترجحها في ناحية مما .

ثم لأحدث التي يخطأ العامة في فهمها . فقبل أن أسردها أذكر هذا المثل للدكتور عبد العزيز بن عبد العزيز :

« شخص يخاف ربه ويطيع أوامره ، لكن حدث له أن وقع مرة تحت تأثير انفعالات نفسية شديدة ضاع معها رشده . فارتكب جريمة قتل . فلما دُلب إليه رشده نده على فعلته .

فهذا الرجل ارتكب الجريمة بجوارحه فقط ، ولم يقتل بضميره .

قد ثبت طبيًّا أن الانفعالات الشديدة تحدث زيادة إفرازات في بعض الغدد الصماء ، تؤثر على ضغط الدم وعلى المنع .

وقد تحدث تشنُّجاً عصبياً ، أو شللاً وقتياً في قوة الإدراك ( غيبوبة ) يثنى الشخص في أنساب من الأفعال ما يستنكره في حالته العادية .

هذه انعطشة يظهر فيها قهر القدر الغالب .

وتتجسّد حقيقتها من طيب مخض بفسر لنا مدى المسؤولية الأخروية عيب .

وفيها وفي بحرى على سقم من أخطاء يصح أن يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم :

« وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ قَدْ نَذَرْتُ أَنْ يُنَازِعَنِي إِلَهُ أَنْ يَقُولَ إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ بَنِي آدَمَ فَكُونُوا تُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّكُمْ أَلَيْسَ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا يُكُونُ لِقَوْمٍ إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ » .

س هو أحدث دعوة عامة إلى ترك الخطايا . ولا هو تقرير لبيان حكمة وجود الله من أسات .

وإن الله — في كتابه — أظهر لنا الحكمة العليا من وجودنا فقال :

« إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكُمْ الْحِكْمَةَ وَلِئَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ » .

وهو — في — شرح الآية — « لئلا تفسدوا عقولكم ، وأورع من محارم الله ، وتسرع في طاعة الله » .

حدثت في حقيقة تصق على موجبات النفسية التي تعرف في نياتها ، ثم قد وضع عرشهم — به قوت — ماء عواصف القدر المحتاجة ، ثم قد أصبح لهم مشور .

فإذا خرج امرؤ من غمراتها ، وفي رأسه من حمايتها دوار ، واستمع إلى هذا الحديث : « لولا تذبذبوا ... » كما يستمع الحزون إلى كلمة عزاء .  
والحديث مبتوت الصلة بمسلك السفلة ومعنادى الإجرام .  
ونحن نحتاج إلى هذا التوجيه النبوى الكريم فى علاجنا ، اعترافا  
الشباب . ووقوعه لشكره فى مآزق الغريزة الجنسية ..  
فكم نشاط الغدد من آثار خطيرة ! تسكب إحدى الغدد إفرازها دافقا  
فى الله انتهج !!

فإذا بالرجل لا يكاد يقوم حتى بكبو .  
وكأنما يريد ربك أن يجعل من الإنسان العملاق عبدا كسير الجناح ،  
أمام جبار السموات والأرض ، وحتى تكون آمال الإنسان أعلق بانتظار  
العفو والتوفيق منها بتقديم الأعمال وشتى الطاعات ..  
وقلنا يحدث ذلك إلا لنوى النواهب والملكات ، ممن يخشى عليهم القرور  
مخافتهم الواسعة ، لولا ما يمرض لهم من غلطات ، ويقعون فيه من سببات .  
ومن هذا المحدد ندرت سر قول النبى صلى الله عليه وسلم :  
« كَتَبَ عَلَى بَنِي آدَمَ تَصِيُّبُهُ مِنْ زَنَاءٍ ، مُذِرْنَهُ ذَلِكَ لَأَمْحَاةَ ...  
الْعَيْنَيْنِ زِيَاهُ الْتَغْرِ ، وَالْأُذُنَيْنِ زِيَاهُ الْأَسْمَاعِ ، وَاللِّسَانِ زِيَاهُ الْكَلَامِ ،  
وَالْيَدَيْنِ زِيَاهُ الْبَطْشِ ، وَالرِّجْلَيْنِ زِيَاهُ الْخُفِّ ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَبَتَمَتَّى ...  
وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ نَكَذَّبُهُ » .

هذا الذى كتب هو وثقت العريضة فى جماعها الطاغى .  
ومدى عفوا لله فى هذا مربوط بما خرج عن دائرة المجاهدة والتطلع  
فى الكون .

أى أن الشاب مكلف ببذل جهده كله ، فى محاربة الجريمة ، والبعد عن مفرقاتها ومثيراتها .

فإذا حدثت مضاعفات فوق الحسبان ، شَرَدَتْ بالمؤمن عما التزمه .  
 كاتب نوح الذى يضرب يديه فى اللجة ، ويدفع صدره إلى الأمام ،  
 ويستهدف وصول إلى الشاطئ ، فى بأس وعزيمة .  
 ثم يظهر أنه أن جهده يذهب سدى ، لأن التيار ضده .  
 فهو بهيم ذئ لا يعلو مكانه . عندما يحاط بأمر ما .

فى وضع خيبة على هذا النحو ، يساق هذا الحديث ، لالتبرير الخطأ ،  
 ونكن نيسير اخلاص منه : ومنع الارتكاس فيه .

ثم توجه الإرادة البشرية عندئذ إلى العبادات الإيجابية ، ففيها النواء  
 ما أصبها من فشل فى العبادات السلبية :

« تَفَرُّقَةُ رَدَّةٍ هَرَفِيٍّ نَبَّهَرٍ وَزَقَفٍ مِنَ الْمَيْلِ ، إِنَّ أَلْحَسَنَاتٍ يُذْهِبْنَ  
 سُيُتَاتٍ ، دَيْتَ ذِكْرَى لِلدَّكْرِينَ » <sup>(١)</sup> .

وتوب الناس فى الخير إن حول الشيطان سدها من ناحية ، فتحت من  
 حية أخرى . ومنذ هن :

وَصَبْرٌ فِيمَا لَا يُجِيعُ جَرَّ أَمَحْسِنِينَ <sup>(٢)</sup> .

وحق أن من نصحت بس علاجاً فقط للفشل فى ترك السبئات ،  
 بل هو نصر فى توحيد النصح فى تركها ، والتغلب من أدائها ، مهما عز ذلك  
 أو لا .

ونلك آبة الإيمان .

أما أن نرى قوماً بفعون الشر ، ويتركون الخير ، ويزعمون الإسلام فهم كذابون ، وأبس في أخذت الألف ما يصحح إيمانهم .

وهذا حديث آخر ذكره أحد الجبال في تهوين قيمة العمل .

« رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل رجل : والله لا يغير الله رِغْلَانِ . وَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي عَلَى أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ وَأَحْبَبْتُ عَمَلَهُ » .

والحديث صحيح رواه مسلم ، وأخرج أبو داود مثله .

« رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَانَ مَعَ بَنِي إِسْرَءِيلَ رَجُلَانِ مُتَوَاحِشَيْنِ ، أَحَدُهُمَا مُذْنِبٌ وَالْآخَرُ فِي الْعِبَادَةِ مُجْتَهِدٌ ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَقِي الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ فَيَقُولُ لَهُ : « أَفْصِرْ ، فَقَالَ تَخَوَّنِي وَرَبِّي : « مِمَّنْتَ عَلَى رَقِيبٍ ؟ فَقَالَ لَهُ : « وَاللَّهِ لَا أَغْفِرُ اللَّهَ لَكَ ، أَوْ قَالَ : « لَا رَحِمَةَ خَلْقٍ ، فَقَبِضَ مِنْ رَوْحِهِمَا فَجَنَّمَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

« مَنْ رَأَى تَعَالَى مُجْتَبِئًا : كُنْتَ عَلَى مَا فِي بَرِيٍّ وَدِيرًا : « وهو المذنب : يذهب فذئبل الجنة يرتحمي . « وفي الآخر : « ذَهَبُوا بِرُوحِي النَّارِ » . « أخذت خبره ، ففهموا منه معنى توجد لدى يفهم منه .

وهو : أن أرجل منسكب حذته ، « قد عن الله من الرجل منسجدي تعصانه ... وقد حق . فلهذا ممن يسون مسوح لذين ، رجل يغسبون تنهم محس صلات فموا . قد تدركو له في قمر من مضير لعباد ، ومنهم يعصون معه مد يبح الجنة والدار .

وقد رأيت كثيرين من المتصمكين في الأئدية الدينية ، تنطوى نفوسهم على هذه الجملة ، وتُعوّزهم مشاعر الرقة والتواضع .  
والحديث للذكور قمعاً لتطاول هؤلاء .

ومن بقايا المسيحية اليوم ، قد نجد إنساناً كبير القلب لأنه أخطأ ،  
 ذهب إلى راهب في الكنيسة ، ليقوم بتراسيم الاعتراف الشائعة عنده .  
 وهو غُصَّتْ في أغوار هذا وذاك ، لَوَجَدَتْ نفسية الخطيء أقرب إلى  
 الكون الإنساني ، من نفسية الراهب الذي سيمنحه المغفرة ، وهو مُدِلٌ مُختال .  
 وإني في تحارفي الكثيرة ، ما أزال أشكو قسوة القلب وخلال الفظاظة  
 التي جُده في مسلك بعض المنسويين إلى الدين .

على عكس ما بلعه المرء أحياناً من تديب وسماحة في سبب بعض الذين  
 ما يهتدوا بمدى ما في الدين من حق وخير وجمال ..

وَيَسْجِلْ أَنْ كُنْ أَحَدُ الَّذِينَ أُذْكَرُ مُنَاقِصًا قَوْلُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ :  
 « إِنَّ رَحْمَتَيْنِ عِنْدَ رَبِّهِ جَذَبَتِ اتِّعِمَ ، أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ  
 كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ . أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ  
 تَدْرُسُونَ . إِنْ لَكُمْ فِيهِ مَا تُحِبُّونَ !! أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ بِآيَةِ  
 مَا قَوْمُ آبِيكُمْ فِيهِ تَحْكُمُونَ . سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ! » (١) .

وہن - ۱۔ جہز ام بٹین بانصوص :

كيف جازم أن تقصروا صلة الإيمن بالعمل ، والخطيئة بالعقاب ،  
 تجنب غفقت على عيوبه . فيه تر الصواب . وفيه نفقه الكتاب .

(٦)

الخطيئة والمتاب



## الإيمان والخطيئة

ما ذكرناه من تلازم الإيمان والعمل ، لا يعنى أن الإيمان يقتضى العصية فإن المؤمن قد يخطئ .

وما يقع فيه المؤمن من خطأ أو خطيئة ، لا يسلمه من الدين .

ولا بد من بيان مفصل ، نضم به أطراف هذا الموضوع .

عند ما يكون المرء وثيق الإيمان ، كثير الطاعات ، طويل المراقبة لله ، فإن أخطائه تقل لا محالة .

وما قد ينزل إلى الله من سيئات ، يعتبر غريباً على حياته غرابة الشذوذ بالنسبة إلى القاعدة .

وطبيعة الخطأ من رجل هذه حاله ، تجعل لسيئته صفة خاصة .

فهو لا يقصدها ولا يستريح إليها ، ولا يستقر عليها .

كالسائر في طريق ما إلى هدفه لا يفكر إلا في أعماله وآماله ، فإذا قدمه تخبط في حفرة غير منظورة ، أو تمر بقشرة فأكهة ملقاة ، فإذا بالمسكين يهتز ويضطرب ، ويهوى إلى الأرض .

إنه يخجل من سقطته ، ويقوم منها شديد الضيق والسخط .

كذلك قد تزل قدم المؤمن وهو سائر في طريقه إلى الله ، فيلم بعمل لا ينبغي منه ، ثم لا يكاد يتورط فيه حتى ينزع عنه ، وهو بآدى الألم ، عميق الحسرة .

هذه السيئات لا تصم سيرة المؤمن ولا تهدم شخصيته .

وهي من قبيل « لكل جواد كيوه ، ولكل صارم نبوه » .  
ولما كانت خليفة الإنسان مزدوجة ، يلتقي فيها عنصران ، أحدهما من  
السماء ، والآخر من الأرض .

فإن آثار هذا الاختلاط تبدو في سلوك الإنسان .

وليس يستغرب على طبيعته أن تمخض إلى الأرض لحظه ما .

ومن ثم جعل الله — سبحانه وتعالى — دائرة عفوه تتسع لهذه السقطات :

« الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كِبَارَ الذُّنُوبِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّهُمَّ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ  
الْمَغْفِرَةِ (١) » .

وعلى هذا العفو الكريم بقوله : « هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ  
الْأَرْضِ (٢) » قال الشاعر :

وَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَنْزِعَ الْمَرْءَ مَرَّةً إِلَى الْحِمَا الْمَسْنُونِ ضَرْبَةً لَأَزِيدَ

على أن هذه للزائق — كما قلنا — تعزى الإنسان وهو في طريقه إلى  
ربه ، يؤدي واجبه وقيم حقوقه ويتحرى رضوانه .

وما يصاحب هذا اللوم من ألم ، وما يسبقه من غفلة ، وما يعقبه من  
دهشة وغصة . . . ذلك كله يكشف سواده ويخفف عواقبه .

وحسب صاحبه من عقاب ، دوي هذه السقطات في نفسه وإسراعه  
بالإنابة إلى الله بجمار بالدعاء !!

وفي مثل هذه الحالات ، يساق قوله تعالى :

« وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ؛ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ  
عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ؛ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا

وَيُخْزِيهِمْ أَجْرُهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(١)</sup> .  
« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ  
وَنُجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(٢)</sup> » .

والعنيون بترية النفوس وتركية السرائر ، لا يحبون أن يقفوا طويلا  
عند هذه العترة العارضة .

وهمه أن يأخذوا بيد الكافي ، لكي يستطيع النهوض ويستأنف  
نسيه ، وقبل على واجباته بنشاطه القديم أو أشد رغبة .  
وتهونهم من هذه السئات المقترة ، لأن هذه السيئات تافهة  
أو مسنحنة ، بل يُخلصوا المذنب من آثاراها ، ويفكوه من آصارها ،  
ويعمده من الازنكاس فيها والاسكباب عليها .  
وذلك أخطر ما يتوقع ، وأول ما يحاذر الشرع منه .

وفي مثل هذه الحالات يساق قول النبي صلى الله عليه وسلم — فيما يحكى  
عن ربه عز وجل — ول :

« ذَنْبٌ عِنْدَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فقال الله عز وجل : أَذْنبَ  
عَبْدِي ذَنْبًا فَقَسَمَ لَهُ رَبِّي يَعْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . . ثم عاد  
وَذَنبَ . فَقَالَ : يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . . فقال الله تعالى : أَذْنبَ عَبْدِي  
ذَنْبًا وَغَدَا لَهُ رَبِّي يَعْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . . ثم عاد فأذنب !!  
فَقَالَ : يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي !! فقال الله تعالى : أَذْنبَ عَبْدِي فَقَسَمَ أَنْ لَهُ رَبِّي  
يَعْفِرُ ذَنْبَهُ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ ، أَعْمَلُ مَا تَنَتَّ ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ » .

هذا الحدث وأمثاله مما يفتح مصاريع التوبة على كثرة العثار ، هو  
فيمن قدمنا من الناس .

والمراد منه حفز الهم إلى الصاغات ، والنقص عن دائرة الجريمة ، مهم  
حدث من الإنسان ورفع أنظار السر إلى أعلى ، كلما نكسب الشيطان . .

ونس نراد منه — ثبته — ما فهمه سفيه العامة من تحقير الجرائم ،  
وتهوين السيئات ، وإغراء العصاة بالجرأة على المخنقات ، واستباحة اخرمات .  
فهذا المعنى تقص حقيقة الرسالة الهادية ، وتجاهل وقبح لآلاف الأحداث  
المرهبة عن ارتكاب الذنوب .

والغريظ في الأعمال الصالحة — بناء عن فهم معوج لهذه الأحداث —  
هو ضلال مبين . !

ولست اخطايا كلها من هذا القبيل . ولا الذين يقعون فيها جميعاً من  
هذا الصنف .

فهناك حالات من التزق والسفاهة ، تنوى ذوبها بارتكاب الدنيايا .  
وقد لا نزعون منها على محمل .

على أن الإيتين في نفوس هؤلاء يصنى — لا رب — أرمات عنيقة .  
وبقاؤه أو انتهؤه . مرهون بتدى ما يصل إليه العصى من أعد عن الله ،  
واستمراء للخطايا .

ومهما عصى المسلم ، فهو بين توبة سريعة تطهره ، أو توبة مضمرة  
يسنم إليها ، ويرتبط بالإسلام على أساسها . !

ومعير أولئك الذين يندسسون بالخاصي ويرجتون انتاب منها — مع  
الإحساس بالخزي وتوقع العقاب — مجهولة !

لأن إباح المعاصي على القلب قد يرهق الإيمان ويرد المسلم إلى الكفران .

كما يباح الأرض أخذت على أحسن ، فيدفع منه أرواح وتتركه حنة ناله .  
وإن كان الأمر ، فإن رباط المعاصي بالإيمان واه . .

وسمع من مؤمن : به . إن اليوم تقترف الجريمة معسراً ، أو ترك  
المريضة مسرراً .

أرمته سيج عن ليلته وعلمه إرداده . .  
وسنصوره . في مؤمن .

من مؤمن . . . . . كان دعيته في أحد ، فإن يكون داعية في السر ،  
تعهده . . . . . معصية وهو وفتح صديق .

و . . . . . في كنه : أن معصية التي مع من الموسومين بالإيمان ، إن  
تصدر عن ح . ( ن ش دس . وصف ، وعلمه . وجهه . وصعد همة )  
: . . . . . على به يدين . يمشون أشبه حياهه ثم مؤمنين  
من . . . . . مؤمن به عاييه . وكان لله عاييه حكيم . . . . .  
و . . . . . شئت ، حتى يد حصر أحدهم الموت :  
ن . . . . . يدين يمشون وهم كثر (١) .

ك . . . . . حتى سيه رحمة . . . . . من عمل يسكنه سوا حية  
ثم . . . . . ص . . . . . سور حيم . . . . . فصل لآيات  
و . . . . .

۱۔ صلہ الطَّاعِ والْمَعِی، یعنی لاکھوں کرم ۔

والأولى عدية حمور و زده

ولاحری ستودہ جمعہ ۳ ویدری

روایت سے عرواح نہیں جس سے عی لایں! حُصْب سے

نہ کیپ، یہ ہے شے، حد، حد، سم، وحد

محدوده و محدوده

ولان في هذه السنين لم يزل يكثر من حدوثه وتواتره.

وہ ترقی لاس سدی ،

وہاں سے ایک ایک کر کے لوگوں کو نکال دیا۔

و میکب ی سر ۶ به شده هی ه ه . داری بدس تی قنجر

مس: وکد

یوں کہ وہ اہل سنت و عوارِ اہل سنت، وہی صلاہ، وہی اسلام

میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے۔ میں نے یہ سب کچھ دیکھا ہے۔

—

آج حسب سنیوں کی کوئی ضرورت نہیں رہی؛

وَأَمَّا الْفُلُ فَأُرْسِلَتْ بِرَحْمَةٍ مِنَّا لِيُبَيِّنَ لَكُمْ آيَاتِنَا فَتَدَارَكُوا أَلَمًا لَّيِّنًا

سکڑیں اُچھڑیں ہوں۔ ہوں شہبازِ یوسفیؑ

تکلیفیں

وہمیں ہر لمحہ دیکھ رہے ہیں کہ وہ اپنے دل سے کتنی دور ہے۔

فالأجل طويل والكاليف منجددة ، والأمر أعقد من أن نصدر  
اصدده حكماً عائلاً .

وفي الحديث : « تُعْرَضُ الْفَتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَعَرْضِ الْحَصِيرِ عُوداً عُوداً ،  
فَأَيُّ قَلْبٍ أَنْزَلَهَا نَكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةً سَوْدَاءَ ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا  
نَكَّتَتْ فِيهِ نُكْتَةً بَيْضَاءَ حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ .  
قَلْبٍ أَسْوَدَ مِرْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْخِيًا ( مكروباً ) لَا يَعْرِفُ مَفْرُوقًا  
وَلَا يَنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أَنْزَلَ مِنْ هَوَاهُ .

« وَقَلْبٌ يُبَيِّنُ فَلَا تَعْرِضُهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ » .  
وهذا الحديث سين : أن المعاصي مازل ومزالق ، يسلم بعضها إلى بعض .  
وأن الإيمان بدثر بما يعرض للقلب من أحوال .

هذه قلوب أقفرت منه تماماً — بإدمان المعاصي والفتن — .  
وهذه قلوب في ضيقها ، تَقْفِرُ لَعْدُ ، ويرتد أن تصل .  
وهذه قلوب في أواخر ضيق الخير ، وأوائل طريق الشر ، تتأرجح  
حية نمين أو الشمل .

واحدث يشبه عرض الفتن على القلوب شبه فشتا ، كعرض عيدان  
حصير ، وهي حافيتي . شبه فشتا .

وفيه قلوب عند عروصها عايتها قسمين :

الـ ١ ـ عرست عيه همة أنكرها كما يشرب الإسفنج الماء ، فنكت  
وهـ ٢ ـ سود . . فلا يزال يسرب كل فنة عرضت عليه حتى يسود  
وـ ٣ ـ مكس . وهو معنى فونه « ككوز مجخيا » أي منكوس .

فإذا اسود عرض لهن هاتين الآفتين مرضان خطيران، يتأديان به إلى الهلاك:  
أحدهما اشتباه المعروف عليه بالشكر . فلا يعرف معروفاً ولا بنكر منكراً .  
وربما استحكم فيه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والشكر معروفاً:  
والذي تحكيم هواه على ما جاء به الشارع ، واقياده لهذا الهوى ،  
حيثما تراه .

أما القلب الآخر ، فهو أبيض ، أشرق فيه نور الإيمان . فإذا عرضت  
عليه الفتنه أسكرها وردّها ، فازداد نوراً وإشراقاً .

وفي أحوال الإيمان مع الفتن والمصي ورد — كذلك — عن النبي  
صلى الله عليه وسلم « إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خُطَّ خَطِيئَةٌ نَكَتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْنَةً  
فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَفْغَرَ وَتَابَ صَقَلَ قَلْبُهُ ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى  
تَمْلُؤَ قَلْبُهُ » .

وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ « كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا  
كَاسِبُونَ ، كَلَّا يَنْهَى عَنْ رِسْمِهِ تَوَمَّنٍ مَّحْجُونُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ أَصَالُوا  
الْجَحِيمَ » (١) .

## بين التوبة والعصمة

من حقائق التربية النفسية أن الإنسان خطيء ، وأن الخطي مركوز في  
طبيعته . يخرى في عروقه مع الدماء ، وأن الله يكلف أحداً بالعصمة المطلقة !!  
ثم كلف الإنسان إذا أخطأ أن يتوب إلى رشفه .



وإذا بدرت منه زلة أن يراجع تفكيره .  
 وإذا زقت قدمه ، فكبا ، أن ينهض من كبوته ، وأن يزيح عنا  
 ماعق به ، ثم يستأنف طريقه إلى غايته المنشودة .  
 ويظهر أن نفس الإنسان كجسمه ، كلاهما يحتاج إلى تطهير دائم .  
 لأن كليهما ينضج من داخله ، ويتعرض من خارجه ، لما يضطره إلى  
 مداومة الغسل ومتابعة النظافة . . . !

ففي البدن غدد وأجهزة دائمة الإفراز .  
 وجو الأرض تقي نحيب عيب يكسوه بدءاً بالخبار والأكدار .  
 فكان لابد — لعافية الجسد — من إزالة هذه الأدران كلها .  
 ونفس الإنسان كذلك ، تهفو إلى السيئات ، وتنزع إلى الشرور ،  
 وتعرض في مخدعهم لآخرين إلى ضروب من الفتن والمغريات المخرجة .  
 وهي بحاجة إلى توبة مجددة متكررة ، تمسح عنها هذه الأكدار ،  
 وتمحوها لا ر .

منه : « يا حبيب الله ! توب وضروب تطهرات .  
 ربني هذا سحر قمران في قلوب : « إن الله يحب المتوابين ويحب  
 المتطهرين » (١) .

وفد كن يسوع صلي الله عليه وسلم يحدد التوبة إلى الله ، بين لحظة  
 وأخرى . « يا قوم : توبوا إلى ربكم فإنه في ليوم مائة مرة » .  
 و« من غفران لا يذهب به » .

فقال — عن سايان — : «يَعْنِي الْعَبْدُ بِأَنَّهُ «وَبَّ»<sup>(١)</sup> .  
ووصف المؤمنين بَنَ اللهُ مِنْهُمْ مِنْ أَوْسَرِ السُّبُوتِ ، وَضَعَرِ  
الْأَهْوَاءِ وَمَقَاتِنِ الْحَيَاةِ . سَاعَةً مَدَامَةً . لَأَمَّهَبَ — مَدَامُو —  
معرضون هـ في كل حين .

وَمَدَامُو دَحَى هـ مَدَامُو كَرِيَّة : أَمَّا وَفِي آيَاتِنِ آمَنُوا  
يُخْرِجُهُنَّ مِنَ الْغُلَامَاتِ بِفِي مَوْرٍ ، وَلِذِينَ كَفَرُوا تَوَيَّاهُمْ الْغُلَامَاتُ  
يُخْرِجُونَهُنَّ مِنَ الْغُلَامَاتِ<sup>(٢)</sup> .

على أن الأخطاء الصادرة عن الناس نفوت تفوت كبيراً .  
فَمَدَامُو صَوْبًا ، يَصِحُّ مَسُورُهُ مِنْ بَنَانٍ يَنْبَرُ خَعْدًا ، لَا يَسُوعُ صَلُورُهُ  
من إنسان آخر :

وَيُخْرِجُهُنَّ مِنَ الْغُلَامَاتِ وَفِي مَوْرٍ ، وَلِذِينَ كَفَرُوا تَوَيَّاهُمْ الْغُلَامَاتُ  
وَهَذَا مَعْنَى عِبَارَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ : «حَسَنَاتُ الْأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُفْرِّقِينَ» .  
وَالْمَقْرَضُ مِنْ سَوَاقِ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ ، أَنَّ نَحْسَنَ الْإِتْقَاعِ بِهَا فِي مِيدَانِ  
الْبَرِيَّةِ . . . . . نَدَاءٌ هـ هـ شَاعَتْ مُعْصِدَةٌ ، وَخَصَاءُ مُتَهَوِّرِينَ .

بَنَانٌ نَحْبِيَّةٌ قِيَّ شَاعَتْ بَيْنَ مُسَمِّينَ . وَهَمَّهَبُ هـ لَا يَضُرُّهُ مَعَ الْإِيمَانِ  
مَعْصِيَةٌ . لَا أَمْلُ هـ ، وَهِيَ — فَفَهْ — عَنْ أَنَّهَا أَفْسَدَتْ حَضَرَتَهُمْ . وَأَسْقَطَتْ  
دَوْتَهُمْ — أَضْرَتُ الْإِيمَانِ — كَوَازِعُ خَفِيٍّ ، وَحَصَانَةُ اجْتِمَاعِيَّةٍ — أَبْغَى الْفُرَرِ .  
وَقَبْلَ ذَلِكَ أَضْرَتُ الْإِيمَانِ ، كَفَسْكَرَةُ تَنْبِيرِ الْعَقْلِ ، وَيَقِينُ يَمْلَأُ الصَّدْرَ  
فَمَحْتَمِلُهُ مَحْتَمَلٌ .

ولسنا نزم أن كسب سيئة يرد للمؤمن كافراً في طرفة عين ، قضية الإيمان أخطر من ذلك ! .

ولكننا نؤكد أن القلب إذا أهدقت به السيئات وترادفت عليه الفتن ، وطال عليه الأمد ، وهو بين ظلمات معتمة ، لا يخرجها بصيص من متاب .  
هذا القلب ينفلت منه الإيمان رويداً رويداً ، حتى يطمس بهاؤه ويرتد صاحبه إلى جاهلية نكراء .

وانظر إلى قوله تعالى : « بَلَى . مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » (١) ، فإن إحاطة الخطيئة بالفاسدين ، تتدفق على سر الليل والنهار ، وهم يتقلبون في مهاد الخزي والعار ، فميهبات أن يكون لهم إلا النار وبئس القرار .

أما تفسير كلمة « سيئة » في الآية بأنها الشرك ، وعبادة الأصنام ، فلامع له ، فإن سياق الآية في مخاطبة أخبار اليهود ، واستعمال اللغة ، واصطلاح الشرع .. ذلك كله ينفي هذا التأويل الذي لا مبرر له .

## من مخلفات حرب الجدل

هذه صورة خقه الجدل الخفض . وثائر النزاع فيها نظرياً لا أثاراً فيه من رغبة واقع . أو استعراء أحوال المؤمنين على ضوء التجارب الصادقة . !  
فؤا . . ثم اخضعوا في الإجابة ، : ما حكم المسلم الذي يصر على المعصية ؟  
قال مفسر : كافر .

وقال آخرون : بل مسلم ، ولا تضر مع الإيمان معصية !  
وقال غير هؤلاء وأولئك : بل هناك منزلة بين المنزلتين !!

واقسم المسمون فرقاً منقذة لهذا الاختلاف الذى يرجع فى أساسه إلى  
التلاعب بالأنقاض ، والنزوع إلى ليماء والتعلق بالجلد .  
واضح أن هذا السؤال لا يجوز إيراد . فهو غلط ظاهر فى فهم  
طبيعة الإسلام .

إن كلمة « إصرار » تعنى توجه الإرادة وانقضاء العزم . وتقدير النتائج  
المستقبلية ، والسيطرة على البواعث ، والأساليب المقارنة للعمل .  
أى أن الإصرار مبرزة لله باحصين ، على نحو مقرون بتحدى  
وعده الأكرث . .

وذلك لا يتصور فى مسلم قط !

نعم قد يعكف بعض الناس على معصية ما ، لانهاى فى إرادتهم وجماع  
فى شهوتهم .

وهذا لانكسر فى القوة الإيجابية المدافعة إلى أخير ، لا يسمى ما ينشأ  
عنه إصرار على الشر .

إذ أن اسم الذى يقارف ما لا يبق ، لا ينفك عنه شعور قوى أو ضعيف ،  
بأنه يجرى والمرة .

أما يوم يصل إلى الحال التى يُقبل بها على الكبائر وهو مسرور باسم ،  
ويترك معها الواجبات وهو مستريح هادى ، فهو اليوم الذى يتبخر فيه الدين  
من القلب ، ولا يبقى له بالإسلام سبب ولا نسب .

وهذا الشعور المفروض في السلم — إذا سقط في كبيرة — هو نواة التوبة  
مُعْجَةٌ ، و التَّوْبَةُ التي تربط الرجل بالإيمان أي رباط .

فهذا غرض هذا الشعور ، وانفعهم ذلك الرباط ، فأى إيمان يبقى بعد !  
زَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ وَمَثَلُ الْإِيمَانِ  
كَمَثَلِ نَخْلٍ فِي آخِيَّتِهِ ، يَبْعَثُ فَرَسًا يَرْجِعُ إِلَى آخِيَّتِهِ ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ  
يَسْبُو فَرَسًا يَرْجِعُ » .

وروى : « الْمُؤْمِنُ وَمِثْلُهُ <sup>(١)</sup> رَاقِعٌ <sup>(٢)</sup> فَسَعِيدٌ مَنْ هَلَكَ عَلَى رُقْعَةٍ » .  
والبصيرة حادة تتولد بعد مراحل متطاولة ، من ألف المعصية ، وموت  
شعورته فيها من سكر

وجذور الإيمان — مع أولوغ في المآثم — تنقطع جذراً جذراً ، مالم  
تُشْرَبْ رُبُّوبٌ .

براهمت في هذا موضوع تكون النتائج فيه بالملاحظة والاستقراء ،  
لا بد من دليل .

... من حقيقة من حقائق مقررة في علم الأخلاق ، تستطيع في ضوءها  
أن تكتشف أنماط من الكثرة . ومرايا مقتربها ، والحكم على أنواع  
الحسين والحسين . يدعى قهرها ، وهذه من الإيمان والسكر .

ذكر في هذا يوسف موسى في كتابه « مباحث فلسفية في الأخلاق »  
درجات البرج وانه عدد الكائنات المختلفة .



ثم بعد ذلك يراه ممكنًا فيعزم عليه .

وبهذا يقبها العمل الذى إذا اعتيد صار خلقًا ..

ويظهر من هذا الخلق عادة للإرادة — وليس مجرد الإرادة — وأن

الإرادة تغلب عالم من قوى النفس على غيره . « ١٠ » باختصار .

فالإصرار على الكبائر — فى ضوء هذه الحقائق النفسية المقررة — هو

نتيجة مقدمات طويلة ، وأطوار يتولد بعضها من بعض فى نظام مرتب دقيق .

فإذا علمنا أن التدنس بخطيئة عقب ميل مفاجئ ، أو رغبة جامحة ، يوقع

الإيمان فى مأزق خطير ، ويصيبه بجرح عميق ، مالم يندمل هذا الجرح بتوبة ،

وسمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ

حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » ..

فكيف ياتمان ترادفت عليه هذه الجراحات الدامية ، من آثار الذنوب

اله جرة ! .

وكيف نكون حال هذا الإيمان ، إذا اقتنن به الميل إلى الجريمة ،

ثم ارتقى هذا الميل إلى رغبة ، وإرادة ، فعزيمة صادقة ، فخلق معتاد ،

فإصرار دغ !!! .

هيبت هيبت أن يكون له بقاء إلا فى أوهام المجادلين والمباشرين بلم

الكلام ..

عنى أن : إصرار على الكبائر طبيعة يجب أن تعرف .

فهو لا يند سحبته الشر حتى تغطى وجه الإيمان الجميل بحسب ابل

برسب سؤ . نه فى النفس ، فيحوّل بينها وبين فعل أى خير وتقديم أى بر .

فليس المصيرُ رجلا من النوع الذى قال القرآن فيه : « وَآخَرُونَ  
اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَعُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ  
عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (١).

كلا ، فعنى الإصرار على الشر ، أن بنابيع الخير جفت تماماً فى الضمير ،  
فلن يرتفع بخير قط .

ومن ثم استقر الأمر فى علم « الأخلاق » على أن الاتجاه المائع الذى  
تتأرجح فيه النفس لا يسمى خلقاً .

ويقول الأستاذ « محمد يوسف موسى » : « لا يصح أن نقيم وزناً للرأى  
القائل : بأن الخلق أمر نسبي ، بمعنى أنه يحكم على المرء بالميل الذى  
يغلب عليه .

فمن غلب عليه حب الإعطاء ، وأعطى كثيراً ولم يبخل إلا قليلا ،  
كان كريماً .

وكذلك الصدق والكذب وسائر الفضائل والذائل .

لا يصح أن نقيم وزناً لهذا الرأى ، ذلك أنه مما لا بد للملاحظته فى الخلق ،  
لرُسوخ ، والثبات ، خاتمة نفسية معينة ، حتى تعطى ثمرتها من الأعمال باستمرار .  
ويؤيد هذا ما ذكره « ماكيزى » فى كتابه « الأخلاق » :

« إنه لا بد لتكوين خلق من ثبات عالم من العوالم — يعنى  
انشاع النفسية » .

« أما مجرد باعث خير ، أو غرض نبيل فى حياة الإنسان ، فلا يمكن  
جعلها فاضلا » .



وتعني هذه القاعدة الخلقية في محيط الإيمان ، يجعلنا نجزم بأن الإيمان  
الكامن يقتضي العمل الصالح وجوباً ، وينقص الإيمان كلما نقص العمل .  
فهذا نجد إلا شراً محضاً ، جزئنا بأن ظل الإيمان قد تقلص ..  
وبذلك فنحن : إن الإصرار — بمعناه الشامل — لا يتم في نفس مؤمنة أبداً .



وهذا أحصيت النصوص الواردة ، والتفسير الصحيحة لها ، وجدنا  
أن شرع الشرائع ، يهتم بنوعيات المقارنة للعمل ، اهتماماً شديداً ، ويبني  
الحكم على الإيمان وأجزاءه . بعد ذلك نؤكد من الحالات النفسية ، التي لا ينفك  
عنها نفس . والتي يقطع العمل أو يتكرر لارتباطه بها .

وهو بن قتيبة شرحاً لقوله تعالى : « وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى » (١) .  
بحوزن بقدر عصي آدم ، ولا يجوز أن يقال عاص .  
بأنه : نفس من عند نفس تعصية .

كذلك ينبغي توهم بقوله : خذ ثوبه ، ولا يقال : هو خياط حتى  
يؤخذ ثوبه سر ويغده .

بأنه معصية لا أخذ صاحب وصف يسجل عليه الشر . وأن أنه فعلها !!  
بأنه سجد . يثم وعقده على شخص آخره يفعل الجريمة ، ولكنه  
غيره شيء .

بأنه بن قتيبة شرحاً لقوله : « إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ  
وَالْمَقْتُولُ فِي ذَنْبٍ . قِيلَ : هَلَّا الْقَاتِلُ ؟ فَقَالَ : بَأْسُ الْمَقْتُولِ ؛ قَالَ : إِنَّهُ  
بِأْسِ حَبِيبٍ عَلَى قَتْلِ حَبِيبٍ ! » (٢) .

إن للنية المصاحبة مدخلاً كبيراً في الحكم على الأخطاء وانحطاطها .

ولا نحب أن نفعل في تقديرنا لأثر المعصية في الإيمان .

١ — أن المعصية ليست سواء في تهوي القدس . نبي وبلائهم بها ،

فجمهور الناصبيين في بلادنا . لا يجمع لهم خنزير مثلاً . ويستغنى عنه في يسر  
ونلة بحجوه بقرو حن .

وجهور النصارى ، لا يابس خنزير ، ولا يتحى بالذهب . فإذا كان لهم

الخنزير أو بيس خنزير — مثلاً — من المنكر التي حرّمها الإسلام ، فإننا  
نلاحظ أن طبيعة هذه المحرمات تغير المعصية القائمة على دسائس الشهوة  
الجسدية مثلاً . وما أكثر تعرضها .

٢ — أن هناك بينات تعين على العصمة ، وأخرى تغري بالفحشة .

وقد يوجد أقواء لا يسمعون إلى الجريئة : فيبتلون بمجتمع داس يسهل  
لهم الانزلاق .

وقد تمنى قوة الشر ، بيد أنهم يجدون الأبواب إليه موصدة في بيئة  
محفوظة مصونة مأمونة .

٣ — ر درجات سقوط نفس ، تنفوت .

فلذى يهترى من قمة مشرفة غير تذى يسقط وهو يسير ، غير الذي  
يتردى في حفرة عميقة ..

كذلك السقوط في المعصية .

فقد بقدراف الشخص لذنوب عن ميل عارض وفرصة مواتية .

وهذا غير من يقع فيه عن رغبة مدحة ، وذلت غير من يسعى إليه عن  
زدة يقظة .

وهؤلاء غير من يعزم على الفعل ويستمرى العودة إليه ، ويدأب على ارتكابه حتى يصير فيه خلقاً . .

٤ - إن الدنيايا نفسها حلقات موصولة .

« الكاذب يخون ، والخائن يرتشى ، والمرتشى يهدم المصلحة العامة وبيع وطنه وشرفه ودينه لأول مساوم .  
والسكريرزنى ، والزانى يقتل ، والقاتل يستحيل إلى وحش لا دين له إلخ .



واحق أن مدلول كلمة « معصية » فى أفراد الناس وأحوال الحياة ، نفوت تفاوتاً واسعاً .

فكلمة تدل كلمة « سفر » على الرحلة القريبة ، والطواف حول العالم .  
وكلمة تدل كلمة « مرض » على الصداغ العارض والحى المهلكة ، كذلك تدل كلمة « معصية » على حُرُوفين متباعين .

لأن معصية تنقسم إلى صفائر وكبائر ، بل لأن الكبائر نفسها — بما يكتنفه من مشاعر نفسية — ليست سواء .

ومن خطأ كبير أن نقول — مع الترجئة — : إن الإيمان لا تضرمعه كبيرة . أو نقول — مع خوارج — : إن الكبيرة لا يبقى معها إيمان .

ومن دقة لغزوف : « بسمة معصى » هى التى جعلت الناظم القديم يقول :  
ومن يت ذنب من ذنبه فمرد مفوض زبه . . !!

خير من ذنب من ذنبه : « إن الله لا يغير أن يشرك به ويفقر مذون ذنب من يشرك بالله فقد فترى عظيمًا » (١) .

والآية تشير إلى أن الشرك لا ينفرد .

وهناك أمور مساوية للشرك كعبود الأوثية . أو الاعتراف بها وجود  
أوامرها ، ورفض الانصياع لها .

وما دون الشرك صنوف كثيرة قد تهبط إلى نعم مغفور . وقد تمحس  
حتى تمحس لإيمان كما تسفد يده .. فلا تكون دون الشرك أبدا .

وفي اخذ الفاحش من المعصي يساق قوله تعالى : « وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ  
وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ <sup>(١)</sup> » .  
« وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ قَانَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا <sup>(٢)</sup> » .

وفي الحد الأدنى يقول تبارك وتعالى : « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً  
أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَرَحٌ  
إِلَّا اللَّهُ وَلَهُ يَصِيرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ <sup>(٣)</sup> » .

## هل المعصية مرض

في أحيان كثيرة تنجبه البحث العلمي إلى اعتبار عوج السلوك وارتكاب  
المخفورات ظواهر لأمراض نفسية كامنة ! .

وغسر وقوع اجترامه على أنه أعراض تستوجب العلاج الحكيم ،  
الاضطرابات النفسية والعصبية التي تختفي وراءه ..

وعُدَّ العصيان مرضاً يجب التفكير في مداواته . قبل عده جريمة  
تستوجب القصاص من صاحبها . أمر ينحق النظر العميق على ضوء التعاليم  
التي جاء الإسلام بها ! .

(١) النساء : ١٤ (٢) احس : ٢٣ (٣) آل عمران : ١٣٥

وقد تسأل : هل المصيبة مرض حقاً ؟  
والجواب أن تمايز القرآن الكريم في غير موضع واحد تبين لنا أن  
تقول : نعم !  
ففي سورة البقرة وصف النفاق بأنه مرض : « فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ  
فَرَّادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا <sup>(١)</sup> » .

ومرض القلب هنا ليس سرعة نبض ولا بطء خفقان بداهة !!  
وفي كثير من السور شاع هذا الوصف حتى لقد تكرر في سورة الأحزاب  
ثلاث مرات ، ويدل اختلاف السياق على اختلاف المقصود به .

ففي النصيح لأُمّيات المؤمنين يقول الله عز وجل :  
« إِنِ الْمُتَّقِينَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ <sup>(٢)</sup> » .  
وتبراد ههنا ما يتخلف في نفوس الناس من اضطراب الغريزة  
الجنسية اضطراباً يعطلها تعطل في غير مطمع ويشرد زمامها حيث يجب أن تقف  
ونستكين !

والله عز وجل يريد تنسوة نبيه منزلة تنلو على هواجس النفوس .  
فلا يجب إذ صرهن عن آخر ما تصل إليه الأمانى المحرمة للنفوس  
مريضة ..

وقد أتت أن لشهوة الجنسية أساس لعدد هائل من الأمراض الفكرية  
والمادية وحقائقه ! .

وفي موقف الضعاف والمترددين عند هجوم الأحزاب على المدينة وإحكامهم الحصار على من فيها يقول القرآن الكريم :

« وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا » .

وقد سبق وصف يتفق بأنه مرض .

وجرثومة هذا المرض تنمو مع ضعف الشخصية وانحلالها .

فترى المرء يلقي هؤلاء بوجه ورأي ، ويلقي أولئك بوجه ورأي ، حتى إذا مرد على ذلك أصبح إخصائي في العيش بشخصية مزدوجة .

وقد بلى المجتمع الإسلامي الأول بحرب ضخم من المنافقين كانوا شرًا عليه من الكافرين الصرحاء .

وهذه الآية قد يكون معناها : وإذ يقول المنافقون الذين في قلوبهم مرض .

فهي صفات متعاطفة يكشف بعضها خفاء البعض .

وكون الذين في قلوبهم مرض صنف آخر من الدس ، أشبهوا المنافقين في جرعه من الأعداء . وجنبهم عند اللقاء وشكهم في أمر الرسول وعاقبته ؛ فالتحقوا بهم وصاروا لذلك منهم .

والذين تظهر عليهم أعراض المرض يعزلون مع المرضى إلى أن تتميز أحوالهم .

وقد جمعت سورة الأحزاب هذه الأصناف كلها في قوله تعالى : « لَنْ يَنْتَفِعَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ » .

أَنْفَرِيَنَّكَ مِنْهُمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup> .

وقد جاء هذا التهديد بعد أمر عام لتساء المؤمنين بالاحتشام التام في ملابسهم ، يدل على أن انقصود بالذين في قلوبهم مرض هم الشبان المنسكون في الطرق المتابعون للعورات .

وتحفظ من هؤلاء أنزل الله الآية السابقة : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ<sup>(٢)</sup> » .

ولأمراض النفسية تتفاوت خفة وحدة ، ويتفاوت معها ما ينشأ عنها من محنة للشريع والقانون ، وشذوذ عن العرف والتقاليد الفاضلة .

على أن الجرم مهما كان مريض النفس فلا يمكن إخلاؤه من المسؤولية الجذبية وتركه طليقاً دون أية مؤاخذه .

والإسلام بنظر إلى هذه الأحوال المرضية نظرتين مختلفتين .

فهو يضع اخذود والعقوبات التي لا بد منها لصيانة المجتمع وتدعيم أركانه ونقير فصدته والحفاظة على مثله العليا والمغالاة بقيمها وقمع من يستهين بها ومن تمه فهو يخلد ويرجم ، ويقطع ويقتل .

وكمه — في جنب هذه النظرة الصارمة — يرسل نظرة عطف إلى ممره نفسه على حسب أنه مريض .

فهو يعمد في حكمه عليه ويجعل القاضي أن يخطىء في العفو خيراً من أن يخطئ في العقوبة ودمر بالدعاء له ، لا الدعاء عليه .

وقد حدث أن جرى، بِسْكَيرٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليؤدب على سكره فقال أحد الجالسين : احنة الله عليك ! ما أكثر ما يجاء بك ! .  
فقال صلى الله عليه وسلم : لاتلعنوه : فوالله ما عمت إلا أنه يحب الله ورسوله .

وفي رواية أخرى : لاتقوؤا هذا ، وتسكن قوؤا : اللهم ارحمه . اللهم تب عليه .

وهذه النظرة الرحيمة هي التي أوصت بالسر على الخفى ، وإعطائه الفرصة التي يصلح بها نفسه ، والتشفع له قبل أن يصل الأمر إلى القضاء ، عساه يرجع عن غيه . ويبرأ من علقته .

وأولى الأمراض النفسية ظفراً بالرحمة والعطف في دين الله هي الأمراض التي تصيب الإرادة الإنسانية في محاولاتها المتكررة المتعثرة أن تصل إلى السكامل المنشود ! .

فإن المرء إذا طلب السمو بنفسه عن الدنيا ؛ لاحتته من طبيعته الأرضية نزعات شتى قد تزيته عن الخير ، حتى يكاد يئس من بلوغه ، فتمرض إرادته ويضعف عزمه .

وهنا يتدخل الدين بتعاليمه فيعيد إلى الإرادة صحتها وقوتها ، حتى تسعى صاحبها إلى السكامل ما دام حيًّا .

وفي ذلك الموضع الدقيق من علاج النفس ، تساق أحاديث الرجاء وآيات الرحمة ، والنصوص الكثيرة التي تفتح عيني الإنسان على آفاق بعيدة المدى من غفران الله ورضوانه . والتي لاتسد الأمل أمام نفسه أبداً .



مثل قوله تعالى للعصاة : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا <sup>(١)</sup> » .

وأمثال هذه البشارات الرحبة يظنها القاصرون ذريعة إلى التقصير في العمل والاستهانة بالخطأ ، وهذا وهم مفرق في الضلال

فما قصد بهذه النصوص إلا تشجيع المجاهد لهواه على المضى في طريقه ، لا تحفه عثرة ولا تلويه عقبة ، ولا تنكسر عزيمته في الخير لكثرة ما اقتربت من الشر ، ولا يقنط من رحمة الله — مهما صنع — ما دام يريد استئناف حياة أتقى وأفضل .

وبهذا الضوء تدرك العلاقة بين النصوص الكثيرة التي تجعل العمل كل شيء في الدنيا حيناً ، والتي تسوق العفو والمغفرة حيناً آخر على السير من الأمور . وخير ما نستصعبه في ملاحظتنا على أحوال الناس قول عيسى ابن مريم عليه السلام : « لا تنظروا في أعمال الناس كأنكم أرباب ، بل انظروا في أعينكم على أنكم عبيد ، فإنما الناس رجلان : مبتلى ومعافى ، فاعذروا أهل البلاء ، واحمدوا الله على العافية » .

والإسلام تعاليم إيجابية لكي يكتسب المؤمن منها صحته النفسية ، وعافيته الروحية .

ويخفى من يحسب العبادات التي شرعها الإسلام ضرباً من الطقوس التي تؤدي في جو من الغفلة البائدة والفناء في مجهول غير مفهوم .  
فمن تفرع الأولى في الإسلام تقوى على اليقظة العاطفية والعقلية . وقد

تُحطى بالقبول إلا إذا تركت أثراً غائراً في القلب واللب .  
ومن ثم فاعبادات التي كلف بها المسلم أساس مكين لصحته النفسية .  
والحكمة المذكورة في تشريعها أنها وقاية من الأضرار والأضرار .  
وأنها — إذا وقع المرء في خطيئته — نقطة تغسل الروح مما لحق به من  
فتن وذنوب .

وكلا الأمرين — من وقاية ونظافة — سبيل الحافية والبعد عن الأمراض  
النفسية ، أي عن المعاصي والسيئات .

إن التعبد بتلاوة القرآن مثلاً ليست الغاية منه ترديد الأنشاز المقدسة ،  
بل المقصود أن يتصل الروح بالروح لينتش ويتطهر ويرفع حين يناجي الله  
عن الإخلال إلى الأرض واتباع الهوى :

« وَنَزَّلُ مِنَ الثَّمَرَانِ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ » (١) .

والتعبد بالصلاة مناهة عن الآثام ، ومطرقة للوساوس الصغيرة ، ودواء  
للعصيان إذا مس المرء عارض منه

ومن الحكمة الحكيمة : « إذا لم تشغل نفسك ما غلب شغلتك بالشر »  
وبهذا بُدِّق في الإسلام الفرد والمجتمع من أمراض نفسية جاثمة .

فإن الفرد العاقل والأمة التي لا رسالة لها مرتع خصب لأخبث الأمراض  
العقلية والقلبية .

وواشتغل المجتمع المسلم بما طوب به من جهاد دائم ، وما كلف به من  
صوات جامعة ، لما وجد متسعاً من الوقت لجرائم الفراغ والتبطل ، ولانحلت  
عقد كثيرة من تلقاء نفسها في ميادين العمل السامي إلى الأهداف الرسومة .

وعندى أن كثيراً من معاصي الأفراد يقع قسط كبير من وزرها على  
السلوة ، لأنها ترحم حياتهم بما يصرفهم عن الموبقات .

إن الأمراض النفسية التي يشردها السلوك الإنساني كثيرة .

وواستمعنا إلى آراء علماء النفس لما نجا أحد من الاتصاف بمقدرة كامنة  
أو لومة خفية أو داء نفسى دفين .

غير أن هناك فارقاً بين أن يوصف المرء بالجنون مثلاً ، وبين أن تصدر  
عنه أفعال تعد شعبة من الجنون .

وقد للإنسان — إذا صدرت عنه — : أما بك عقل ؟ وقد قال الله  
تعالى لأخبار اليهود :

« أَتَذْكُرُونَ الَّذِينَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ  
أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١) » .

والأمراض النفسية متفاوتة شدة وضعفاً . وهي في بدايتها غيرها في نهايتها .  
ومنهم من تكون الإصابة به كالوباء العام ، ومنها ما يقع في حدود  
وضروف ضيقة .

وأكثر الأمراض النفسية شيوعاً ما يشتهر — كما ذكر القرآن في غير  
موضع — عن اضطراب الغريزة الجنسية ، أو عن الشعور الإيجابي أو السلبي  
بذات — كما يعبر عن النفس .

وهذه لاضطرابات النفسية أطوار ومضاعفات لبس هنا موضع  
نبحث فيها .

ومن مرض الغريزة الجنسية تتولد الجرائم المسببة للزنا واللواط والسحاق  
والنecrophilia والتذلل للمحبوب . الخ .

ومن مرض الشعور الإيجابي بذات نشأ الفخر والخيلاء والتكبر  
وجنون العظمة .

ومن مرض الشعور سبي بذات تتولد مركبات النقص والتلون والملق ،  
وقد يكون الإحساس بانصاعة باعثة على التكبر والقفز بشكل حاد مثير .



والإسلام — كما قلنا — يتعهد النفس بالعبادات فيحصنها ضد  
هذه الأمراض .

ويخفف من آثارها إذا أصيبت بها .

ولا يزال يبالغها حتى يشفيها أو يقارب ، على قدر أخذ الإنسان نفسه  
بالمجاهدة والتربية .

ولسنا ندرى من أحوال الجرائم والمخالفات إلا غلواهر يسيرة .

وسنخرج على إصدار حكم عام في هذه الأمور .

وفد سنضع تمهيد معبر الناس في الدين بما يظهر لنا أنه إيمان ، أو  
فسوق وكفران .

أما معبر الناس في الآخرة فبئ الله وحده .

والتقوى تخليد العصاة في جهنم أو الغفوة عن البعض والتنكيل بالبعض  
الآخر إلى حين ، مقترن بهذه التلاصق التي أطلنا سردها ، ورفضنا إخضاع  
حكم فيها للجدل والسفسطة والأعيب المنطق القديم .

وفي ذلك نقول وميلنا القاضل الأسناد إسماعيل همدى من بحث طويل :

العدل كبداً ، والعقاب كجزء منه ، لا مناقشة فيهما إذن .

ونسكن أى المجرمين بنفى أن تتجرد له العدل ؟ وأيهم يعامل بالعدل مع الرحمة ؟ وأيهم هو المريض الذى تتجرد له الرحمة التامة ؟ إنهم مختلفون بلا ريب .

فصور النفوس أشد تنوعاً من صور الوجوه ، والإرادة والوعى ههنا أساس التنوع والاختلاف .

فأمرو تقارب الجريمة سريراً واعياً يبصر آثارها كاملة ، ويقدر على محاسنها تمام ، ويرتب وسائلها ويهيئ ظروفها ويستعد لمفاجأتها — غير امرئ تسقط عليه إحدى المواطن الحادة كالغضب أو الحب أو القربة فيورط في جنية مندفعاً إليها اقلدفاع المنقوص الإرادة والوعى معاً .

وكلاماً غير شئت أعوزته أسباب القوت فسرق ، أو أسباب النشأة الصالحة والتربة الضرورية ففُسد .

لا حجة بـ بـ يـ بين ما يستحقه كل نوع من هؤلاء ، فهذا واضح كل الوضوح .

وبذا كن قصه اشراً لا يُرى الرحمة على من يستحقها كاملة ، ولا العدل على من يستحقه مجرد ، ولا معاً على من يستحقهما معاً ، لأن وضاع لقوانين ، وقصة بين الناس . لا يصنعونها ، ولا يحكمون ، وهم آلات صماء . ويتهمهم شر ، فيه مافى البشر من صفات يستوحونها .

وتظهر — حتم — في يصنعون وفيما يحكمون ، بل للفروض أنهم من رقى بشر .

فصفاتهم من العدل والزاهة والط بالأنفس وتقدير البواعث والرحمة وما إليها من أرقى الصفات .

والقرآن نحدث بحدثه الفيض عن صفات الله هي مثل الأعلى . من عمه المحيط من خلق . وعنه انصاع الذي آثره نفسه ، وأمر به الناس ، ورحمته وسعته ، ويحب به جميل . وعفوه نسمح .

وهي صفات من الأدب أن تقول إنها غير عقيمة ، و غير سببية ، أو غير موقوفة بهذه الحياة المادية .

فنحن — بهذا القول ومثله — نقدره حق قدره . لأنها صفات إلهية ، فهي عاملة دائبة ، وهي مبركة منصبة ، تدور الدني والأخرة .

ومعاملة الله للناس فيما يشاء لهم ، وفيما يقضى بينهم . لا بد أن تكون مظهرًا تظهر فيه هذه الصفات ، ومجالا تبدو فيه آثارها الجليلة .

فانظروا الخففة التي تقضى باستعمال الرأفة كما يعبر رجال القانون ، والبواعث المحزنة التي تثير في القاضى عواطف الطيب الرحيم ، كما يكون لها تقديره عند البشر كونها كذلك تقديره عند الله .

ومن من وأقصر ، ومن مثل الأعلى في السموات والأرض .

إن الإيمان يستنزه لعمل كما يستنزه النهار الضوء .

وقد بشور في رائحة النهار غبر يحجب الأفق ، أو تتكاثف غيوم تملأ الأرض بالظلال .

بيد أن ذلك لن يرد النهار ليلا ، إذ هو عرض زائل ، طال أمده أم قصر ، فلن تلبث أشعة الشمس أن تضر الأرجاء بالدفء والضياء .

كذلك نور الإيمان قد تحجبه إلى حين غيمة من شهوة عارضة ، فتضيء

جواب النفس حتى لا تكاد المؤمن يرى الهيج . ثم يعمل الإيمان عمله فإذا بالأمرك كما قال الله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ نَذَرُوا فَإِذَا هُمْ مُنْصَرِفُونَ <sup>(١)</sup> » .

أما السلام المطلق للمعاصي الدائمة . فذلك حيث يحيم ليل الكمر ، ونفيس تهمس الإيمان . وعقد المرء حاسة البصر تماماً ، فهو لا يعرف لله طريقاً : « وَمَنْ كَانَ فِي هُدًى أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلَحَ سَبِيلًا <sup>(٢)</sup> » .



ن قصه احيفة الداجية كما مثلها أبونا آدم « خطأ ومنا » .

ومصة اخلقية الهالككة كما مثلها إبليس « جريئة وإصرار » .

فاحتر نفسك ما يحلو . ونس الحساب من مغالطات المنطق والبلاعب  
« مصوص » . وسكه إلى الله وكفى الله حبيباً .

(۷)

خلافت لامبر رها



إذا شب خلاف على مسألة مما بين علماء مخلصين فإن هذا الخلاف لن يطول أجله .

وإذا قدر له أن يطول فلن يترك في النفوس حقداً ، ولا في الصنوف صدعاً .  
وإذا حدث من ذلك شيء فلا بد أن يكون لأسباب مصطنعة بعيدة عن دائرة العلم ، أو عن دائرة الإخلاص ، أو عن كليهما جميعاً .

وقد نحت وراء كثير من ضروب الخلاف ، أشياء كثيرة تغاير البحث المنزه في العلم ، والإخلاص المحرود للحق .

وإذا ماتت أهواء النفوس وشهوات الغلب وانحلت الأغراض الدخيلة من وراء بعلا رأى ونشر مذهب لهدت عشرات من القريق يوم ولدت ، ونقيت في نطاق لا يمدو صفحات الكتب وحلقات الدرس ، كآراء تشنجر في ميدان النظر الخ ، وتنتهي فحيتهم دتباء النقاش فيها .

وإذا سعة العلم بد رحابة الأفق ، وإن حسن النية بلد رحابة الصدر ، وإن الإيمان المحض بد الحفظ الدقيق على وحدة الأمة .

فأنتى سرب الشقوى إلى دين تقوم على هذه الحقائق ؟ .

ومن فمة جسمه — جس وعز — صلة أتباع الهوى وهواة التفرقة صاحب رسالة اعصى ، فس منهم ويسوا منه .

وسوف يقول حر . صبحهم يوم يقببون إلى الله العظيم بذات الصدور .  
إِن مِّن دِينٍ فَرَّقُوا بَيْنَهُ وَكَانُوا تَتَمَّ سَتَ مِنْهُمْ فِي نَمَى ، إِحَا  
نَفَرُوا إِلَى مِثْلِهِ نَسْتَبِيهِ تَكَوْنُوا تَفْعَلُونَ (١) .

وقد تسأل : لكن المسلمين اختلفوا فرقا كثيرة ، وقد اشتغلت هذه الفرق بالجلد قرونا طويلة . فكيف نثق هذا الواقع مع المبادئ التي مهدتها ؟ .  
ونحن لا بالي أن ندفع يا خق بمجرد من نكتبوا سببه .  
فإن عصر الآخر - التي ظهرت به هذه الفرق حدث مشه في العصر الأول بين محمد ، محمد ، وحسن على محمد من جمع لإسلامي قد يحد قدره ، وله أثر تصديق يدكر .



خذ مثلا رؤية الله في الدار الآخرة ، فإن هذه المسألة تطاحن عليها المعتزلة وأهل السنة ، وتنازوا بالألفاظ ، ودأبوا بها المحافل والأسواق !! .  
مع أن هذه المسألة تار حونها كلام خفيف في المجتمع الأول ثم مرة ولم يعقب شحنا ، ولا خفا .

كان ابن عباس وجهور الصحابة يميزون الرؤية ولم في ذلك أدلة .  
وروي أن الرسول رأى ربه ليلة عرج به .  
وكانت عائشة تقول : لما ير رسول الله ربه .

هو مسروق : قلت عائشة : يا أمه . هل رأى محمد ربه ؟ فقالت : لقد قف شعري رمي من فت . أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؟  
من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : « لَا تَذَرِكُ الْأَنْصَارُ وَهُوَ نَذِيرُ الْأَبْصَارِ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ » (١) .

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب : « وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا كَسِبَ غَدًا وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بَيْتُ أَرْضٍ تَمُوتُ » (٢) .

ومن حدثك أن محمداً كتم أمراً قد كذب ، ثم قرأت : « يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ <sup>(١)</sup> » ، ونسكنه رأى جبريل في صورته مرتين .

وعن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل رأيت ربك ؟ قال : نور أنى أراه ٢ .

والتوفيق بين هذه الآراء المتقابلة سهل .

وقد مرت به الصحابة الأولون فلم يجدوا فيها ما يحبسهم عندها ، ولا ما يقيد أفكارهم بيزانها ، ولا ما يشغل العوام بالغوص فيها أو الخواص بالتخاضع عليها ، حتى جاءت — بعد — أيام الفراغ والهزل فتألفت فرق للتجارة بهذا الخلاف . . وإليك مثلاً آخر :

يرى ابن عباس وريد بن ثابت وابن مسعود أن قاتل النفس متعمداً لا نوبة له ، ويستشهدون بقوله تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَنَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً <sup>(٢)</sup> » . روى عن سعيد بن جبيرة قال : قلت لابن عباس : أمن قتل مؤمناً متعمداً

من توبة ؟ قال : لا . فتبوت عليه الآية التي في القرآن :

« وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً سَخِرَ وَلَا يَتَّقُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزُونُ .. لَا مِنْ ذَنْبٍ <sup>(٣)</sup> . » فقال هذه آية مكية نسختها آية مدنية .

وقيل : إن آية يزدون نزلت في قوم اقترفوا هذه الذنوب قبل إسلامهم . فبن عباس : « فما من دخل في الإسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له » .

وروى مش ذلك عن زيد وعبد الله .

وجهور الصحابة يرى أن للقاتل توبة ، وأن القتل ليس أشنع من الكفر والله يقول لنبيه :

« قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ نَكْتَهُوا يُفْعَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَأَفُ (١) » .

واختلاف الأنفس ضبيعة النسر . وقد تفوت حكام الصحابة في هذا الأمر ، وفي أمور أخرى مسبهة .

ومع ذلك فإن هذا الاختلاف سرّ على همش المجتمع ، فما غامت له حياتهم ولا طال فيه نجاحهم .



ولكن الخلاف يعظم ويشد عندم يدخل في الميدان عنصر غريب على العلم والإخلاص والإيمان .

أى عندما يتدخل حب الرياسة ومكر السياسة وعصب الحكام . . . !  
عندئذ تتحول الحبة إلى قبة ، وبدلاً من أن يجلس جماعة ليتجادوا أطراف الحديث في سكون ودعة ، إذا بأطراف الحديث تشدها أيدي مدججة بالسلاح ، من ورائها عقائر تنشق « الغضب والصياح » .

وقد فتحت مذهب تنفى للخلاف . ومذهب السياسات الخبيثة بما يزيد هوة تساء . ثم تورت على مر الأيام هذه المذاهب ولم يبق من خلاف بين المسلمين اليوم إلا ما ترى من أهواء السياسة الدنيئة أن تبقى أبداً الدهر ، هو الخلاف بين الشيعة والسنة ! !

وقد اشتعلت خلافات في مسائل العقيدة ثم انطفأت ، ونشبت خلافات أخرى في فقه الفروع ولم يهتم المسلمون لها ، ولو حققت ما يقسم فريقاً من سمين اليوم إلى سنة وشيعة لما وجدت شيئاً ذا بال .

ولكن عصيات الأسر ، ومنافع الأحزاب ودنيا الرؤساء للفنوين ،  
وسداجة العامة المخلوبين تريد لتبقى هذه الوقعة في صفوف الأمة الواحدة  
كى تعيش باسمها !! .



هل سمعت أن حزباً تكون في « إيطاليا » لنأيد « أنطونيوس »  
و « كيو بطره » ، وأن حزباً آخر نألف للدفاع عن « إكتافيوس » ؟ وإذا  
حدث أن هذه المساخر قد تحدثت بعد دروس ، ونشرت من أ كفاها بعد  
على ، وإن أحزاباً قامت لسوس إيطاليا الجديدة بذكريات حدثت من  
عشرين قرّة ، فمدا تكون حكك على مثل هذه الأمة المسكينة .. ؟  
إن المسلمين اليوم يفعلون هذا المنكر ! إنهم يريدون بناء حاضرهم على  
عقائد تنتزع انتزاعاً من خلاقات بالية .

وقد ماتت عشرات من المذاهب المنتحلة بموت السياسات التى رحبت  
بها وأعاتتها فى حصنها .

وما رالت إلى يومنا هذا سياسة الحكم الفاسد تعمل عملها فى العقيدة  
العمدة تجعل من المسلمين لنوحدين فرقا تتسارع ، على ماذا ؟ على الوهم .

وفى أهيب المسلمين فى مشارق الأرض ومعارفها أن يعودوا إلى كتاب  
الله وسنة رسوله . وألا يسمحوا للمغرضين والطامعين أن يستغلوا غاوت  
لأخارى فى أمور سيرة يقضوا ما أمر الله به أن يوصل .

وفى ماصب عر عقيمة وفى حاضرنا عبر أعظم .

« يَا وَيْلَاتِ لِيَكْرَىٰ مِمَّن كَانَ لَهُ قَاتِبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ  
سَمِيدٌ <sup>(١)</sup> » .

(٨)

النبوءات

## بين النبوة والفلسفة

للمعارف المحترمة مصادر معينة لا يعول على ما وراءها .  
فإذا كان مصدرها إنسانياً فيجب أن تنبع من ثنايا المنطق التجريبي  
أو الريضي كما هو حاصل الآن في علوم الكون والحياة وفيما يتصل بأحوال  
المادة وتشتون الناس .

أما إذا كانت هذه المعارف متصلة بما وراء المادة — أي بما يقصر المنطق  
التجريبي والريضي عن مثله — فإن الوحي الصادق هو سبيلها الفذة ولا  
تقبل غيره فيها .

ومن ثمّة فإن كلام الله وعن صفاته وعن حقوقه ، لا يستمد فيه إلا  
ما جاء على ألسنة الأنبياء وحدهم .

وبدلتها هربت بدلائل على صدق نبي ما ، فإن ما جاء به من عند الله  
يأخذ وصف اليقين وينقطع دونه الجدل .

من عسرت العسرة والعناء تكلموا في السادة وما وراء المادة منذ  
آدم ضوالة .

والتراث الذي حنوه من خيم من الصواب وانحطاً عكف عليه الباحثون  
فدروا أصحابه من سبقه .

ويمكن تصور أن كلام القدامى والمحدثين فيما وراء المادة ينقصه التوفيق  
لانعده عن مساهج فحى ، وهذا حفل بالثقل والخرافات .

فمن صاحب حوال نصف : « إن الأنبياء كلهم مع تباعد أزمانهم

واختلاف لغاتهم وموضوعات تراثهم واقتنان سننهم تعدد متفقين على رأى واحد ومقصد واحد فيما يشيرون إليه في دعوتهم الأمم .

أما الفلاسفة فعدست سريحتهم واحدة ولا دهم واحداً . بل آراؤهم مختلفة وأقوالهم مندفعة تبرز لأتدعهم حرة قوماً نجلى عمرتهم .

فكيف يرصى من عن مذهب دراسة مع ختلافهم — كما تكذب مصمهم حص — ويعرض عن البحث والنظر في كتب الأنبياء مع اتفاقها .

إنما ذهل أكثر المتفلسفين عن حقائق الأشياء لعدم معرفتهم كتب الأنبياء وإعراضهم عن النظر فيها وقصور أفهامهم عن تصورهما . هذا فيما يتصل بالاعراف الروحانية .

أما الفلسفة المادية فإن اتجاه العلم في العصور الحديثة إلى البحث المباشر والاستقراء الدقيق فقد أقعد هذه الفلسفات القديمة منزلتها ، وجعل أكثر شاجها لغوا .

والحق أن كثيراً من مذاهب المفكرين وآراء الفلاسفة ومقالات الأدباء لا تعتمد على ركيعة محترمة من اليقين الراسخ ، بل جلها يشبه قصائد الشعراء هاتمين في أودية حير . أو هي تصوير لمشاعر نفسية خاصة ووجهات نظر في فهم الحياة قد سر لأصحابها على أنها نزعات شخصية ، ولكنها لا تقبل مطلقاً في ميدان العقائد الصامة .

والتضارب الهائل بين ثمرات هذا اللون من المعرفة الإنسانية يجعلنا لا نخرج به عن هذا النطاق .

ولوقرأت فلسفة المنود والرومان والإغريق ، وتطورات الفلسفة الإنسانية عامة في القديم والحديث لما تجاوزت بها أبداً حدود البحث الحائر وراء



الحقيقة الغامضة وشق الفروض التي يجانبها الصواب ومزيجاً من التحويم  
الغامض يعلو ويهبط ثم لا يستقر على شيء ..

شتان بين هذا القلق وبين المبادئ المحدودة والتعاليم الواضحة والأفكار  
المشرقة التي عرضتها الأديان في بساطة تامة ، كما تعرض المبادئ الأولى  
في علم الحساب .

إننا لا نقبل من المعارف المادية إلا ما خضع للنطق التجريبي والرياضي  
— كما قلنا — ولا نقبل من المعارف الروحية إلا ما جاء على لسان نبي عرفنا  
بمنطقنا المادى صدقه فأمناه على ما يفرس في عقولنا وقلوبنا وما يرسم لأحادنا  
وجماعاتنا لأننا آمننا بأنه مبلغ عن الله . وما جاء من عند الله فهو الحق المطلق .  
أما ما عدا ذلك فهو وهم مريب ، والتعلق به اتباع للظن وقد نهانا الإسلام  
أن ركن إلا إلى اليقين :

« وَلَا تَقْفُ مَا نَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ  
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا <sup>(١)</sup> » ، « وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ  
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا بُغْيَ مِنْهُ إِلَّا خَلْقٌ شَيْئًا . فَأَعْرِضْ عَنْ نَوَى عَنْ  
ذِكْرِهِ وَهُوَ يَرِدُ إِلَّا أَخْبَاءَ الدُّنْيَا . ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ <sup>(٢)</sup> » .

## الوحي

أما الأنبياء فأسس عليهم الوحي .  
هؤلاء ارجس انصصفون من أبناء آده تتلقفهم العناية من شأنهم الأولى

لتقيهم أوضاع الطبيعة الشرية ، وترقى بهم صُعداً في مدارج الكمال ، وترشح قلوبهم الكبيرة لاستقبال ما يقد به انلاً الأعلى عن حصرة القدس .  
فإذا باخكة تسيل من أَسْتِهِمْ ، والأسوة احسنة تنفس من أعماهم ،  
والنزاهة المنقطة تقترن بأحوالهم وتحملهم .

وحي مدى تسرى به معرفه على هوب لأبيهم أنواء ومراب .  
مد برؤيه الصسخة في النوم ، ورؤيا الأنبياء ليست من أضغاث الأحلام  
التي تترجم بها النفس عن رغبتها المنكبوة في صور مهوتة منقطعة كما يحدث  
لجاهير الناس ! كلا . فإن الكمال البشرى الذي وصل إليه النبيون يحمل  
قوبهم يقظة — ولو نامت أبدانهم — بعكس الدعاء الذين تنام قلوبهم ليلاً  
وسهرا فهي في غفوة لاتصحونها ، ولو نشطت أبدانهم وراء أغراضها الصغيرة .  
أما أفئدة الأنبياء فكأجهزة الاستقبال المعدة لالتقاط الأنباء في كل  
حين . وكهراؤها المتأقمة تسجل ما يقذف الملك فيها . . ثم لا تلبث أن تذيبه  
على الناس أجمعين .

وكت الرؤيا الصسخة أول مطالع الوحي في حياة محمد صلى الله عليه وسلم  
صاحب رسالة المضي .

« أول مبدىء به رسول الله من الوحي الرؤيا الصداقة . فكان لا يرى  
رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح » .

وقد ظل صلوات الله وسلامه عليه موصول القلب بالله في يقظاته وهجماته  
إلى الرمي الأخير من حياته .

ومن الوحي عن طريق الرؤيا حدثت قصة إسماعيل ونزل الأمر بذبحه  
« فَلَمَّ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي النَّامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ،

فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ : يَا أَبَتِ أَفَلَمْ مَا تَوَلَّيْتُ سَتَجِدْنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ<sup>(١)</sup> » ويكثر أن يكون الوحي إلهاماً — في اليقظة — بواسطة الملك . ننضح به المعنى على قلب النبي فيتكلم الحق .

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة لهذا الضرب من الإلهام ، سواء صرح فيه بخبر هذه الوساطة كما في الحديث : « هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، وإن أظأ عنها ، فاتقوا الله وأجلوا في الطلب » .

أو طوى ذكر ذلك وأرسل الحديث لإرسالاً كما في سنن أخرى . وقد نزل القرآن كوحى بالقائله ومعانيه جميعاً .. فعلم منه الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يكن يعلم . وكان حظ جبريل في ذلك مجرد النقل من لنن الخبير البصير : « نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ<sup>(٢)</sup> » .

وقد نزل الوحي سكيم الله لعبده مباشرة من غير وساطة كما تم لموسى . « قَالَهُ نَحْنُ نُوحِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَكُونَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ ..<sup>(٣)</sup> » . وكما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة عرج به — على رأى ضافة من السماء — .

بيد أن تكليم الله لأبيه أمر لا يدري كنهه ، ولبس على النحو الذي نثقه بين المتحاضين من مكاتف ومسافة . بل كما قال الله تعالى :

« وَمَا كَانَ لِنَشْرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ . وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ مَوْلَانَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ <sup>(١)</sup> . »  
والتصديق عند نوحى يس ع ينعمه عى حقور بدر كه .

وتشه مدين حوه مسعد من مقده عصب ما دمن قد اعترفد . أن الله حق وأن وجوده فوق الرب ، وأن له جل شته أن يصطفى من عباده من يبلغ عنه مراده . ومن يتعهد به الأمم الشاردة ويخرجها من الظلمات إلى النور . . .

وحاجة العالم إلى الرسل ماسة .

فلو تركت أزمة الفكر الإنسانى للاجتهاد المحض ، لضل الناس رشدهم ، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصحح عالمكم .

ونحن ننظر فى تاريخ الأرض القريب والبعيد فلا نجد مثابة تفرع إليها الشعوب ونلتمس فى غلالها الخير والبركة إلا تعاليم الأنبياء . . .

هذه تعاليم مب ما يحجر العقل عن ابتداعه أو ترك وحده ، ومنها ما يمكن أن يصل به العقل حد لأمى وحد تحارب مريرة .

ومع ذلك يكون مصوره له غامص وفكرته عنه منقوصة .

أحسب أنه لو لم تاتنا رسل من عند الله تعرفد بوجوده ، نبجشنا نحن عن سر الوجود واستصل أفكار حصيفة حتما إلى الجزم بأن هذا الكون لن يخلقه الوم ولن ينظمه العدم ، بل لا بد من خالق موجود وقدره منظمة .

ولكن هذه الأفكار الصحيحة ستكون فروضاً قلقية ، وقد تجرّفها الآراء المناقضة ، والمذاهب الملحدة .

ولو استطاعت البقاء فإنها — في غيبة الوحي — ستكون تخمينات شتى ، يلتبس فيها الحق بالباطل .

ومن ثم فإن بعثة الرسل كانت ضرورة إنسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب في بقاء طامسة .

وقد أدى الرسل واجبه في قيادة الفكر والقلب وورثوا الأجيال المتعاقبة حقائق الإيمان بالله سهلة غضة ، لائحس وأنت تتناولها من أيديهم الطاهرة بهذا الكلال العقلي المعتن ، الذي يصاحب دائماً أفكار الفلاسفة في تصويره لأسرار الوجود .

وكما عرفنا عن طريق الرسل مبدأ الإيمان بالله ، عرفنا كذلك الإيمان بهيئوم الآخر وما يسبقه ويحقه من حساب وثواب وعقاب ، عرفنا ذلك على حمة اليقين الجزم ! ولولا بلاغ انوحى نجبر العقل المجرد عن فهم النهاية المرتقبة لعمد الزاخر .

على . إن المرء قد يرفض التسليم بأن هذه الحياة الدنيا هي كل شيء . لا سب وهو يرى اجزاء مبتسراً فيها .

فكم من الأخير والأشراق يموت قبل أن يلقى جزاء ما اكتسب .  
وكما من معاركة دارت بين الأفراد والجماعات علا فيها مبطلون وهلك فيها مصدحون .

وجوز موازين اجزاء في الذي يعلق الأفئدة بيوم تم فيه النصفة ويتحقق فيه العدل .

بل إن الفطرة — فيما تهدي إليه من حقائق — تجعل الإنسان يستشعر معنى الخلود ، ويستمد له في حياته القصيرة بمختلف الأساليب .

بيد أن رسالات السماء وحده هي التي كشفت الغطاء عن كل ما قد يثار حول لبث من رب . وقدمت نمر . كشف مفصلاً الجزئيات التي سوف يقدم عقب تبه . يمه في هذه مدار .

وإنست وخليفة أرسل هذا الإرشاد العقلي إلى حقائق الحياة فحسب بل إن تربية الأصحاب والأتباع على هذه المبادئ من أهم ما جاءوا له .  
والترية ( كالنوق ) شيء ليس في الكتب ، إنها ليست حشو الأذهان بالمعلومات ولا قيادة الحياة بالأوامر العسكرية .

بل إن التربية الدينية التي تولاها الأنبياء وكتبوا بها صحائف جديدة في التاريخ تقوم على إحداث تغير ففاني عبق يشه تغير العطين بعد نفخ أروح فيه .

ودُعَاُ الجاهلية الذين عاشوا في باديتهم عبيد شهوات ومساخر حروب فاجرة . ليتحولوا بين عشية وضحاها إلى حنفاء ربانيين يقدمون أنفسهم وذريهم قرابين لمحق . . . لا لأن نفحة عامرة من روح النبوة المقدسة خمرت موتهم لأدبى فردت عليه خيرة وبعثه يدأب ويسعى . . .

ووظيفة الرسالة تقوم على إسداء العون والنصح للفرد والجماعة في كل ناحية ، فهو يسكب من طهارة قلبه على أوضاع القنوب فيضلها . وهو يشعل من تلق عقله الأفكار الخالية فيضيئها ثم يبعثها هي الأخرى لتضيء وتهدي . .  
والنبوة في هذا المضمار لا يسبقها شيء .

ومهما عظمت تتأجج الفلسفة فلن تخطو في هذه السبيل أشباراً بعد أشبار ، حتى يدركها العثار . ! !

## العصمة

وحياة الأنبياء تملأ في مستوى من الكمال ، لا تهبط عنه أبداً .  
والمؤمن — من عامة الناس — تتذبذب حرارته في مدارج الارتقاء .  
ويعتبر الخذلان الأسمى الذي يقف عنده هو مقام الإحسان .  
وهو « أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك » .  
يبدو أن مقام الإحسان وهو آخر ما يصل إليه الناس بعد الجهد والمران ،  
هو المرتبة الدنيا للأفق الذي يعيش الأنبياء فيه إذ يستحيل في حقهم أن  
يسقطوا دونه .

أما ما يرقون فيه — بعد — من معاني الصلة بالله فأمر لا ندرك كنهه ..  
وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسول الله كافة ..  
فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها .  
ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بانزوة أو تسقط الاعتبار .  
وقد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله عليها ويوقنون إلى الصواب فيها  
ولكن هذه الأخطاء لا تصل بأمور اعتقادية أو خلقية مما يمد الوقوع  
فيه أمراً ثباتاً .

من مكان ذلك لأمر التقديرية التي تنفاوت فيها الأنظار عادة من  
تشون الدي وسميات الأمر .

وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين في حق الله ، لأنهم أعرف الناس به  
ونحلا ذمه وعظمة حقوقه على عبده ، وبصور المهم مهما بذلت عن الوقاء  
تنبغي له .

وإذا كانوا يمدون ذلك ذنباً نطلب الاستغفار ، فلبس استغفار الأنبياء  
عن مثل ما تدرف من خطايا أو تركب من سيئات . ! !  
وما ورد في يوم غير ذلك فإن حقيقته ور ، وهذه العامة . وفصيل الموضوع  
في غير هذا المكان .

### المعجزة

من حق الناس أن يسألوا كل رجل يزعم أنه مرسل لهم من عند الله :  
ما دليلك على صدق قولك ؟

فإذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبوه واستمعوا له .

وقد جاء صالح إلى ثمود يخبرهم بأنه نبي من عند الله ، ثم يصيح فيهم :  
« فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُرْسِرِينَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ  
وَلَا يُصْلِحُونَ <sup>(١)</sup> » .

ولكن ثمود ردوا هذا النصح وطالبوا صالحاً بالبرهان على أنه ليس  
تصحاً عادداً .

« قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ السَّحَرِينَ . مَا أَنْتَ إِلَّا تَشْرِي مِثْلَنَا فَأَنْتَ بَايَةٌ  
إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسِينَ . فَأَنَّ هَذِهِ نَاقَةٌ آتَاهَا تَرِبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ  
مَقْلُومٍ وَلَا تَمْسُوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ <sup>(٢)</sup> » .

فكان طلب ثمود مقولاً ، ولذلك جاءت الإجابة عليه سرية .  
وكانت الطريقة التي وجدت وعاشت بها هذه الناقة ، خارقة لما تمارف  
عليه القوم .



ودل عليها على أنه أثر لقدرة عليا لا تُقدَّر الناس المعتادة .  
وهذا النوع من الاستدلال يقوم على تفهيم الناس أن الشخص الذي  
يحدثهم لا يمثل نفسه ، ولكن يمثل رب الأرض والسماء .  
ولذلك يعمل بقوته المطلقة ، لا بقوى البشر المحدودة ! .  
وقد فزع موسى إلى هذا الدليل ، لما كذبه فرعون في دعواه أنه مرسل  
من رب العالمين وتهده .

« قَالَ لَنْ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ، قَالَ  
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَأَلْقَى  
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْعَبُكُنْ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ <sup>(١)</sup> » .  
وكذلك صنع عيسى عليه السلام عندما عرض نفسه على بنى إسرائيل .  
فنبأهم بأنه رسول من عند الله سبحانه وتعالى .

ثم سرد أدنته على رسالته : « أَلَمْ أَخْلُقْ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ  
الْعَلْبَرِ فَأَنْفَخُ فِيهِ فَيَكُونُ عَلِيمًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَبْرَأُ الْأَكْثَرِ وَالْأَبْرَصَ  
وَأَحْيَى الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبَشُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ،  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ <sup>(٢)</sup> » .

وقد لوحظ أن كثرة الأمم — رغم ما سبق إليها من آيات باهرة —  
لم تستجب للحق ولم تسم بدعوى المرسلين ، لا عن قصور في الأدلة التي  
تسندهم بل عن عناد وتبجح .

« الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ رَسُولَ حَتَّى يَأْتِينَا بُرْهَانٌ  
تَأْكُلُهُ النَّارُ !! قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالذِّقْلِمْ .  
فَمَنْ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ <sup>(١)</sup> » .

\*\*\*

و مدعى على صدق أية دعوى قد يكون بأمور خارقة عنها ، أو يكون  
بحقيقتها في نفسه .

فقد يزعم أحد الناس أنه مهندس ويقول : دليل على ذلك أنى أستطيع  
السير بقدمى على الماء أو الطير بخناخى فى الهواء .  
فإذا فعل ذلك سمته !

وقد يقول دليل على ما أقول : أنى أبهى — فعلا — عمارة مدعة  
الأركان ، أو أصل بين شاطئين — مثلا — بحسرتين !

فإذا فعل ذلك فقد دل بقدرته الهندسية على أنه مهندس يقيناً .  
بل قد تستريح النفس إلى هذا الاستدلال أكثر من راحتها إلى البراهين  
انحرقة الأولى .

ق . بن رشد : « إن دلالة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست  
كدلالة انقلاب العصا حية ، ولا إحياء الموتى ، وإبراء المرضى .

فإن تلك وإن كانت أفعالا لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء ، وفيها ما يقنع  
الجاهل من العامة إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة وأهداف الوحي  
ومعنى الشريعة .

أما القرآن فدلالته على صفة النبوة وحقيقة الدين مثل دلالة الإبراء على الطب .  
ومثال ذلك ، لو أن شخصين ادّعىا الطب فقال أحدهما : الدليل على أنى  
طبيب أنى أطير فى الجو .

وقال الآخر : دلى أنى أشفى الأمراض وأذهب الأسقام . لكان  
تصديقنا بوجود الطب عند من شفى من المرض قاطعاً ، وعند الآخر مقتناً  
قط « ١٠ . ملخصاً بتصرف .

فالمعجزات إذن قد تكون ذاتية فى الرسالة ، وقد تكون خارجة  
عن جوهرها .

والتفاوت بينها واسع النطاق باختلاف البيئات التى ظهرت فيها والرسالات  
التى اقترنت بها .

وقد كان التعويل فى العصور الأولى على الخوارق المادية فحسب .  
أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية .

حتى جاء الإسلام فنفض من شأن الإحجاز المادى . . . ونوه بالإحجاز  
العقل والقيم المنصوية للرسالات .

وقرر إلى جانب ذلك أن الخوارق التى دعت بها الديانات القديمة لم تمنع  
التكذيب بها — أولاً — فلا معنى لطلب التصديق بها أخيراً .

« وَمَا مَعْنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ، وَآتَيْنَا  
ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا . وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً <sup>(١)</sup> » .  
ومن ثمّ انجّه تأييد الأنبياء وجهة أخرى .

## المعجزة بين الرسالة الخاتمة والرسالات الأولى

• • جرت سنة الله في أعبائه جميعاً أن يؤدبه بمعجزات الواضحة، وأن يسوق بين أيديهم من خوارق ما بلغت الأنظار ويستهوى الأفتدة . ثم ما بينى معه اليقين وعمد صر لاسق ودوعى مضمسة في نفوس .  
وكانت معجزات الأنبياء شيئاً آخر غير الرسالات التي يشرون به  
ويدعون فيها .

فطلب عيسى غير إجماله ، وعصا موسى غير توراته .  
إلا أن الله شاء أن يجعل معجزة رسالة الأخيرة شيئاً لا انفصل عن جوهرها .  
فجعل حقائق الرسالة ودلائل محتها كتاباً واحداً .  
وجعل من أصول الدعوة وأسايب عرضها ، البرهان الأكبر لدعوى  
الرسالة . والسند الأعظم لصدق صاحبها .

فأى القرآن الكريم — بما تتضمن من دساتير العدالة الخلقية والاجتماعية  
والسياسية ، وبما تفرس في الطبائع من آثار الأدب والتربية والاستقامة —  
هي رسالة الإسلام ومعجزة .

وعظم ما في هذه الآيات أن الفطرة الإنسانية تحد فيها مجالها الحيوى القذ  
وتجد في جوها المتنفس الطلق الخمر .

ومن ثم كان القرآن كتاباً إنسانياً . وكان نبي القرآن إنساناً كاملاً ،  
وكانت رسالة الإسلام في موضوعها وأهدافها إنسانية بحتة .

ولذلك توجه القرآن — مباشرة — إلى العقل البشرى يخاطبه ويفك  
عنه آصاره ، ويرد عنه اعتباره .

وأكد القرآن أن أصحاب هذا العقل وحده هم الذين يستطيعون فهمه وتبيين معانيه .

« أَفَنَنْتَعِمُ أَنْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ »<sup>(١)</sup> .

بل إن أصحاب هذا العقل وحده ، هم الذين يفهمون رسالة الوجود نفقهون أسرار الكون .

« إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ »<sup>(٢)</sup> .

فلتكن إذا معجزة نبي الإسلام عقلية .

وما دام الشر يمتزج بعقولهم ، فسنبقى لهذه المعجزة قيمتها ، أجل . سنبقى لهذه المعجزة قيمتها ما بقي العقل أنفس شيء في الحياة وما استلهم الناس عقولهم في الحكم على الأمور وفي قيادة الإنسانية إلى آفاق الترقى والكمال .

## مقترحات كافرة

غير أن هذا المنطق يمكن ليلقى القبول الواجب له عند أعراب الجزيرة وبقية القرون الأولى ومصرعي الأوهام والخيالات .

إذ كان أقصى ما يفكر فيه هؤلاء أن يشاهدوا خارقاً قلب البر بمرأً وأخصب جدباً .

وعندئذ بقون السد ويدخلون في الإسلام .

ولم يكن شيء من هذا الذي اقترحوه عزيزاً على قدرة الله .  
ولكن حكمة الله أبت إلا أن تنال بقيمة العقل الإنسانى الذى أرخصوه .  
ولأنه نعزيز على هذه القدرة الضعيفة أن تعطى الإنسان عقلاً يصنع  
المعجزات — إذا ما عنى به ونفدت إنيه — ثم تترك هذا الذى أعطت  
يصيب عساً . ونسجيب رعبات الجاهلين الذين سفهوا أنفسهم وأفكارهم ،  
وأنوا تحكيم مشاعرهم وعقولهم . وطالبوا بمعجزات مادية قليلة أو كثيرة  
لتصديق نبيهم .

وكان لابد فى معاملة أولئك القوم من سلوك منهج يرغب آتائهم على  
احترام العقل الإنسانى ومصالحهم ونصحة الأجيال من بعدهم !!  
ولذلك تقرر أن تكون المعجزة الكبرى لمحمد صلوات الله وسلامه عليه  
فى هذا القرآن الكريم .

فيه كان التحدى ، وعليه كان الرسول يعتمد فى سيرته مع خصومه  
بإصحابه طول حياته .

ومن هذه ظل القرآن كتاب الإسلام الناطق بدعوته ووجهته مملاً .  
لأن الحكمة الإلهية اقتضت أن تبث فى طريق الرسول أنواعاً من  
الخواصق التى أيد بها النبيون الأولون ، فجاءت هذه الخواصق تحمل طابعاً خاصاً  
بنى أن نعرفه حتى لا تتجاوز به حدوده الصحيحة . . . هذه الخواصق ثانوية  
لذالة فى تصديق النبوة والشهادة لها .

والطريقة التى أرسلت بها من عند الله تشير إلى أن الحكمة الإلهية لم  
لق عليها كبير أهمية ، ولم تغضّرها بها من قيمة المعجزة العقلية التى انفراد  
رسول بها .

قد حدثت جملة من هذه الخوارق بين المؤمنين الذين استقر الإيمان في قلوبهم فعلا ؛ والذين سبق لهم تصديق النبي في دعوته لأنهم أعمالوا عقولهم واحترموا إسانيتهم .

وحدث بعض آخر أمام أعين الكافرين .

بيد أن الصورة التي تُمَّ بها تثير الدهشة .

إذ كانوا يقترحون معجزة فتأتيهم أخرى ، أو يأتي ما يقترحون بعد سنين طوَال ، وعلى وجه يبدو منه أن إجابتهم إلى ما طلبوا لم تقصد أصلا .

وربما تهمل مقترحهم كلها ، فلا ينظر لها قط .

فما معنى ذلك ؟ وما السرُّ فيه ؟

## حقيقة الإعجاز المادى

يَبِّنُ الله عز وجل أنه فَصَّلَ في كتابه كافة أسباب الإيمان وأسانيد النبوة .

وَسُكِّنَ النَّاسُ أَجْوَاضًا بِهَذَا اللَّوْنِ مِنَ الْإِنْفَاعِ .

« وَتَقَدَّرَ صَرْفَةً لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ قَابِي أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا » (١) .

ومذموم أن كفروا ؟

صَبُّوا شَيْبَةً مُعَيَّنَةً ، زَعَمُوا أَنَّهَا — وَحْدَهَا — هِيَ الَّتِي تَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ .

« وَفَقُّوا : أَنْ يُؤْمِنَ لَكَ حَقٌّ تَفْجِرُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ، وَتَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ تَحْيِيلٍ وَعَنْبٍ فَتَفْجِرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا نَفْجِيرًا ، وَتَسْفِطُ النَّاسَ » (٢) .

ودعك من المطالب التي أملاها العناد والسخف من سلسلة هذه المقترحات الفولة ثم تأمل .

أنفجير نبوء من الأرض مغرأ به الشر على أنه عن نزل قوى من السماء لإتمامه . هـ هو د عن نفوى لا - ية :

بـ مر - و عقونه يضمن على فيه دانه في جب كل خير ويته كل عمل نفس من حق الأب إذا رأى انه جاور دور العقوة أن يعربه على يديه ، ويتركه يتجسم وحده منقة السعى . واقتحام المستقبل ، وتعمل أعباء الرجولة ؟

هكذا صنع الله مع عبده ، غدا أرضى الإنسانية في عقوبتها بأنوار صارخة من انطوارق . حتى إذا اشتد عودها واستوى فكرها ، تركها لتستخدم مواهبها الفكرية ، وتنبين الصواب والخطأ .  
فإنما هلكت عن بيعة ، أو نجت عن بيعة .

ويوه أن تعرف الشرية « العقل » في قبول دين أو رفضه ، فتعرف من حق - حسب كيف نضف هذا العقل في تفجير البنايع وتحويل رمال صحر - بى حد تقاض .

وهذا بعض ما طُلب أعراب الجزيرة من رسول الله ليصدقوا رسالته ! وقد طلبوا منه أن يرقى في السماء ، نكن الله أحب أن يكشف لهم عن سم البواعث التي توحى بهذه المطالب ، وأن يثير فيهم الإيمان بإنسانيتهم المهذرة ، وأن يرد الحرمه إلى عقولهم المخنقة ، وأن يعلمهم تكريم البشرية المخردة بالإيمان بنبي البشرية المبعوث مند ضيائها وسط رواثها .  
ولذلك يهتف القرآن عقب هذه المقترحات .



« قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا »<sup>(١)</sup> ؟ .

وقد حدث بعدئذ أن رقى النبي في السماء ليلة الإسراء بعد تقديم هذه الاقتراحات بأمد طويل .

فكان وقوع الارتقاء على هذا النحو دليلا ناطقا على أن الحكمة الإلهية لم تكثر قط بمطالب الكفار ولم تمرها أية قيمة .

بل جاء الرقى في السماء ليلة المعراج مظهر تكريم يمتد من الله لنبهه .  
لم تنزل به الإرادة العليا على رغبة شر . ولم يرتب على إيقاعه ما يترتب  
— غالباً — على وقوع التحدى من إيمان أو كفران .

لم تترك مسألة اتباع النبي أو التخلف عنه موكولة إلى المعجزة العقلية  
الفريدة معجزة القرآن الكريم .

« فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ »<sup>(٢)</sup> .

وقد أقسم المشركون مرة أنهم يؤمنون لدى أية معجزة مادية تقع كما  
يصرع الشاب لوالده أن يرضى نوازع طفولته ثم يسى بعدئذ رجلا !  
فبى الله إلا أن يرددهم إلى أفئدتهم وأبصارهم ، بتعرفون بها الحق  
ويتبتون بها عليه .

فإن معجزات الأرض والسماء لا غناء فيها إن لم يستتر القلب والعقل بما  
أودع الله فيهما من ور .

« وَقَسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيَوْمَيْنِ بِهَا . قُلْ إِنَّمَا  
الآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ؟ وَتُغْلِبُ

أَفَنِدَّيْتَهُمْ وَأَبْصَرْتَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَئِكَ مَرَّةٌ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . . . » (١)

ويزيد هذا المعنى جلاء ، قلوب القرآن في تصوير موقف الكافرين ، وبيان ما اطلت عليه قلوبهم وعدهم من عذاب وغيب .

وَوَفَّيْتَهُمْ بِبَعْثِ الْمَاءِ الْغَمَامِ فَفُتُّوا فِيهِ يَعْزَجُونَ . تَقَالُوا إِنَّمَا نَسَكَّرْتُمْ أُصْرَنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ » (٢) .

فإذا تجددى العجزات المادية مع هؤلاء ؟

وهم إنما ضلوا لاستغلاق قلوبهم وعقولهم .

وهم لو فتحت قلوبهم لا كتفوا بالقرآن آية لا تعلموها آية ، ومعجزة لا تدانيها معجزة .

« أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ » (٣) .

## النبي الإنسان

وثمن كان القرآن هو الكتب الذي يصور للإنسانية آفاق كمالها . فإن محمدا صلوات الله عليه وسلامه هو الرجل الذي حقق في شخصه وفي آثاره أعلى ما تشهده الإنسانية من مثل .

فقد رفع شأن « الضمير » عند ما أعلن أن التقوى تستقر في القلوب الزكية ولا تنفى عنها قشور العبادات ، وثبتت قيمة العقل وجعله أصل دينه .

وأسس عليه المسلمون حضارة متشعبة الثقافات والفنون ؛ وصلت ما قطع  
من تراث الإنسانية الفكرى . وكانت البذور المنتجة التى أورثت العالم  
حضارته الحديثة !

ثم إن هذا النبي هو المحرر الأول للإنسان وللمقرر الأول لحرية  
العقل والضمير .

تقد جعل الكون كله مسخراً لنشاط الإنسان الذهنى والبدنى .  
وجعل الإنسان سيداً فى نفسه ، سيداً لعناصر هذا العالم ، عبد الله فقط ،  
فلا سلطة ألبتة لمهاقين السياسات والديانات .

ونبي الإسلام عربى ، ولكن الدين الذى جاء به لا جنسية له .  
وأى جنسية لدين يخاطب العقل حيث كان ، ويبنى أدلته على النظر  
فى فجاج الأرض والسماوات ؟

### بين النبوة والعبقرية

تاريخ البشر حافل بأسماء الكثيرين من أصحاب المواهب الرفيعة  
والكفايات الضخمة .

وعتبت الإنسانية فى ذاكرتها ، وسجلت لهم فى صحائف الخلود ما قاموا به  
من أعمال جيلة .

وزوت للأجيال آيت مجدهم وآثار نبوغهم لتكون منه عبرة حافزة .  
والعظمة قدر مشتركة بين أوف من الناس ظهروا فى شتى الأعصار  
والأمصار ودفعهم امتيازهم منغوى إلى اعتلاء القمة .

لأنهم اعظم . متفاوتون فيما بينهم تفاوتاً عميد المدى .

الآتري كواكب السماء ونجومها ؛ إن بعضها أكبر من الآخر ألف  
ألف مرة .

ومع ذلك فالدرارى الصغيرة ليست من الخصى والجندل ؛  
فيذا محمد توارىخ عظمه وفيه لأنيه من مبغى انوحى وفيه  
انقلاسه من دة نمكر ، وفيه نخرعون من سمه "كون" وفيه الزعمه ،  
من دة اجدهير ، وفيه الأده . من حلة القلم ، وفيه . وفيه .  
فإن هذا التمحيص وما يستتبعه من موازنة وترجيح ، لا يميل بقدر أحد  
من أولئك العظماء إلى الحد الذي يهوى فيه إلى منازل السوق .

## المباقرة

كثيراً ما تكون العظمة امتداداً في موهبة من مواهب النفس .  
بل كثيراً ما يكون هذا الامتداد على حساب المواهب الإنسانية الأخرى .  
فإذا أصابها بالضمور والشلل ، وإبارد النواحي الأخرى من شخصية  
العظيم إلى متيالات في سائر الناس .

بل قد نكون أحد سقوط وأشد ضراوة .  
ومن هنا لا تعد في سيرة كل عظيم من أولئك المشهورين نقطة سوداء  
وجانباً غامماً .

كان ( نابليون ) قائداً محمكا مسر حروب ، ولكنه كان ساقط الخلق ،  
فاحش الصدر .

وكان ( جاك روسو ) أديباً ثائراً من أعظم واضعى دساتير الحرية في العالم ،  
ولكنه كان معوج السلوك ، هزيل الشرف .

وكان (بسمارك) داهية في السياسة لا يبارى ، وكان كذلك كذاباً مزوراً .  
وهناك من الفلاسفة والشعراء والفكرين والمخترعين من تفجؤك في أحوالهم  
وأعمالهم أمور شائنة تستغرب كيف يصدر منها عنهم !!

وم — مع هذا كله — عباقرة ، لأن إناجهم العلمي والأدبي وراثتهم  
الرائع القرد يسمو بهم فوق مستوى العامة .

والذين ظهرت سيرهم من هذه السوائب ، تراهم مبرزين في ناحية ،  
ومعنادين في ناحية أخرى ، أو مرضى بما يعسد عليه أفكارهم .

فجاء العلماء الأدب الرقيق المنشائم ، لو وهب معدة قوية أو بصراً حاداً  
لكان فلسفته اتجه آخر غير التبرم بالدنيا ، وتسخط الوجود فيها .

ومن أعظم زعماء العلماء من تراه أسير عقدة نفسية ، أو شنوذ جنسى ،  
أو أثره حادة !

ومنهم انصابون بجنون العظمة ، وتقديس الذات ، وكراهية شيء معين  
أو محنة !

ولذلك تنقسم حياتهم بالنقائص الموزعة على جانب مستور منهم ،  
وجانب مكشوف للجمهور لا غبار عليه .

وقد اعتبرت الخصاصة الأوربية هذا الناقص شيئاً عادياً مألوفاً .  
ومن ثم دعت للعطف أن نكون لهم شخصية مردوجة .

وزأت أن تنفع الأمم بمواهبهم وأن تتجاوز لهم عن سقطاتهم .  
والإنعيز يعرفون أن « مسن » مات وهرم يختلس عرض غيره ، ولكنهم

يفضون لضرف .

ويعرفون أن « تشرشل » خان عهداً تحصى واجتماعية ، بيد أنهم  
تعامون عنها .

فلندع هذا الفرق المنطود من رعاء الصد ونرفع .  
أجل يرتفع كبير . حص إلى مسوى أكره وضيء . وننكم عن  
صف آخر ... ه :

## الأنبياء

. لئن كانت الصبرية امتداداً في موهبة واحدة أو في جملة مواهب فالنبوة  
امتداد في المواهب كلها ، وإكمال عقل وعاطف وبدن ، وعصمة من الدنايا  
ورسوخ في الفضائل وعراقة في الثنل والفضل :

فَمُ الرِّجَالِ الْمَصَابِيحُ الَّذِينَ هُمْ كَانَتْهُمْ مِنْ نُجُومٍ حَيَّةٍ صُنِعُوا  
أَخْلَاقُهُمْ نُورُهُمْ مِنْ أَيْ نَاحِيَةٍ أَقْبَلَتْ تَنْظُرُ فِي أَخْلَاقِهِمْ سَطَعُوا  
فالذين يرشحون للنبوة يصطفون لها اصطقاء .

قوب بقية ترعها مثلاً الأعلى أوامر الطهر والصفاء  
وعقود حسيمة ، نجة لا نمدح عن حقائق الأشياء ، ولا يصيبها ما أصاب  
كبار الفلاسفة من سرود وعاء .

وأجسام مبرأة من العلل الخبيثة ، والأمراض المشوهة أو المنفرة .  
وصلة بالناس قوامها البر والخير .

فليس بتصور في حق نبي لله ، أنه أخل بحق المروءة والفضل ، بله أن  
يرتكب ما يخذل الشرف ، أو يقدح في العصمة !

ثم إن الرسل أناء على الوحي السماوى والهداية الإسلامية .  
فكلامهم حكمة ، وحياتهم أسوة . سريرتهم وعلايتهم سواء .  
( ليست لأحدهم صفحة مطوبة وصفحة مكشوفة ) .  
طرائق معيشتهم الخاصة كنهاج دعوتهم العامة ، تنضح عفافاً واستقامة .  
ظلوا بين الناس ماشاء الله فكانت مجسماتهم بركة ، ثم قبضوا فخلّفوا  
أقدس موارث ، وأقدس تركة .

وحسبك أنهم خيرة الله من خلقه .

« اللَّهُ أَعَزُّ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ <sup>(١)</sup> » . « اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ  
رُسُلًا وَمَنْ أَلْهَىٰ النَّاسَ إِنَّ اللَّهَ تَجِيغٌ تَصِيرٌ . يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ  
وَأِلَىٰ اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ <sup>(٢)</sup> » .

وأقدار الرسل تتفاوت سناء وسمواً .

فأرسول في قبيلة محدودة أفصل منه الرسول لمدينة فيها مائة ألف  
أو يزيدون ، أفصل منه الرسول لشعب بأسره .

وصاحب الكتاب السنن أفصل ممن يحكم تشريعه سابقة .

ولا تزال ترقى في مراتب العظمة ، ولا تزال تخلق صدقاً نحو القمة ،  
ولا تزال تقصّر شواهداً عند اتساع مدارج السكال البشرى ، حتى يصل  
في مسوى تنحسر دونه أعمار العباقرة مهما طمحت ، وتنطامن عنده أقدار  
لأنبياء مهما عظمت . نجد صاحب الرسالة العظمى إلى خلق الله قاطبة ، ملقى

القضائل المسترفة ، ومظهر انمثل العليا التي صورتها الخيالات ثم صاغها الله  
إنساناً يمشى على الأرض مطمئناً .

ذلكم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وذلكم مرثى بين عبادة  
الأرض وأمه الوحي :

فوق مدح - يرهو على كل فوق - وتسمع فيه أتمه منموثجه خضوق بحب  
رحمن والرحمة والعقل والفراسة والحكمة .

هيهات هيهات أن يدرك كنه ذلك أحد ! فاعظم لا يعرفه إلا عظيم  
شله . ومن كمحمد في الناس ؟!

كيف ترقى رقيت الأنبياء يا أسماء ما طاولتها سماء  
ه يساووك في علاك وقد حال سنا منك دونهم وسناء

## مسك الختام

كان المرسلون الأولون مصاييح تضيء في جوانب الليل القمى التي  
عجابه على المحمديين .

فما بدأ بحر الإسلام بنشق عنه الضلاء ، وبدأت أشعة الرسالة العامة  
تهادى في الأفق ، انقل العاه من عهد إلى عهد :

لا تذكروا الكتب السوالف قبله طلع الصباح فأطفأ القندبلا  
والكلام في عظمة الشخصية التي حملت عبء هذه الرسالة يطول ،  
حسننا أن الله عز وجل جمع في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شارات  
نسيادة والنبالة ما تفرق في النبيين من قبل .



ولقد ذكر الله أسماء ثمانية عشر نبيًا فيهم أولو العزم وأصحاب الرسالات الأولى ثم قال :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءَ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَافِرِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ . قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ » <sup>(١)</sup>

وهذا الأمر بالافتداء كان ماثلاً في ذهن النبي صلوات الله عليه وهو يقوم بسبيل الدعوة .

فلما ضمن أحد المناقشين في تصرف له وهو يقسم الغنائم قائلاً : هذه قسمة ما أريد بها وجه الله . كظم النبي صلى الله عليه وسلم غيظه وقال :

« رحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبر » .

ومن ثم قال المفسرون في شرح هذه الآية : إنها توى إلى فصل الرسول على من سبقه .

فإن خصال الكمال التي توزعت عليهم التفت أطرافها في شخصه الكريم .

كان روح صاحب احتمال وجلد وصبر على الدعوة .

وكان إبراهيم صاحب بذل وكرم ومجاهلة في الله .

وكان داود من أصحاب الشكر على النعمة وتقدير آلاء الله .

وكان زكريا ، ويعقوب ، وعيسى من أصحاب الزهادة في الدنيا والاستعلاء على تمهوتها .

وكان يوسف ممن جمع بين الشكر في السراء والصبر في الضراء .

وكان يوس صاحب تصرع وإخبات وابتها .

وكان موسى صاحب شجاعة وبن وسدة .

وكان هرون ذارفق .

حتى نظري سيرة محمد صلى الله عليه وسلم بمد هذه السير السابقة فتراها  
كأنحر حصص فيه الأسرار :

فَمَبْنَعُ الْعِزِّ فِيهِ أَتُهُ بَشَرًا وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ كُنْهِمِ

## موئل البطولات

من ذوى المواهب من يعيشون في عزلة قصية عن الجماهير ، ويؤثرون  
البقاء في البرج العاجي عما تستتبعه مخالطة الناس من سخط وتبرم .

ومنهم من يلقي بنفسه في معترك الحياة ومعه عدة النجاس ، من عمق  
النظرة ، وذكاء الفكرة ، والبصر النافذ ، إلى أدواء الشعوب وأدويتها .

غير أنه مع هذه المواهب الجليلة ضيق العاطفة لا يألف إلا القليلين ممن  
هم على شاكلته في المزاج ، أو من ينفقون معه في الأهداف .

ومن العظماء من أوتى امتداداً في شخصيته وبسطة في مشاعره تجرف  
الناس إليه وتملق القلوب به .

ولسنا نقصد بهذا قوة السيطرة على العامة والقدرة على تمريرهم وتسخيرهم .  
كلا كلا .

وإنما قصد هذا النوع من العطاء الذي يلتف به أصحاب الكفايات  
الكبيرة ، ويرمقونه بالإجلال ويقدمونه على أنفسهم عن طواعية واختيار .

ولقد ظهر أفراد قلائل من زعماء الشعوب على هذا الغرار القذ ، وتركوا  
في تاريخهم أثراً لا يمحي .

على أن الإنسانية لم تعرف في ماضيها الطويل — ولن تعرف — رجلاً  
وقَّره الأبطال وكرمه العظماء ، وانطبعت محبته في شفاف القلوب ، كما عرف  
ذلك في النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

كان أصحاب الشجاعة في القتال يحبونه لأنه أشجع منهم حين تحمر  
الحذق ويشتد البأس .

وكان أصحاب الحذق في السياسة والتدبير يحبونه لأنهم يرونه أكثر منهم  
مرونة وأرحب أفقاً .

وكان الأجواد الأسخياء يرونه وقد ملك وادياً من الإبل والغنم فما غربت  
عليه الشمس إلا وهو منح وهدايا للطلابين والراغبين .

وكان العباد يرونه صواماً قواماً ، والزهاد يرونه غنياً مترفاً ، وأصحاب  
البيان واللسان يرونه فصيحاً معرباً .

حتى المعجبون بالقوى السادية كانوا يرونه مصارعاً يهزم المألقة . .  
وهكذا ما عرف أحد من العظماء ميزة في نفسه بفخر بها إلا وجد رسول  
الله عى خفق أعرق منه وأرقى .

ولذلك يرفع إليه عهده مثلما يرفع الناس أنصارهم إلى القمم الشواهي  
التي لا تنال !!

ومع هذا الجلال الفارع . وذلك الامتياز الرائع ، فقد كان هذا الرسول  
لأمين قريباً سهوياً ضبعه من كل فرد .

فما يبرز مثاله على أرملة أو مسكين .

بل بلغ من اتساع عواطفه وتدفق مشاعره . أن كل فرد كان يحس في نفسه أنه آثر الناس عند رسول الله . وأقر به به إليه . وأعزهم عليه . كالشمس ترسل أشعتها فتنمى الجميع بها ، ويأخذ كل امرئ حظه من الدفء ، وحرارة ومنعة ، لا يحس بأن أحداً يشاركه فيها أو يزاوجه عليها . . . كذلك كان محمد مع صحابته ، يأوون من غصه الكبيرة إلى كنف رحيم .

### الوصف بالعبرة

يقولون إن النبوة هبة لا كسب ، وفضل يقد ، لا نصيب يطالب به ويسعى إليه . وهذا حق « أَمْ تَسْئَلُونَ رَبَّكَ « ١ » . « أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبَّكَ ، أَمْ لَهُمُ الْمُسْتَعْجِلُونَ ؟ أَمْ لَهُمْ سَمٌّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَتَيَّاتٍ مُسْتَمِعُهُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٍ « ٢ » .

بيد أن هذا الظهور لا ينزل اتفاقاً ، ولا يدرك اعتباراً !

وقد حاول شاعر في الجاهلية — بكثرة الكلام في الإلهيات — أن يكون نبياً ففشل .

وتوقع نفر من الأبحار والرهبان أن يصيبوا هذا الشرف فقاتهم مع تشوقهم إليه ورغبتهم فيه .

إِنَّ اللَّهَ — سبحانه وتعالى — يختار لهذا المنصب العظيم أهله ! !

ومن ظن أن العصمة تمتع المحنة والابنلاء ، أو أن الرسل الكرام ليسوا أكثر من حملة وحى ، وظيفتهم التبليغ المجرد ، كأن أحدهم مكبر صوت تنفخ من ورائه الملائكة ، فليست له مواهب ولا استمداد خاص ولا امتيازات رفيعة .

من ظن ذلك فقد ضل في صميم المرسلين ، وجعل ما حياهم الله به من خلال تعمل أعظم فلاسفة الأرض لا يصل إلى مصاف أقدامهم .  
 إن الكتاب الذين ألفوا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ووصفوه بالمعبرية يمكننا أن نقبل منهم هذا الوصف بمحدر وبقدر .  
 تقبله إذا كان الفصد منه كشف النقاب عن معالم العظمة الشخصية وإلقاء ضوء على البطولة الأدبية لأوثق المصطفين الأخيار .  
 ونقله إذا كان القصد منه الاعتراف بمبدأ الوحي الذي يصل المادة بما وراء مادة . وهذا هو أساس النبوة الأول .  
 ونقصه إذا كان وصفاً عظيمة إنسانية معنادة تسلك صاحبها مع غيره من رجال التاريخ البارزين .  
 ذلك موقف انسب من جبهة المؤلفين والمؤرخين ممن كتبوا في حياة النبي الأمين .

## الإيمان بالنبوات كلها

جعل الله — سبحانه وتعالى — التصديق برسوله كلهم ركناً في الدين وفرضاً عليهم بذاته مقدسة فصحيح الإيمان بهم منمنا للإيمان به « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ . لَا تَمَرِّقُ بَيْنَ يَدَيْهِ رُسُلِهِ وَقَالُوا مَعِمْعَمًا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَنُفِثَ الْمُصِيرُ <sup>(١)</sup> .

والإيمان بمحمد رسول الله هو الشطر الثاني من شهادة الإسلام . لا يصح  
 . . . . .

ولما كان الإيمان بالنبوات هذه الميزة ، لأن معرفة الله على وجهها الصحيح ، وفهم ما يريد عباده ويطالبهم به إنما يكون عن طريقهم وحده .  
والارتباط بالرسول ليس نعتاً ، أشتاحهم من الناحية الشريفة المحنة ، بل هو ارتباط بالوحي الذي سرقوا به . والأسوة التي تؤخذ منه .  
ومن ثمَّ يقول الرسول الكريم : « إِنِّي وَمَنْ أُحَدِّثُكُمْ حَقِّي كُؤُونَ هَوَاهُ نَبَأًا يَأْجِثُ بِهِ » .  
ويقول الله تعالى : « فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسِلِينَ ! فَلَنَقْصُرَ عَلَيْهِمْ بِمَلِكٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ » (١) .



وسريان المساد إلى الدياتين الكبيرين السابقتين على الإسلام ، اليهودية والنصرانية ، وما طرأ عليهما من تغيير ، وداخل كتبهما من تحريف ، جل الإسلام هو الطريق القذة للإيمان السليم .  
فن كتاب محمد صلى الله عليه وسلم وحده ، ومن سنته وحدها يفضى الناس إلى الحق .

والأبواب إلى الله في عصرنا هذا ، هما وقفت عليها في اليهودية أو النصرانية . فلن تفتح لك مغاليقها .

أما في الإسلام وسمه سبه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فستنفذ وراء النبي العابد ، ونهجه الخالد ، وقرآنه المحفوظ ، وسنته المصونة .

فصرف ربك عن يقين ، وتعرف ما تكلفك به من غير تزوير ولا تحوير !!  
من أجل ذلك اعتبر الإيمان بمحمد شرطاً لصحة الإيمان بالله .

« الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ - كَفَرَ عَنْهُمْ سُبَّتَانِيَهُمْ وَأَصْلَحَ بِآمَنِهِمْ . ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ . وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ، كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ <sup>(١)</sup> .

ولا تحسبن هذا غشواً في تزكية مخلوق . أو اختيافاً على حق الخالق ، أو تحجيراً على أتباع الرسل الأولين .

فإن عيسى وموسى صوات الله عليهما سارا بالماس إلى الله على بصيرة وهم لا يدرون ما فعل أتباعهم من بعدهم .

وإن عادوا يبتدأ أحباء كانوا أول من برأ من الكتب المدسوسة عليهم وأور من يستمع لأيات الذكر الحكيم ويبادر إلى تنفيذ أحكامها ووصاياها . ثم إن الله لما ضمَّ الإيمان رسله إلى الإيمان به ، جعل الكفر بواحد منهم كفراً به — حتى أنه — وهم جميعاً .

« يَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَذُوبُونَ أَنْ يَفْرَقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَتَقُولُونَ بَعْضُ مَا نَنْهَى عَنْهُ أَنْ نَسْخُدَ بَيْنَ ذَاتِ سَبِيلٍ . وَنَبِّئْهُمْ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعِزَّنَا لِلْكَافِرِينَ عَاقِبَةَ . وَنَبِّئْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَنَبِّئْ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَبِّئْ سَوَافٍ وَرِجْسٍ جَوْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا <sup>(٢)</sup> » .



ومحمد خاتم المرسلين أكمل الله به صرح البوات ، وأنتم به حقيقة الرسالات .  
 « إِنْ مَتَلَى وَمَتَلَى الْأَنْبِيَاءَ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَتَمَّهُ  
 إِلَّا مُوسِصَ نَبِيهِ مِنْ رَاوِيَةٍ مِنْ رَوَاهِ . فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَسَمَّحُونَ  
 لَهُ وَيَقُولُونَ هَذَا وَصِيَّتُ هَذِهِ نَبِيَّةٌ وَأَنَا نَبِيَّةٌ ، وَنَحْنُ حَتَمُ النَّبِيِّينَ » .

ود جـ - من يدعى النبوة بعده فهو كاذب ، ومن صدقه فهو كافر .

• وقد ظهرت طوائف من الحق تنبع رجلا اسمه البهاء يدعى النبوة .  
 ويطوون ثيابهم وراء قناع من التمسح بالإسلام وإظهار التصديق به وغيره  
 من الأديان . وهم ليسوا من دين الله في نبي .

وبهاؤم دجن ، وتعاليمه رور وبهتان ، وليس بعد القرآن وحى .

« فَمَاذَا نَعُدُّ الْحَقَّ إِلَّا الضَّلَالُ » (١) ؟ .

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته من هؤلاء المخرفين هال :  
 « يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أَتَانَسُ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ يَحْدِّثُونَكُمْ بِمَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ  
 أَنْتُمْ وَلَا آهَابُكُمْ . فَإِنَّا كُفُّرٌ وَإِنَّا نَكُفُّرٌ لَا يُضِلُّوكُمْ وَلَا يُفْتِنُونَكُمْ » .

وفي حديث آخر : « إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ كَذَّابًا ، كُلُّهُمْ  
 بِدْعِي أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي — وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ  
 مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى بَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ  
 عَلَى ذَلِكَ » .

\*\*\*



وقد عرفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمور تتصل بعائدتنا لم  
تكن عقولنا لتستطيع وحدها أن تدركها أو تفي تفاصيلها . وهي تتعلق بما  
وراء الحياة من غيوب .

وقد قلنا : إن العقل المجرد قد يعرف أطرافاً منها بالتأمل والنظر .  
ولكن المنصوم قد أعطانا عنها فكرة كاملة ، فسندرسها عن طريقه ،  
ووثمن بها تبعاً له ، فهي مما جاء به .

(٩)

الخلود

## هذى الحياة ..

قبل أن نأتى إلى الحياة الدنيا ، كم سبقتنا من عصور ؟  
وبعد أن نغادر هذه الحياة ، كم ستعقبنا من أجيال ؟  
وما نسبة هذا العمر المحدود بين ما سبقه وما لحقه من أزمنة ؟ إنه قليل  
قليل ! ولكن من هذا القليل الممنوح لى ولك ، تكون الحياة الدنيا ! !  
من هذا الظهور المخوف ، الفناء قبله والخفاء بعده تمر الأرض !  
فى طريق الحياة تمتد يجرى جيل من البشر وما يزال يجرى ، حتى إذا  
نال منه الكلال وأدركه الإعياء مات .

وقبل أن يخلو الطريق من الأنفاس اللاهثة والأقدام اللاعبة ينبت جيل  
آخر يستأنف السعى ويمثل الدور نفسه .

ويُسحب الجيل المنهوك ، فينف في الأكفان ويوارى فى التراب .  
وينفرد الجيل الجديد بالسعى ، حتى إذا لحقه ما أصاب خلفه ،  
سحب — كذلك — وحىء الآخرين . وهكذا دواليك .

هذه هى مواكب الحياة ... عمل متواصل من أعمار منقطعة !  
والمعجب أن هذا العمل متواصل يستمر القائمين به . فهم لا يحسبون  
أنفسهم حققة من سلسلة منقطعة التراخية مع الأمس ، المتطاولة مع غد .  
بل من أفرحهم يخدعه الغرور ، فى فكر أنه جديد على الدنيا ،  
ونه — كم ظهر فيه فجأة — سيخفى غتة .

كلاب العرور يحس به أنه كان من الأزل وسيبقى إلى الأبد ! !

فإذا جاء الموت دهس لمقدمه كأن الموت حَدَثَ غريب .  
غير أن الدهشة لا تدفع اليقين وكذلك ترك الإنسان الحياة الدنيا .  
من الخير للمرء — وهو في صحنه البدية وقطته المذهية — أن يعرف  
صبيعة الدار التي يعنى فيها . . . حتى ضيق عالية على دعائه منهرة .

لكن ما معنى ذلك ؟

أهذا فقط كل حظ الإنسان من الوجود ؟

ونبادر إلى الإجابة الحاسمة : لا .

لئن كانت الحياة على ظهر الأرض بهذه المثابة ، فالحياة التي تنبئها هي الأمل  
الأسمى والحظ الأوفر .

ولو كان الميش في هذه الدنيا هو كل شيء ، لكان الانتحار العاجل  
أولى بالناس أجمعين .

إن الدار الآخرة هي الحيوان ، والاستعداد لها هو وظيفة العقلاء في هذه  
الفترة الضيقة من آجالهم .

خَاتَمَ النَّاسِ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمْ لِلنَّفَادِ

إِنَّمَا يُنْقَضُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَارِهِمْ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادِ

والخفيف هو الذى يوزع اهتمامه على كلتا الدارين بقدر ما تستحقانه ،  
فيجمل عمله لهذه ، بقدر مقامه فيها . وعمله لتلك بقدر بقائه فيها . .

## ما وراء الحياة الدنيا

يعلم الناس جميعاً أن لنوت نهاية حاسمة لكل حى ، ومصير لا بد أن  
ترده كل نفس .

ولكن أكثرهم يحد عن الموت فكرة غامضة ، ويكون له صورة  
مغلوبة منوّهة .

فهم يظنون أنه ختاماً نعى الحياة ، وابتداء لحالة أخرى لا شعور فيها  
ولا إحساس معها .

بأن الإنسان منها ما يبال الدواب النافقة ، تحت أكوام التراب ، أو الأسم  
المهصومة في بطون الآكلين ثم لا شيء بعد ذلك .

وهو صلات بعيد . . . فليس الموت فناء ولا شبه فناء .

ربما كان الموت ومعه ضويلة كما أن النوم الذي عرفه وفاه فصيحه  
وقد جعل للموت قسماً للنوم وجعل الحالتين ، أعراضاً للأنفس  
لا يترك كثير .

« الله تَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَازِلِهَا فِيمِنْكُمْ  
الَّتِي قَصَىٰ عَنْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ جَلَدٍ مُّسَمًّى » (١) .

ومن كانت أرواح تفرق أجساد إلى حين ، فإن ذلك لا يغير من حقيقة  
الإنسان شيئاً .

فجسد ككثوب ، ككسي الإنسان به ويعرى عنه ، ولا مدخل له  
في جوهره .

ولا نخور من هذا الموت إلا انتقالاً من مكان إلى مكان لا نقص فيه  
وذلك من حقيقة وجوده ، ولا يحف إحساسه به ، بل قد يصحح ويزيد .  
وهو فهمنا حقيقة أن أكثر الموت . ولم تهين الإقبال عليه ،  
وبت شعور . موجس من ودره وموضه .

## البرزخ

لا يكاد امرئ ترك دياراً هذه حتى بدأ حسبه ويظهر ثوابه أو عقابه .  
وقد ساق لنا القرآن الكريم طرفاً من حوال الناس في هذه المرحلة من حياتهم  
الآخرة . فهو يقول عن كفار من آل فرعون :  
« النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا . وَنَوْمَهُمْ نَوْمَةُ السَّاعَةِ إِذْ دُخُوا  
آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ <sup>(١)</sup> » .

ويصف يوم الشهداء ، وترقيتهم لإخوانهم وأبنائهم كي قدموا عليهم  
ويشاركهم في السعادة التي غمروا بها :

« وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاهُ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
يُرْزَقُونَ . فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ  
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ <sup>(٢)</sup> » .

وبوادر السراو وواكبر الخير تظهر في اللحظة الأخيرة من عمر الإنسان  
على آخر مدارل الدنيا وأول مراتب الآخرة .

فقد جاء في السنة ، أنه في نطمين المؤمن حين يختصر نزول قوله تعالى :  
« إِنَّ الَّذِينَ هَلُوا رِثْنًا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا سَنَزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ  
أَلَّا تَخْفُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْبِشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ <sup>(٣)</sup> » .  
كما أن سر المقاب الأيم تواجه الفساق والظلمة في تلك الساعة الحرجة .  
« وَذُتَرَى إِذِ الضَّالِّينَ فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ ، وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو

أَيَّدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ ، الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ <sup>(١)</sup> .

« وَلَوْ رَأَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأُذُنَاهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ . وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْمَبِيدِ <sup>(٢)</sup> » .

وللعصاة من المؤمنين حطهم من المتاعب والآلام جزاء تفریطهم في الواجب واستهانتهم بالحرام .

وقد جاء : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على قبر دفن فيه شخصان . فقرأ :

« يَمُدَّانِ وَمَا يَمُدَّانِ فِي كَيْبِرٍ . كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَبْرِئُ مِنْ بَوْلِهِ ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالتَّمِيمَةِ بَيْنَ الدَّسِ » .

والأداة على ثواب القبر وعذابه كثيرة . يتصفر على إثبات أن قبل الجنة والذر مقدمت تحفل . نسترى ، أو تصفح بالإنذار .

وفي الحديث : « إِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا مَاتَ غَرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْقَدَافِ وَالْقَتَبِ . إِنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ فَمِنْ هَذِهِ الْجَنَّةِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الدَّرِ فَمِنْ هَذِهِ الدَّرِ .. فَيَقَعُ : هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

\*\*\*

ن موت - على الحقيقة - صور من الأطوار التي تمرُّ إلى في سنيه مختلفة ، كالغفوة والرجوة والكهولة .

لأن هذا الصور يتدرج في أقوى إدراك وأصدق حساً .

ولو تصور المتقدمون على الاتحار أى حياة يقبلون عليها ، أو أى مرحلة يصيرون إليها ، أفكروا طويلا ، قبل أن يرتكبوا حماقتهم .

لهم يريدون — بصفتهم الشنعاء — أن يفروا من الشعور بالصيق .  
ومواجهة النتائج المخزنة إلى عالم يحسبونه خيأ من الشعور . . ومن رؤية 'مواقب' محدورة .

وما دَرَوْا أن قِواء العالم الجديد الذى يقتحمون سواره هو الإحساس المضاعف ومجبهة شق النتائج .

وفكرة الكثيرين عن الموت تنلب عليها الجهالة والكفران .  
والقبر — فى نظره — مكان يخيم عليه الصمت والظلام ، وتبث فيه الديدان والحشرات . . فحسب .

ولسنا نتجاهل هذا المنظر الكئيب ؛ ولكننا ننكر أنه النهاية الحاسمة للعواطف الجيَّاشة بالخير ، والمشاعر المنتجة ماشر . وما اتبى على هذه وتلك من حضارات وعمران ، وخصام ووثام .

إن هذا المنظر يخفى وراءه — فى عالم لا ندريه — سهولا فسيحة تحفل بالأزهار والنوار ، ونفوح منها العصور المنعشة أعددها الله للمؤمنين الصالحين .  
وتمَّ وَهَادَ أخرى تدع فيها الأنفس الشريرة وتثن تحت وقع المطارق المنهالة والمقاطع الهامة ، أعددها الله للفاسقين عن أمره الظالمين خلقة .

وقد كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يُفِيضُ فى شرح الحقائق المتصلة بهذا العالم المُشَيَّب ، حتى ليكاد سامعوه يرون آفاقه رأى العين ، 'مصحومنها' والنائم .

وذلك حتى يؤسس فى أفئدتهم يقيناً بأن الموت المرتقب مرحلة تلى هذه الحياة كما تلى الرجولة الطفولة .



وإن وقفة مفاجئة لِوَجِيبِ هذا القلب الدائب الخفقان ، ترى بالمرء في أحضان هذا العالم الحق .

وإليك هذا الوصف المفصل لمقدمات اليوم الآخر كما يعرفنا به رسول الله .  
إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل عليه ملائكة من السماء يبص الوجه ، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة . حتى يجلسوا منه مد البصر ، وينعى ملك أتوت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه ، فيقول .

أنتم النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان .

قـ : فتخرج . فسيل كما تسيل القطرة من السماء ، فيأخذها .

فإذا أخذها ، يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها فيجعلوها  
وذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منه كأطيب نفع مسك وجدت على وجه الأرض .

قال : فيصعدون بها فلا يرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الضيب ؟ .

فيقولون : فلان ابن فلان ، بأحسن أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا ، حتى منوها بها إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون له فيفتح له .  
فشيعة من كل سماء مقرؤها إلى السماء التي نزلها ، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة .

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عِلين ، وأعيدوه إلى لأرض في جسده .

فيأتيه مكان فيجلبته ، فيقولان : من ربك ؟ فيقول : ربي الله فيقولان : ما دلت ؟ فيقول : دنى الإسلام .

فيقولان : ما هذا الرجل الذى مَثَ فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله .  
 فيقولان : ما يدرك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله ، وآمنت به وصدقته .  
 فينادى مناد من السماء : اُنْزِلْ فَاِذَا صَدَقَ عَبْدِي . فافترسوه من الجهة .  
 واتضحوا له : اَنَا اِلٰى الْجَنَّةِ .

ور : فيَّ به من رَوْحٍ وَضِيْب . وعسح به في قبره مدَّ نصره .  
 قال : وبأتيه رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، ضيْب اريح . فيقول :  
 أشرك بالذى يسرك . هذا يومك الذى كنت تعد .  
 فيقول : من أنت ؟ أفوجحك الوجه الحسن يحيى بالخير ، فيقول :  
 أنا علك الصالح .

فيقول : رب أقم الساعة ، رب أقم الساعة ! حتى أرجع إلى أهلى ومالى .  
 وإن البعد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ،  
 نزل إليه ملائكة سود الوجوه ، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر ،  
 ثم يحيى ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول :

أيتها النفس الخبيثة ، اخرجى إلى سخط من الله وغضب .  
 فَتَفَرَّقَ فى جسده ، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف للبلول ، فيأخذها .  
 فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يعطوها فى تلك المسوح .  
 ويخرج منها كأتفن جيفة وجدت على وجه الأرض ، فيصطون بها .  
 فلا يَمُرُّونَ بها على مَلَأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الريح الخبيثة ؟ .  
 فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمي بها فى الدنيا ،  
 حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا ، فيسندفح له ، فلا يفتح له .  
 ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَا تَفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجَأَ الْجَبَلُ فِي سَمِّ الْخِلْيَاطِ <sup>(١)</sup> » .

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سبعين ، في الأرض السفلى ثم طرَحَ روحه طرْحًا ، ثم قرأ :

« وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ <sup>(٢)</sup> » .

فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاه هاه لأدرى .

قال : فيقولان : ما دينك ! فيقول هاه هاه لأدرى !

قال : فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لأدرى فينادى مناد من السماء : أن كذب فافرشوه من النار ، وافتحوا لها باباً إلى النار .

فيأتيه من حرَّها وسمومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه

ويأتيه رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول :

أبشر بالذي يسوءك ، هذا يومك الذي كنت تعد .

فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجه القبيح يحىء بالشر .

فيقول أنا عملك الخبيث ، فيقول : ربى لا تقم الساعة .

وفي رواية له بمناء وزاد : فيأتيه آت قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن

الريح فيقول : أبشر سهوان من الله ، وعذاب مقيم .

فيقول : بشرك الله بالشر ! من أنت ؟

فيقول : أنا عمك الخليل ، كنت بعلينا عن طاعة الله ، سريماً في معصيته ، فجزاك الله شراً .

ثم يقبض له أعمى ، أصم ، أبكم ، في يده مرزبة ، لو ضرب بها جبل كان تراباً ، فيضربه ضربة فيصير تراباً .

ثم يبيده الله كما كان فيضربه ضربة أخرى ، فيصبح صيحةً يسمعه كل شيء إلا الثقلين .

قال البراء : ثم يفتح له باب من النار ويمهد له من فرش النار . ونحن لا ندري عن كنه الجزاء في القبور شيئاً . ولا حدود ما يصيب الأبدان والأرواح منه .

نعم . نحن نوقن بهذا الجزاء .

أما كيف يقع ؟ وأما البحث في التفاصيل الواردة به ؟ وأما التساؤل عن طرائقه بعد بلع اللحم والعظم فهذا ما لا نستطيع الخوض فيه لأن أمر المادة كأمير الروح غريب . وما يتعلل الناس من خصائص الحياة وأسرارها يوماً بعد يوم ، يحطنا نصدق ما خبرنا به الوحي ونكل دقاته للمستقبل ولا نحب أن نرجم فيه بئس .

### عمر الفرد وعمر الدنيا

عندما ينقضي أجل الإنسان من فوق ظهر الأرض ، يسافر إلى الآخرة تاركاً خلفه الناس ، يكذبون ويؤمنون .

فإلى متى يتصل هذا العمران ، ويبقى بنو آدم يؤدون رسالتهم في هذه الحياة ، ويخرجون من تجاربها المضنية ، إما إلى الجنة ، وإما إلى النار ؟؟

مقَى يَأْذَنُ اللَّهُ بِاتِّهَامِ عَالَمِنَا هَذَا الَّذِي تَتَوَارَثُ الْأَجْيَالُ أَفْرَاحَهُ وَأَحْزَانَهُ ،  
وَتَزْجَمُهُ بِصَرَاعِمِ الدَّائِمِ ، تَارَةً عَلَى الْحَقِّ ، وَنَارَاتٍ وَتَارَاتٍ عَلَى الْبَاطِلِ ؟؟ مَتَى ؟  
الظَّاهِرُ مِنْ بَصُوصِ الدِّينِ أَنَّ لِلدُّنْيَا نِهَايَةً مُقَرَّرَةً لَا تَعْدُوهَا .  
تَشَقُّقُ أَمْدِهَا السَّمَاءُ وَنَهْدُ الْأَرْضِ ، وَتَفِيضُ الْبَحَارِ ، وَبِهْلَكَ الْحَرثِ  
وَالنَّسْلِ . وَتَطْوِي الصَّفْعَةَ الْحَافِلَةَ بِنَارِيخٍ رَهِيْبٍ ، مِنْ بَدْءِ الْخَلْقِ إِلَى فَنَائِهِ .  
وَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ عَادَةً — قَبْلَ أَنْ يَحِينَ أَجَلُهُ — أَعْرَاضًا تَوْذَنُ بِمَوْتِهِ مِنْ  
تَسْبِيحِ خَوْفِهِ أَوْ مَرَضٍ أَوْ غَيْرِهَا . فَتَلَابَسُ نِيَّةُ كُلِّهَا قَبْلَ اتِّهَامِ أَجْلِهَا أَعْرَاضَ .  
إِذَا فَتْهَرَتْ عَيْنُهَا عَلَى ذَلِكَ عَلَى أَنَّ عَمَرَهَا أَوْشَكَ وَمَصِيرُهَا اقْتَرَبَ .



وَعِنْدِي أَنَّ لِمَرَرِ الْأَوَّلِ لَوْجُودِ الْحَيَاةِ وَبَقَائِهَا هُوَ وَجُودُ أَنَاثِ — قَلُّوا  
أَوْ كَثُرُوا — يَعْرِفُونَ رَبَّهُمْ وَيُؤَدُّونَ وَاجِبَهُ حَقًّا ...  
فَإِذَا خَلَّتِ الدُّنْيَا مِنْ هَؤُلَاءِ . وَبَدَأَ أَنْ مَنَلَهُمْ لَنْ يَتَمَحَّضَ عَنْهُ الْمُجْمَعُ  
الشَّرِي فِي ضُجُورِ الْبِلَادِ وَعَرِصِهَا ، فَغَضِبَ ذَلِكَ أَنَّ الدُّنْيَا أَفْلَسَتْ وَحَقَّتْ عَلَيْهَا  
السَّكْمَةُ . وَنُفُوسُ هَذِهِ السُّوقِ أَصْبَحَ مَحْنُومَةً !!  
وَعَلَامَاتُ السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، وَأَفَاصَتْ فِيهَا السَّنَةُ تَشِيرُ  
بِهَا هِيَ فِي جَلَالِ ...

بِإِنْ رُسِلَ الْكَرَامُ بِذُنُوجِهِمْ الْجَبْرِ فِي مَحْرَبَةِ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَقِيَادَةِ النَّاسِ  
إِلَى اللَّهِ . وَقَدْ سَجَدَتْ لَهُ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ ، وَمَشَتْ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ تَحْتَ  
لُؤْلُؤِهِمْ وَسَنْطِ نَسْنِ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ .

فَإِذَا اسْكَبَتْ أُمَّتُهُمْ . وَكَسَى لُؤْلُؤُهُمْ ، وَطَلَسَتْ شَرَاتُهُمْ ، وَهَنَ  
عَنِ النَّاسِ مُرَبِّهِمْ . وَوَمَتَّ خَصَائِرُ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى إِسْكَارٍ وَحِيْبِهِمْ وَإِنْصَافِهِمْ .

هذِهِم... ثُمَّ شَاعَ الْفَسَادُ وَاسْتَبِيحَتْ اخْرَمَاتُ وَغُلِقَتْ مُعَابِدُ وَنَسَى اللَّهُ  
— جُلُوعًا - وَمَاجَ النَّاسُ عَصَهُ فِي عَصٍ... يَوْمَئِذٍ يَسْتَحْصِدُ هَذَا  
الْعَمْرَانُ كَهْ ، وَيَقْتَرِبُ نَاسٌ حَسْبَهُ .

أَجَلٌ... قَدْ تَقَدَّمَ الشَّرُّ خُصُوفَاتٍ رَحْبَةً إِلَى الْأَمَامِ فِي مِيَادِينِ الْعِلْمِ ،  
حَتَّى نَسَحَرَ كُلَّ شَيْءٍ نَعْدَمَةً لِلْإِنْسَانِ وَتَرْفِيهِ عَيْشِهِ .  
يَبْدُو أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا يَصِلُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ مِنَ الْارْتِقَاءِ الْمَادِي ،  
يَكُونُ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْحُضِيِّضِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْأَدَبِيَّةِ .

سَيُضَيِّقُ ، وَيَقْتُلُ ، وَيَعْرِضُ ، وَيَتَأَلَّهُ :

« حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ  
أَدْرُؤْنَ عَلَيْهَا آمِنًا آمِنًا لَيْسَ أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَمْ  
بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُفَكِّرُونَ » (١) .

وإليك من حكم النبوة ما بذلك على أن الساعة تقوم عقب فساد عريض  
! ينتظر لظلامه فجر !

وفي فترة مُخْلِذِ الدُّنْيَا فيها إلى أهوائها ، فلا يُتَوَقَّعُ لها طُهُرٌ أَوْ ارْتِقَاءٌ .  
عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَى أَحَدٍ  
قَوْلُ : اللَّهُ اللَّهُ » .

وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكُونَ  
سَعْدُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا لَكُمْ بَنُ لَكُمْ » .

و.بلغ من انحاء معالم الدين أن تعود الوثنية إلى الجزيرة مرة أخرى :  
« لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّ بِإِيَاتِ سَاءِ دَوَسٍ حَوْلَ ذِي الْخُلْصَةِ » .

وهو صمد كان العرب يعدونه في الحاهلية الأولى .

وتهاوى الناس على اللدائد يطلبونها من كل سبل ويدعون ثمنها صرهم

ومروءتهم :

« سَكُونُ نَيْنَ نَدَى السَّاعَةِ هِنَ كَفَطَعَ اللَّيْلُ الْمُطْلِمَ . يُصْنِخُ الرَّحْلُ  
مُؤْمِبٌ وَيُنْسِي كَأَيَّارًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِسًا وَيُصْنِخُ كَأَوْرًا ، يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِيْنَهُمْ  
مَرَصَ مِنْ الدُّنْيَا » .

ويبيع يراد الخروب في الأرض يبيعه سقوط الصائتر وحراب الدم :  
« لَا تَقُوْهُ السَّاعَةُ حَتَّى تَكْتَرِ الْهَرَجُ ! هَالُوا : وَمَا الْهَرَجُ ! قَالَ : الْقَتْلُ الْقَتْلُ ! »  
وَتَمْخُوْهُ لِرَكَّةٍ مِنَ الْأَعْمَارِ — فهي صاب صاب — قَصِيْرَةٌ تَمُرُّ مَا يَكَادُ  
أَحَدٌ يَشْعُرُ بِهَا :

« لَا تَقُوْهُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الرِّمَانُ فَسَكُوْهُ السَّاعَةُ كَالسَّهْرِ ،  
وَالسَّهْرِ كَالْحَقَّةِ . وَاحْمَتُهُ كَأَبْوَرِهِ ، وَابْوَهُ كَأَشَاعَةٍ . وَالسَّاعَةُ كَالصَّرْمَةِ  
مِنْ النَّارِ » — كما يبع عود من الثوب .

والأحداث مكاثرة على ألسنة قوم على أسرار الناس .

ولا يذهب ثل أسوء مذهب عصر توأهين . كما رأوا مكرراً يمسو

مسروكاً على كعب وهو : قامت الساعة !! إنها سيعوم حما

يبدل ترهبها بها لأشعوب غير مستساع :

و لا رص — من قديم — مسرح للفساد وسفك الدماء

و مر — بين خير وشر ، تب من قرون حقيقة ، والأيام بينها دول .

وسهره خير حس ، لا يعنى له عص لله هذا المجمع المأمج

وسكن الذي برعها : أن الإله به أسالة وجوده على طير الأرض  
قد رعى هـ العن مائة حصرة و مئة طائفة تسميه على الطريق  
وتسبح حمد لله وقد يصغر من كثير من جوار هذا خير .

فيذا انقطع الأمن من رتبه . من . وأضى أهل الأرض على العث فيها  
حدا حد سب . استوصت شفهم ، ثم جمع الأورن والآخرون أمام الله  
لحكمة عامة شاملة :

« إِنَّا حَمَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ رِيَّةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . .  
وَأِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا خَرْرًا » <sup>(١)</sup> .

## من أشراط الساعة

على أن هناك علامات حاسمة تسبق الحام الأخير لهذا العالم .

مذكر — في البحار — بعضها ، حتى لا يستطرد ما الحديث .

مها رجوع عسى ابن مريم إلى الحياة الدنيا مرة أخرى . ولعله حصى بذلك  
من بين الأنبياء ، لأن الخرافة التي تعلقت بشخصه ملأت الأرحاء وقامت  
«سما دول قوة . فليكدب الرجل نفسه ما أشاع الخلق عن ألوهيه وهو ليس  
إلا عبداً لله . ولما كانت الحياة وحدة متماسكة فهو له في آخر الزمن كاف  
الدلالة على هذا المعنى ، وإن جاء عقب صلال طويل !!

ومن علامات الساعة ظهور الدجال ، وهو رجل أعور داهه يبدو من  
صعده المذكورة له أنه ماهر في علوم الطبيعة . وقد يوفق إلى طائفة من المخترعات



الرأفة ، ونؤتي القدرة على خداع العامة بما يملك من وسائل لبست بأيديهم . وهذا الأعور الدجال من عافرة اليهود يدعى الألوهية . وقد حذرنا السنة من الاستماع له . وسيطوف في البلاد ، يدعو لنفسه ، حتى يُنقل آخر الأمر . ومن علامات الساعة شروق الشمس من حيث تغرب . وهذا الانقلاب القلبي ، إيدان أن النظام الدقيق الذي تمالك به أجرام السماء يشك أن يخل بإذن صاحبه ، ثم نكدر المحو ، وسير الجبال ، وتحشر الوحوش !!

ومن علامات الساعة خروج الدابة وعدى أن هذه العلامة نوع من الغضب والمزيج نسي آدم الذين جهلوا ربهم . وجعلوا حقه ، مع ما آتاهم من فضل وفكر . فلا تس أن تخرج سلالة من البغال أو الخيول لتضرب بحوافرها جباه الساسة والقادة تقول لهم : أما لكم رأى يصلحكم بالله رب العالمين ؟ أين الذكاء والفهم ؟ كيف لمحدون ؟

« وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ الدِّينَ كَانَ لَآلِهِنَا لَا تُحْمَلُونَ <sup>(١)</sup> » .

## البعث والجزاء

ستنبئ من هذه المدي . وستنتهي هذه الدب مدنا . . . ثم ماذا ؟ نحب أن نمر أولاً ونؤكد ما قلناه قبلاً : إن الله سبحانه وتعالى ما جد عظيم ، وإن كنهه لا نسي لا ترقى إلى كنهه العفون . وأنه أوجد البشر فصلاً وأعظمهم — على ظهر هذا الكوكب الصيق — فرصة حظيرة لو أحسوا سعادته . وأنه سبحانه وحده أن يسمع انحدود في جواره الكريم إلا أن

نقتهزون هذه العرصة . فترشحهم أعمهم وأحوالهم للصعود إلى الرفيق الأعلى !

إِنَّ اللَّهَ أَحِيدٌ لَا مِثْلَ فِي جِوَارِهِ الْأَوْغَادِ .

وَهُوَ مَنَّهُ لَعِينٌ لَا مِثْلَ إِلَى جِوَارِهِ الْإِجْهَادِ .

إِنَّ اللَّهَ طَبِيبٌ لَا يَقْلِبُ إِلَّا طَبِيبًا .

بِـ مَنَّهُ صَيْبٌ نَحْبٌ مُضَفَّةٌ

إِنَّ السَّلْعَةَ الدِّينَ النَّصْقُوا بِالْغَرَابِ وَعَاتُوا لَهُ ، نَ يَنْفَعُوا عَه .

« إِنَّ الدِّينَ كَذَبُوا ، قَتَلْنَا وَأَسْكَبُوا عَنْهَا لَا تَنْفَعُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ <sup>(١)</sup> » .

من الخير الإنسان مَنْ يَمُزُّ عَلَى الْيَقِينِ ، أَنْ عَمَرَهُ الْمَحْدُودُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ،  
إِنْ لَمْ يَكُنْ وَسِيلَةً لِلتَّكْمُلِ وَالْتَرَقُّ ، فَلَنْ يَشْرُقَ غَدَهُ وَلَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ هَائِلٌ .

فَالْجَنَّةُ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا لِلنَّاقِثِينَ لَا نَسْجُ خُلَيْسٍ وَلَا مِهْنٍ . وَإِذَا لَمْ يَكُنْ  
الْإِنْسَانُ عَلَى حَظٍّ مِنَ الْكَمَالِ وَالْقَضِيَّةِ ، فَلَنْ يَجِدَ بِهَا مَرَلًا .

لَمَّا اسْتَكْبَرَتْ بِهَا إِبْلِيسُ طَرَدَهَا وَقَالَ اللَّهُ لَهُ : « طَاعِطٌ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ  
لَكَ أَنْ تَسْتَكْبِرَ فِيهَا . فَأَخْرَجُكَ مِنْكَ مِنَ الصَّاعِرِينَ <sup>(٢)</sup> » .

ولما غفل آدم عن حق ربه ، ووهنت في الخير عزيمته أُخْرِجَ مِنْهَا  
وروجه وعرفهما الله عز وجل وعرف ذرتهما من بعدهما ، أَنَّ لِلْجَنَّةِ مَسْنُوِيَّ  
خَصَّ مِنَ الْكَمَالِ ، مَنْ قَدَّه لَمْ يَبْقَ لَهَا أَهْلًا .

فَمَنْ قَسَتْ فِي مَسَمَةِ أَنْارَةٍ مِنْ شَرٍّ ، أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ مِنْهَا حَبْسًا  
عَلَى سَوَاطِيءِ الْآخِرَةِ ، وَلَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ رَبِّهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَطْرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيَقْتَصِرُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضِ مَظَالِمِ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى إِذَا هَذَّبُوا وَتَقَرُّوا أَذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ » .  
أَرَأَيْتَ ؟ لَا بَدَنَ مِنْ تَهْدِيبٍ وَتَنْقِيةٍ !

فمن لم يستو وينضج وَيَطْبُ في الدنيا انتظرتة جهنم لتكمل له ما نقصه ، وتعوض ما فاته .

« يُطَمَّحُ كُلُّ أَمْرِي مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ . كَلَّا . إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ نَارٍ يَمْلُؤُونَ <sup>(١)</sup> » .

قد خلق الإنسان من أصول ، فيها كدر وكثافة وهوان . من حما مسنون ونطفة أمشاج . وأمامه في الدين فسحة من الأجل ، ينبغي أن يستغلها في ترشيح نفسه للآلأ الأعلى فيقهر أهواءه ، ويمسح أكداره ، ويرقق من طينته ، ويسمو بطبيعته . ويتعهد روحه بالصقل والتهذيب ، حتى يطيب ويظهر . فإذا جاءته رسل ربه ننقله إلى الدار الآخرة ، وصدق فيه قول الله . « الَّذِينَ تَتَوَدَّعُهُمُ الْعَالَايِكَةُ ضَيِّبِينَ يَقُولُونَ : سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٢)</sup> » .

إن هناك أقواماً تشم في أعماقهم نتن الطين الذي خلقوا منه ، وتلح في أخلاقهم كدره وسواده ؛ هؤلاء يسوا أصحاب الجنة مها زعموا وأموا !!



يقعد الإسلام صلة وثيقة بين فعل الخير في الدنيا وما يقبه من سعادة في الآخرة . كما يقعد الصلة غسب بين اقتراف الشرور ، واستحقاق العذاب الأليم .

وقد يحاول بعض الناس بسبب ملتوية وعلل مكنوبة أن يُشكك في هذه الصلوات القائمة ، ولكن هيهات ! !

فاجرد لا بد أن يبقى عقوبته ، وأن يواجه اجزاء من جس العمل .  
 « إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ عَمَلٌ مُّفْسِدِينَ . وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ  
 وَذِكْرِهِ مُخْرِثُونَ » <sup>(١)</sup> .

وعند ما يتلادوم العصاة يوم القيامة ، ويحاول كل فريق منهم إلقاء التبعة على الآخر ليتنصل من الذنب ، ويفر من العقاب ، عندئذ يقرع آذانهم صوت الحق .  
 « قَالَ : لَا تَحْتَصِنُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعْدِ . مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ، وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ » <sup>(٢)</sup> .

والحسن لا يتخلف عنه الوعد الحق ، ولا تنقص مكافاته على صالح عمله ذرة : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا وَحَدَّ اللَّهُ حَتًّا وَهُوَ التَّزْيِيزُ الْحَكِيمُ » <sup>(٣)</sup> .

ونحب أن ننبه إلى تلاعب طائفة من أدهياء العلم بالنصوص الواردة ، ونخبهم في فصل العلاقة بين العمل وجزائه ، والاحتتيال بذلك على تحقيق مظهر الخير في العمل الطيب ، ومظهر الشرف في العمل القاسد . . .

والحيلة التي يتوسلون بها إلى ذلك ، إيهام الناس أن الجزاء مرتبط بالمشيئة العليا لا بعمل الإنسان .

وأن النسقة قد بنالم العقومها ارتكبوا ، وينشد شاعرهم :  
 وَإِنِّي - وَإِنِّي أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ - لَمْخِلِفٍ لِمَعَادِي وَمُنْجِزٍ مَوْعِدِي !!

(١) يونس : ٨١ ، ٨٢ (٢) قى : ٢٨ ، ٢٩ (٣) لقمان : ٨ ، ٩

وأنه يجوز أن يدخل القاسون العابدون نار جهنم .. لأن الله لا يسأل عما يفعل .

وهذا كلام يخالف الحقائق المقررة في دين الله .

والغرض منه — كما أسلفنا — إسقاط قيم الأعمال ، فلا يهرب أحد ذنباً ولا يرجو مؤمناً حسنة .

وهذه الفلسفة الخبيثة أذت عملها في إفساد الأمة وتلوّث المجتمع وإهانة الدين وقضاياه .

والله سبحانه وتعالى تكذب ذلك كله بسوء صريح .

« ثُمَّ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا "سُبُتَاتٍ" أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَنَّاهُمْ ؟ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ <sup>(١)</sup> » .  
 « أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ؟  
 أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ . كَذَبَ "زَلَّاتُهُ" إِلَيْكَ مُبَرَكٌ يَذْكُرُوا آيَاتِهِ  
 وَيَسْتَكْبِرُوا الْأَنْبَاءِ <sup>(٢)</sup> » .

إن أولى الأنبياء يقفون . إن عموه المشيئة لا يعنى السوبة بين خائن  
 ومؤمن . وإن جوار العمل لا يعنى إخذ الشرائع وتعطيل القوانين .

## حول شفاعته لإمام الأنبياء

نقل عواء نسامين بأحد حديث واردة في شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم  
 معصى العصاة .

وتلق أولئك العوام بأحاديث الشفاعة يُحْتَمَلُ لِنَيْكَ أَنْ قَوَانِينَ الْجَزَاءِ  
بَطَلَتْ ، وَأَنْ يَرَانِ الْجَحِيمِ وَشَكَتْ أَنْ نَحُولَ رَدًّا وَسَلَامًا عَلَى عَصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ !  
وَكَثِيرًا مَّا نَعْرِضُ هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمَ فِي الْفُرُوضِ ، وَتَقْعُونَ فِي أَوْخُمِ الذُّنُوبِ  
ثُمَّ يَقُولُونَ : أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ بِخَيْرٍ !

وَهُمْ مَسَّتْ سَاقَهُ .

وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلُ مَنْ يَسْتَنْكِرُهُ وَيَحَارِبُ أَحْمَدِيَّةَ ، وَيَنْذِرُهُمْ  
بَأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ .

فَمَا أَنْ الْجَزَاءُ حَقٌّ ، وَأَنَّهُ يَنْتَهِى الذَّرَّةُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، وَأَنَّهُ يَمُوتُ النَّاسُ  
أَجْمَعِينَ ، فَذَلِكَ صَرِيحُ الْقُرْآنِ .

« فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ  
شَرًّا يَرَهُ » (١) .

وَالْقَوْلُ أَنَّ قَوَانِينَ الْجَزَاءِ تَوْقِفٌ بِالنِّسْبَةِ لِاتِّبَاعِ بَيْتٍ مَا سَخَفَ فَارِغٌ ،  
وَقَدْ كَذَّبَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي مَوَاضِعَ شَتَّى مَزَايِمِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِمَا  
جَمَعَتْ بِهِمْ أَمَانِيهِمْ إِلَى هَذَا الْوَهْمِ الْبَاطِلِ .

وَلَسْنَا نَزِدُّ مَا صَحَّ مِنْ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ ، بَلْ نَنْتَهِي فِي مَوَاضِعِهَا الَّتِي  
لَا تَعْدُوهَا ، حَتَّى لَا نَعْرِفَ الْكُفْرَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .

رَوَى الشَّيْخَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً ، وَإِنِّي  
اخْتِبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي . فَمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ مِنْ شَاءَ اللَّهُ ، مَنْ مَاتَ  
لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا » .

هَلْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي يَرْجُوهَا الرُّسُولُ نَقْضُ مَرْتَكِبِي

العواحي والمناكر ممن مانوا لا يشركون بالله شيئاً ، دون أن يستوفوا

جزاءهم ؟؟؟

إن الرسول نفسه يردّ هذا الزعم .

وقد روى البخارى حديثاً يصف فيه أهوال الحشر وأحوال أهل النار

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه :

«بُضِرَ الصَّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ مِنْ  
الرُّسُلِ بِأَمْنِهِ ، وَلَا تَكْفُرُ مَوْتِدٌ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ :  
«لَهُمْ سَمٌّ سَمٌّ ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيْبٌ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ  
السَّعْدَانِ ؟ قَالُوا : «نَعَمْ ! قَالَتْ : فَإِنَّ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرُهُ لَأَيُّهَا  
قَدَرٌ عَظِيمٌ إِلَّا اللَّهَ ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوقِىُ بِعَمَلِهِ ،  
وَمِنْهُمْ مَنْ يُخْرَدَلُ ثُمَّ نَجُو ، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ  
النَّارِ ، قَرَأَ اللَّهُ لِلْمَلَائِكَةِ أَنْ يَخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ ، فَيَخْرِجُوهُمْ  
وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ آثَارَ السُّجُودِ  
فَيَخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ ،  
فَيَخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَبْلَ أَنْ تُنْحِشُوا فَيَنْصَبُ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ كَمَا  
نَبَتَ حَتَّةٌ فِي حَبْرِ السَّيْرِ . . . »

وهذا يحدث نفيد أن من اتسمين الذين يصلون الله وحده قوماً

سببهم النار .

وإن ههنا سبب ملاحظته فلا يعرفون إلا بآثار السجود .

وأن رحمة الله عسب ، هى التى تدركهم فننقذهم مما يمانون من بلاء .  
ثم نفس أوصارهم الأولى ببدء الحياة يبينوا — بعد — خلقاً جديداً  
صلح للقيم والرضوان .

\*\*\*

ففس لمنفعة هـد النطق اواسع الذى يبرز به الخطاهون إصرارهم ،  
وما تفيدهم أمانتهم فيها شيئاً .  
وقد بين الله سبحانه أن الشفاعة لا تجدى على كافر ، ولا على فاسق  
مُنْقَلٍ بِالْخَطَايَا .

قال الله تعالى : « وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ،  
وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ » (١) .  
وقال كذلك : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى  
إِخْلَافٍ لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى » (٢) .

والنفس المثقلة بالخطايا — ولو كانت لرجل من الصالحين — لا نفوتها  
جزاؤها كما رأيت فى حديث الرسول ، وهو يصف أئمة عند اجتيازها الصراط .

\*\*\*

والظاهر أن الشفاعة التى يرجوها النبى الكريم إنما تدرك صفناً من  
الناس ، تأرجحت موازين الحق والباطل فى أعماله فهو بين السقوط والنجاح .  
ونحن فى حياتنا ننظر إلى التلامذة الذين يقتربون من النهاية الصغرى  
للنجاح نظرة رافة . ونميل إلى منحهم درجة أو درجتين جبراً لنقصهم .



أما الذين يبتعدون عن المستوى الأدنى للتجلبح مسافة بعيدة فإننا نحكم بسقوطهم فوراً .

فلعل الشفاعة المنسوبة للرسول الكريم تنقذ أمثال هؤلاء المقارين للنجاة ...

وبهذا التفسير يتم الجمع بين النصوص .

\*\*\*

وقد يكون المقصود من هذه الشفاعة التنويه بمكانة النبي صلوات الله وسلامه عليه والإشادة بمنزلته الكبرى عند الله ...

ومتال ذلك في مجتمعاتنا أنه في مناسبات خاصة — كعيد ميلاد الملك أو جلوسه — يفرج عن طوائف من المسجونين قضوا أغلب المدد المحكوم عليهم بها ويراد إعتارهم بفصل المناسبة التي سنسوق لهم العفو والحرية .

وهذه الحرية الممنوحة بالعفو العام ، لاتخشد أصل العقوبة المقررة . ولا يفهم منها أنه لا ضرورة لسن القوانين وبناء الحاكم وتعيين القضاة ، كما يرد أن يفهم ذلك عوام المسلمين من أحداث الشفاعة المنسوبة لنبينهم . والتي تشير إلى أن الله قد يجيب دعاء نبيه وهو جاث بين بدى ربه يسأل الصفح عن الأمم الغفيرة من الأولين والآخرين التي أدركها حر الموقف انقضت وأهبط غصتها شواظ من النار المنعرة ، فهي تصرع إلى الله أن يرفع غضبه وتتردد على أنبيائه جميعاً كيما يشاركونهم الرجاء والدعاء .

على أنه مهما بلغت منزلة عبد عند الله فلن يتجاوز في الله حد الملق والترفى مولاه ، وما كان نبي أن يفرض رأياً أو يقرر حكماً :

« وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ، حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ

قُلُوبِهِمْ قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا : الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ <sup>(١)</sup> .  
 « تَوَّءَ سَمَوُهُ نَزَّوُوحَ وَالِهِ لِرِكَاةٍ صَفَا لَا سَكَّهُوْنَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ  
 الرَّحْمَنُ وَقَدْ صَوَّآ <sup>(٢)</sup> .

فلا كلام إلا هذا . ولا كلام إلا صواب . ومرد الأمر لله وحده .  
 وبذلك من ليس من يقترب اموتت المهلكة اعتماد على شفاعته  
 موهومة فليذكر قول الحق في أهل النار :

« مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ ؟ قَالُوا : مَا نَكُ مِنَ الصَّالِّينَ ، وَمَا نَكُ  
 نَظْمِ الْيُسْكِينِ ، وَكُنَّا نَحْوُصُ مَعَ الْخَالِصِينَ ، وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ  
 الدِّينِ ، حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ . فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ <sup>(٣)</sup> .

وبنحو هذه المقدمات الواجبة نرى حدوث الشفاعته العظمى معتقدين  
 أن قارئه لن يجاوز به حدوده .

عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ فَيَهْتُمُونَ لِذَلِكَ — وفي رواية — قِيلَهُمْ لَذَلِكَ . قَيُّوْلُونَ : لَوْ  
 اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا . قَيَّاتُونَ آدَمَ قَيُّوْلُونَ : أَنْتَ  
 آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَا لِرِكَاةٍ  
 وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ . اسْتَفْعَ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا  
 هَذَا . قَيُّوْلُونَ : لَسْتُ هُنَاكُمْ قَيْدُ كُرِّ خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَصَابَ فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ  
 مِنْهَا ، وَلَكِنْ ااتُوا نُوحًا أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ .  
 قَيَّاتُونَ نُوحًا . قَيُّوْلُونَ : لَسْتُ هُنَاكُمْ ، قَيْدُ كُرِّ خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَصَابَ

فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنْ اِثْنَا اِثْرَاهِمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللهُ خَلِيلًا  
 قَيَّامُونَ اِثْرَاهِمَ ، فيقول : لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي اَصَابَ  
 فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا وَلَكِنْ اِثْنَا مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ وَاَعْطَاهُ التَّوْرَةَ .  
 قال : قَيَّامُونَ مُوسَى ، فيقول : لَسْتُ هُنَاكُمْ . وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي  
 اَصَابَ ، فَيَسْتَحْيِي رَبَّهُ مِنْهَا ، وَلَكِنْ اِثْنَا عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتُهُ .  
 قَيَّامُونَ عِيسَى رُوحَ اللهِ وَكَلِمَتُهُ ، فيقول : لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ  
 اِثْنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَبْدًا قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ  
 وَمَا تَخَّرَ . قال : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قَيَّامُونَ فَاَسْتَأْذِنُ  
 عَلَى رَبِّي — نَعَالِي — فَيُؤْذَنُ لِي ، فَلِذَا اَنَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا ، فَيَدْعُنِي  
 مَا سَاءَ اللهُ . فيقال : يَا مُحَمَّدُ ارْزُقْ رَأْسَكَ ، قُلْ تَسْمَعُ . سَلْ نَعْمَتَهُ ، اَسْتَفْعُ  
 تُشْفَعُ . فَارْزُقْ رَأْسِي ، فَاحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيدِ بَعْلَمَنِيهِ رَبِّي ، ثُمَّ اَسْتَفْعُ  
 فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا فَاُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ وَاُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ . ثُمَّ اَعُوذُ فَاقْعُ  
 سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا سَاءَ اللهُ اَنْ تَدْعَنِي . ثُمَّ يَقَالُ لِي : ارْزُقْ يَا مُحَمَّدُ  
 رَأْسَكَ ، قُلْ تَسْمَعُ . سَلْ نَعْمَتَهُ ، اَسْتَفْعُ تُشْفَعُ . فَارْزُقْ رَأْسِي فَاحْمَدُ  
 رَبِّي بِتَحْمِيدِ بَعْلَمَنِيهِ رَبِّي . ثُمَّ اَسْتَفْعُ فَيَحْدُثُ لِي حَدًّا فَاُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ  
 وَاُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ . قَدِ : — وَلَا اُذْرِي فِي الثَّلَاثَةِ اَوْ فِي الرَّابِعَةِ — قَالَ : فَاَقُولُ :  
 يَا رَبِّ مَا بَقِيَ فِي نَدَارِ اِلَا مِنْ حَسَنَةِ الْقُرْآنِ ( اَيُّ مَنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ) .  
 يَا اَنْبِيَاءَ الدِّينِ يَعْجَبُ اَنْ يَعْرِفُوا اَنْ الْحَسَبَ الْاِلَهِي لَا يُفْعَلُ الذَّرَّةُ مِنْ  
 الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَاَنْ هَذِهِ الدَّقَّةُ نَفْسِي كُلِّهَا تَصْرِفُ يَنْطَوِي عَلَى الْقَوْضَى وَكَيْلِ  
 اَجْزَاءِ جِزَافٍ .

وقد ندد القرآن الكريم باليهود ، لما سرت بينهم هذه الآراء الفريية حتى ظن عامتهم أن الجنة حكر لهم ولذرياتهم — لأمرًا — فأقبلوا على ملذات العيش الأدنى يتهبوها ويقولون — في يقين — سيفرانا !! « فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَافٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ، بِأَخْذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدَى وَيَقُولُونَ : سَيَغْفِرُ لَنَا ، وَإِنْ يَأْتِيهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ تَأْخُذُوهُ ، أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِثْلَ الْكِتَابِ أَلَمْ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ؟ » — ودرسوا مَا فِيهِ — وَالذَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ <sup>(١)</sup> .

وللؤسف أن هذا القطع بين العمل والجزاء ، رَسَبَ في أوهام العامة فأساءوا به إلى أنفسهم وإلى دينهم . ثم إن عوج سلوك المنسويين إلى الدين وقلة قههم ، وسوء ذوقهم . مكن الإلحاد في الأرض ، ورفع الثقة من الأديان ومغشيتها جملة .

والعجب للمسلمين ، يصابون بهذه اللوثة وهم يقرأون قول الله : « لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ . مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا <sup>(٢)</sup> » .



الجزاء حق ، ولقد أكره القرآن من التذكير ومن سَوِّقِ النذير بعد النذير لأن أكثر الناس يذلههم ما أمامهم عما وراءهم .

بل ربما أنكروه وسحروا منه غير عابئين بهذا الغد الزاحف . ولو عقلوا لعرفوا أن الآخرة هي المستقبل الذي يجب على كل راشد أن

يوفر فيه أسباب سعادته ، ، وأن يحمل حاضره من الدنيا تمهيداً له ، وأن يجعل سعيه في حياته غراساً لا تنتظر ثمراته القريبة بقدر ما تؤمل عند الله عواقبه المذخورة .

إن نتائج أعمالنا في الدنيا خطيرة جداً .

سنقضى سنوات احتواها كتاب مؤجل ، ثم تصير الدنيا — بعد أن تتركها كما كانت قبل أن نطرقها — صفراً ، إلا بما تزودنا به منها .

ولو كان أكثر الناس وطيد الرجاء في حياة مقبلة ما أرخص عمره ، وما احسب وقته أهون ماله به من متاع :

« ارْتَحَلْتِ الدُّنْيَا مَذِيرَةً ، وَارْتَحَلْتِ الْآخِرَةَ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلِّ مِّنْهُمَا بَنُونَ .

فَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدَّارِ الْمُقْبِلَةِ وَلَا تَكُونُوا مِنْ أبنَاءِ الدَّارِ الْمَذِيرَةِ ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ » .

### منكرو البعث ومسحف مزاعمهم

من المصور الخائفة وأقطار الأرض منكوبة بصنف من الناس ، يظنون أنهم مروضون : عباء أخية كما تربط الحير بعبات القمامة ، تظل تدور بها حتى يغيب الإعياء - وتتركها الشيوخوة فتموت خنق أنفها ، أو يطلق عليها الرصاص ... نعم لا شيء ! .

يقولون : إن هي إلا أرحاء تدفع وأرض تباع وما يهاكنا إلا الدهر .. وهؤلاء كثير ما يشغبون على المؤمنين ويجادلونهم بالباطل ويحاولون توكيد رأيهم بـ « سقيم بالإصرار والخلق ! الخلف بما لا يؤمنون ! . » و« قسّموا بالله جهنّم بما نبهوا لا يبعث الله من يموت . بلى . وغداً عليه .

حَقًّا ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ، لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ ،  
وَلِيُعَلِّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَنْهُمْ كَذِبِينَ . إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ  
أَنْ يَكُونَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ <sup>(١)</sup> .

ومما يحفظ المرعى في ترجيح حياة منصدق بالآخرة ، وتفتيح حياة الإلحاد  
ومما يكسبها من فساد :

قَالَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا لَا تُخْشَرُ الْأَجْسَادُ قَاتٌ إِلَيْكُمَا  
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَافِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي ، فَاتْلَسَارُ عَيْنِكُمَا !  
طَهَّرْتُ قَوْلِي لِلصَّلَاةِ ، وَقَبْلَهُ هُتِرَ ، فَأَيْنَ الطُّهُرُ مِنْ جَسَدِنَا كَمَا ؟  
وَذَكَّرْتُ رَبِّي فِي الصَّامِرِ مُوَيْبٍ خَلَدِي بِذَلِكَ . فَأَوْحَتْ خَلْدِي كَمَا  
وَبَكَّرْتُ فِي الْبُرْدَيْنِ ابْنِي رَحْمَةً مِنْهُ ، وَلَا تَرَغَانِ رَدِيكَ !  
إِنْ لَمْ تَعُدْ بِيَدِي مَنَافِعَ بِالَّذِي آيَ . فَهَلْ مِنْ عَائِدٍ بِيَدِنَا كَمَا ؟  
بُرْدُ التَّقَى وَإِنْ تَهْلَهَلْ نَسْجُهُ خَيْرٌ يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ بُرْدِنَا كَمَا !



وهذا الكلام من المرعى يصف من الموضوع ناحية جانبية فقط .  
فإن الدين يحفظ القلوب أن تمرض ، ويعصون الأعراض أن تخدش .  
بل حتى الأبدان — بمسكه النظيف — عَوَادِي تَقَى نَمَحَصَ عَنْهَا  
الشهوات المنطلقة والأهواء العاصفة .

لكن هذه الثمر الجميلة ليست الدليل القدر .  
ويبدو أنها ذكرت فقط ، لإغلاق باب الجدل مع السفهاء .

رُويَ أن واحداً من أولئك المنكرين جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بالٍ وعرضه عليه ، يحسب المغفل أنه سيفحمه إذ يريه العظم ثم يتساءل كيف يتحول هذا إلى بشر سوى ؟ .

« وضربَ لنا مثلاً — ونَسِيَ خَلْقَهُ — <sup>(١)</sup> » .

وهذا الاعتراض صَفْعَةٌ للسائل المستبعد ، تردُّه إلى مكاتته التي يتناول فوقها .

« قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ؟ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ . . . أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ ؟ بَلَى . وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ <sup>(٢)</sup> » .

نعم يحْيِيها المبدع المنفرد في شئون الخلق والإيجاد والتصوير . . . ودلائل البعث ترجع — في مجملها — إلى لفت أنظار الناس نحو حقائق بديهية مسلّمة . فالذي بدأ الخلق يستطيع — إذا أفناه — أن يعيده .

« وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ؟ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَنَعَّمْنَا بِكَ شَيْئًا <sup>(٣)</sup> » .

وهذا الخلق المعاد تنكررت تحت أعيننا صور شتى له كل يوم ، بل كل لحظة . فأرجل من حيث لا يشعر تصنع غدده الجنسية ألوف الألوف من الحيوانات النوبة . في واحد منها فقط أساس كامل لبشر كامل .

ولعل هذه الكثرة في إيجاد أصول الحياة يُقصد بها إلى الدلالة على أن توجد على درجة من النقي في خلق أسباب الحياة ، تجعل إنشاء الناس أمراً نافعاً ، ونسبة إلى قدره .

« أَفَرَأَيْتُمْ مَا يُمْنُونَ ؟ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ؟ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ . عَلَى أَنْ نَبْدُلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِيهَا لَا تَعْمَلُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ؟ » .

وعن أبي زريرن العنقى : قلت « رسول الله : « كَيْفَ يُعِيدُ اللَّهُ الْخَلْقَ وَمَا آيَةُ ذَلِكَ ؟ هـ : « مَا مَرَرْتُ بِوَادِي قَوْمٍ كَجَدْبَاءَ ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِهِ يَهْتَرُ خَضِرًا ؟ قَالَ نَعَمْ : قَالَ : فَتِلْكَ آيَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ ، كَذَلِكَ يُخَيِّئُ اللَّهُ الْمَوْتَى ! » والواقع أن الزرع الذى تكسو وجه الأرض ، وتمشى فيها بالحياة والحمد ، ليست مما تصح الغفلة عن دلالاته .

إن الفلاح يستودع ظلمات الرباب حبة واحدة ، أو ساقاً واحداً ، فإذا بحقله يتحول — باسم الله — إلى جنان يانعة وثمار شبيهة وحصاد ميمون . . . كيف تحول الكدر والقدر والطين إلى ثمار وأغصان ورياحين ؟ ! « وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْزَلَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ . ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَلْقُ ، وَأَنَّهُ يُخَيِّئُ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ » (٢) .

والمادة الميتة تتحول — فى كل غذاء تتناوله — إلى خلايا حية فى جسامنا ، يسرى فيها الشعور ، وتنفض بالحركة .

فما معنى استنكار ما يقع شبيهه بيننا أبداً ؟ هل النشور إلا هذا ؟  
ثم ما ظن الإنسان بنفسه ؟



إن الأرض ومن عليها خَلَقَ صغير منواضع بالنسبة إلى الوجود الضخم الذي يزحم الفضاء المديد ويخز به الملكوت الرحيب . وشأن الناس إلى جانب العوالم الأخرى قليل .

« لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، وَلَكِنَّ أَكْبَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ <sup>(١)</sup> » .

فكف يسكت على مَنْ يقيم فصراً سيف الشرقات ، سامق القمد أن بنى كوخاً تافهاً بعد هدمه ؟ .

إن العث عقيدة فوق الشبهات ، ملتئماً له بالزاد الطيب ، من الهدى والتقى والصفاء .

حطب النبي صلى الله عليه وسلم أول بعثته فقال : « إِنَّ الرَّائِدَ لَا تَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَّبَتِ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ ، وَلَوْ غَشَّشْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَشَّشْتُكُمْ ، وَاللَّهِ لَتَمُوتَنَّ كَمَا نَفَأُمُونَ ، وَلَتَبْعَنَّ كَمَا تَسْتَفِضُونَ ، وَتَسْجُرُونَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا ، وَبِالشُّؤْءِ شُؤْءًا . وَإِنَّهَا نَجَّةٌ أَدَا ، أَوْ لَمَّا زُ أَدَا » .

فإذا طلعت عيك شمس يوم من أيام الدنيا بعد يوم مستغفري . فاذا كر أن هات قفلة ، سوف تعقب الهبة المؤقفة في القبر ، يساق بعدها أهل التمر إلى سفر ، ويسف أهل اخير إلى « مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُقْنَدِرٍ <sup>(٢)</sup> » .

## فهرس

صفحة	صفحة
مقارنات بين الشركاء والمبدا ٦٢	كلمة الناشر . . . . ٣
توحيد العامة . . . ٦٧	مقدمة . . . . ٧
حول توحيد العامة . ٧٤	الحقيقة الأولى . . . ١٥
الكمال الأعلى . . . ٨٥	الله - وجوده . ١٦
القدرة . . . . ٨٦	عقيدة الألوهية ٢٢
الإرادة . . . . ٨٩	لا ريب في وجود الله ٢٩
الحكمة . . . . ٩١	لا داعي لكفروا ! ٣١
الحياة . . . . ٩٣	هو الأول . . . ٢٥
العلم . . . . ٩٤	والآخر . . . ٣٧
السمع والبصر . . ٩٦	حاجة العالم إلى الله . ٣٨
الكلام . . . . ٩٩	ليس كمثل شيء ٤٠
أنت أنت الله . ١٠١	ما نعلم وما لا نعلم ٤٣
القضاء والقدر . . ١٠٥	الشيء المطلق . ٤٧
الإيمان بالقضاء والقدر ١٠٦	الوحدة المطلقة . ٤٩
نحن مجبورون في هذا . ١٠٧	إنما الله إله واحد ٥٠
هنا إرادتنا حرة . . ١٠٩	عيسى ابن مريم ٥١
معنى يصل من يشاء . ١١٢	مناظرة . . . . ٥٤
كذب على دين الله . ١١٤	عرض واقعي وجدل نظري ٥٧
الاعتذار بالأقدار . ١١٥	إخلاص التوحيد ٥٩

صفحة	صفحة
٢١٠ . . . مقترحات كافرة . . .	١٢٦ . . . إجابة ساخرة . . .
٢١٢ حقيقة الإنجاز المادى	١٢٨ . . . على هامش الأقدار . . .
٢١٥ . . . النبي الإنسان . . .	١٣٥ . . . العمل أساس الإيمان . . .
٢١٦ . . . بين النبوة والمبقرية . . .	١٣٩ . . . الإيمان والعمل . . .
٢١٧ . . . . . المباقرة . . . . .	١٤٤ . . . لا يعمون الكتاب . . .
٢١٩ . . . . . الأنبياء . . . . .	١٥٠ . . . . . في ميدان التربية . . . . .
٢٢١ . . . . . مسك الختام . . . . .	١٥٧ . . . . . الخطيئة وكتاب . . . . .
٢٢٣ . . . . . موئل البطولات . . . . .	١٥٨ . . . . . الإيمان والخطيئة . . . . .
٢٢٥ . . . . . الوصف بالمبقرية . . . . .	١٦٥ . . . . . بين التوبة والمصمة . . . . .
٢٢٦ الإيمان بالنبوات كلها	١٦٨ من مخلفات حرب الجدل . . .
٢٣١ . . . . . الخلود . . . . .	١٧٧ . . . . . هل المصية مرض . . . . .
٢٣٢ . . . . . هذى الحياة . . . . .	١٨٩ . . . . . خلاقات لا مبرر لها . . . . .
٢٣٣ . . . . . ما وراء الحياة . . . . .	١٩٥ . . . . . النبوات . . . . .
٢٣٥ . . . . . البرزخ . . . . .	١٩٦ . . . . . بين النبوة والنفسفة . . . . .
٢٤١ . . . . . صر الفرد وصر الدنيا . . . . .	١٩٨ . . . . . الوحي . . . . .
٢٤٤ . . . . . أشرط الساعة . . . . .	٢٠٤ . . . . . المصمة . . . . .
٢٤٥ . . . . . البعث والجراء . . . . .	٢٠٥ . . . . . المعجزة . . . . .
٢٥٠ . . . . . حول شفاعة إمام الأنبياء . . . . .	المعجزة بين الرسالة الخاتمة . . . . .
٢٥٨ . . . . . منكرو البعث . . . . .	والأولى . . . . .



## للمؤلف

- ١ - الإسلام والأوضاع الاقتصادية
- ٢ - ٥ - والمهاجرات الاشتراكية
- ٣ - ١ - المعنى العميق . .
- ٤ - ٨ - والاستعداد السياسي .
- ٥ - ٤ - ملات في الدين والحياة
- ٦ - ٥ - من هم من
- ٧ - ٤ - تعصب والسامح بين المسيحية والإسلام .
- ٨ - ٤ - عقيدة مسلم .
- ٩ - ٤ - حب للمسلم
- ١٠ - ٤ - مسرة
- ١١ - ٤ - في دوك أعوة
- ١٢ - ٤ - من مع حق
- ١٣ - ٤ - من الإسلام .
- ١٤ - ٤ - من "مرب"

## تحت الطبع

- ١ - ٤ - حرك
- ٢ - ٤ - من حق

